ياسر عرفات

تاجر الشنطة الفلسطينية

بين النضال والإحتيال



محمد العباسي

الزهراء للإعلام العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الزهراء للإعلام العربى
قســـم النشــر

ص.ب : ١٠٢ مدينة نصر - القاهرة - تلغرافياً : زاهراتيف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس ٩٤٠٢١ رائف يو إن فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

صدق الله العظيم

فصلت/٣٣

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الجمع التصويرى والتجهيز
بالزهراء للإعلام العربى

ياسر عرفات بين النضال والاحتيال

بقلم : أحمد رائف

صنع في خياله دولة في الهواء ، وقاد نضالاً محمومًا في الفضاء ، وشكَّل وهمًا للحالمين ، وداعب عواطف المأفونين والمخدوعين ، وأكل ظلمًا أموال المستضعفين ، وابتز الملوك والأمراء وهددهم ، وامتلأت خزائنه بالذهب الحرام ، وتضخمت أرصدته في بنوك الدنيا بأركانها الأربعة ، وأقرض الدول العظمى ، وأنشأ المواخير وأندية القمار للكسب والاستثمار ، وقاد مع صبيانه أغرب جهاد ظهر في تاريخ العرب والمسلمين ، فهم يتنقلون بين الفنادق الكبرى ويشربون الخمر ويبيتون فيها مع الساقطات وغير الساقطات ، يتنقلون بلا هدف نبيل يمتطون السيارات الفارهة ، يقتلون من يعارضهم أو يمتنع عن الدفع لهم ، يلف رأسه بقطعة من القماش « المبرقش » ليخفي تحتها قرني شيطان ، يحيي من يقابله في بلاهة وهو يرفع يده مباعدًا بين أصبعيه ، ثم يسارع في تقبيل من يلقاه

في بلاهة باسمة ، تخفي خلفها مجرمًا عريقًا قد ترك وراء ظهره كل قيمة نبيلة أو هدف رفيع ، فهو في نهم للمال والسلطة بلا أدنى فرصة في النجاح .

ذلك هو أحد الإفرازات النكدة لعالم يوشك على الانتهاء !

ياسر عرفات .. زعيم منظمة التحرير الفلسطينية .

خرج من فرجة عفنة من فرجات التاريخ النكد الذي يمر بأمة المسلمين . في زمن أخرج من بينهم أسوأ ما فيهم .

وجاء على قدر ليقود بلاده ومواطنيه إلى مجهول لا يعرفه أحد ، وهو يمتطي بهم جواد الوهم والخيال ، ويعدهم ويمنيهم ، وما يعدهم إلا غرورا .

رجل يتاجر بقضية بلاده ، ويبيع ويشتري بآمال أهله وآلامهم ، لا يعنيه إلى أين يصير وطنه ، بل يعنيه أن يكون رئيسًا وزعيمًا ، ولو في عالم لا وجود له .

لم يصدق في وعد أو كلمة ، خان كل من أعطوه ، وطعن جميع من ساعدوه .

لا تراه إلا في ذيل شيطان ، ولا يقول شيئًا إلا لينقضه في الغد ، كان له دور رئيسي في الفتنة الكبرى التي صنعها صدام حسين في اجتياحه للكويت وتهديده للسعودية والخليج ، ثم فشل جميع الطرق لإثنائه عن عدوانه ، وكانت الحرب المستعرة لإخراجه من الكويت ، وانشغل الناس وغابت عن بعضهم الحقائق ونسوا

أن العراق هو المعتدي ، وأن في يده وقف هذه الحرب .

وأنا أكتب هذا كنت أسمع حوارًا أجرته هيئة الإذاعة البريطانية من لندن ــ القسم العربي ــ مع المسمى بسام أبو شريف وعرّفوه بأنه يشغل وظيفة المستشار السياسي للرئيس ياسر عرفات ، وقد حاوره عبد الله المعراوي بذكاء .

وقد قال الرجل عجبًا في الحوار ، فهو يدعي أن الحلفاء يريدون القضاء على العراق وعلى منظمة التحرير الفلسطينية .

وسأله المحاور عما إذا كان من الأنسب والأحكم أن تقف المنظمة موقفًا محايدًا حتى يمكن لها أن تقوم بدور بين الفريقين المتصارعين ؟ .

وقال بسام أبو شريف إن المنظمة تقوم بدور في الوساطة وإنها تقف موقفًا محايدًا ، وهي ليست مع العراق ضد الكويت . ثم عاد فقال في أقل من خمس دقائق إنه ــ يقصد المنظمة ــ يقف مع العراق ضد الهجمة الإمبريالية .

وصار يتناقض ويتخبط في حديثه ، ويقول إنه لابد من الاعتراف بالقرار 242 لمجلس الأمن . وتكلم عن الهجمة الشرسة التي تريد القضاء على الشعب العراقي ، وأن هذه الحرب لابد لها أن توقف ويجب العمل على وقف إطلاق النار ثم تجلس الأطراف المعنية للتفاوض .

هذا والله ما قاله بسام أبو شريف المستشار السياسي لعرفات !! كأنه لم تكن هناك مبادرات وتوسلات ووساطات لدى

صدام حسين للخروج من الكويت ، وما المطلوب الآن ؟ وقف إطلاق النار والعودة إلى الدائرة المفرغة في التوسل إلى صدام حسين . وهذا الكلام ضرب من الخلط لايكون إلا في عنابر الخطرين بمستشفى الأمراض العقلية .

فهذه الحرب التي بدأها صدام حسين باحتلال الكويت في 2 أغسطس سنة 1990 م ثم ختمها الحلفاء بقتال العراق في 17 يناير سنة 1991 م لتحرير الكويت بعد سلسلة من الاتصالات والمبادرات والمحاولات الدبلوماسية لم يحدث مثلها في القرن العشرين ، أقول إن هذه الحرب لاتقف إلا بزوال سببها وهو احتلال الكويت . وهو ما لا يختلف فيه أحد من أهل السياسة والعسكرية .

من كان يريد وقف الحرب فليتقدم بطلب إلى السيد صدام حسين وتابعه ياسر عرفات ، أو علي عبد الله صالح ، ويقولون ثلاثة وتابعهم الملك حسين ملك الأردن .

هؤلاء من يجب التوجه إليهم بطلب وقف القتال ، فهو أمر في أيديهم وليس في يد شخص آخر ، وإلى هؤلاء يكون التوجه ، ومعهم يكون الحوار .

وقد نسمع دفاعًا عن أبي عمار ـــ صاحب كتابنا ـــ من بعض المتحذلقين والمتأنقين الذين أخذوا صيتًا كبيرًا في الإمساك بالعصا من المنتصف ، ويقولون هو رمز الثورة الفلسطينية ولا ينبغي تجريحه أو النيل منه ؛ لأننا هكذا نضر بالقضية . أية قضية ؟ يقولون هي

قضية فلسطين والفلسطينيين !

وأذكر عندما كنت طفلاً وكانت شوارع بلدتنا قد غطتها إعلانات مرسومة تصور عربيًا قد ارتدى عقالاً وكتبت بجوار رسمه عبارة : تطوعوا لإنقاذ فلسطين الجريحة ، وكيف كنا ندخل المدرسة فيكون الدرس الأول عن فلسطين ودور اليهود في القضاء عليها ، وضرورة أن نجاهد من أجل إبقائها عربية . ثم يدخل من يحمل صندوقًا ومعه ناظر المدرسة الذي يواصل درس فلسطين الذي بدأه المدرس ، ويتنافس الصغار في التبرع بملاليمهم وهي مصروف النهار حتى يتمكنوا من شراء السلاح لحرب اليهود ، وكيف كنا نخرج في « الفسحة » ونعيِّر الذي يشتري البطاطا والعسلية فمعناه أنه لم يتبرع بكل مصروفه ، وكانت هذه محل مؤاخذة ولوم شديدين لمن لم يفعل ، وكنا أيامها أطفالاً دون العاشرة ، قد نشأنا وربينا على مأساة فلسطين . كانت حديثنا عندما نخرج من المدرسة ، ونفكر بعقولنا الصغيرة عن كيفية استعادتها ، وما ينبغي علينا لحرب اليهود والقضاء عليهم .

عشنا مأساة فلسطين صغارًا وكبارًا وفهمنا أبعادها ، وكيف حدثت نتيجة لتأخر المسلمين ، وعرفنا أن علاجها قد صار على جانب عظيم من التعقيد يجعلك تتخبط في محاولة فهم أبعاد المشكلة وطريقة الاقتراب منها ، وعلمتنا التجارب أن الصراع العربي الإسرائيلي هو صراع ديني وحضاري ، وهذا ما لم يفهمه العرب و لم يقتربوا منه ، ونمونا وكبرنا على هذا الفهم وعرفنا أن السبيل الوحيد للنهوض من كبوتنا وأشهر مظهر لها ــ وهي لها مظاهر

كثيرة ــ هو مأساة فلسطين أن نأخذ بأسباب النهضة في وعي وجد ، وأن تغير الأمم ودورات الحضارة تأخذ وقتًا يتجاوز أعمار الأفراد ، وأصحاب الجد من يفهمون أنهم لبنة في بناء ، وهم حلقة في سلسلة ، وجيل يجاهد ويسلم آخر يقدم بعده حتى تكتمل الشروط جميعها ويحدث التغير الكيفي نتيجة للتراكم الكمي كما يقول البعض .

مأساة فلسطين لن نجد لها حلاً بالتفكير ، ولكنه جهاد طويل في سبيل الخروج من دائرة التخلف والضياع والبعد عن الدين ، وحلها يكون على شكل لا نعرفه ولا نتبينه فهو يخضع أيضًا لشروط وعوامل في المستقبل لم تأت بعد فهي غيب لم يتكون ، ولكنه رهين بالجهد والعرق وبناء الحضارة والاهتمام بكليات الدين ومبادئ القرآن .

أخذت فلسطين من تفكيرنا شبابًا وشيوخًا وقتًا ليس بالقصير ، ومازلنا نفكر فيها وتراودنا مأساتها في الليل والنهار ، وانتهينا إلى فكر محدد ورؤية واضحة بشأن تلك المأساة .

وكان أولى الناس بالرؤية الواضحة والفكر المحدد بشأن مأساة فلسطين هم أبناءها من المسلمين ، فقد قام الجهاد الفلسطيني في مطلع هذا القرن وحتى منتصفه على يد المسلمين المجاهدين واختلطوا شعوبًا وأقطارًا وجمعهم الإسلام ، وقد رأينا كيف اجتمع السوري والمصري والعراقي والتركي من أجل تحرير فلسطين من يد اليهود .

ثم أخذت الأمور منحى آخر بعد انتصاف هذا القرن ،

وصارت قضية فلسطين الغامضة سببًا في الثروة والتجارة وزيادة المال ، وشرَّق بعض الذين اشتغلوا بها وغرّبوا ولم يقتربوا من هذه القضية أو من جوهر حلها . واكتفوا بأن يكونوا ساسة يجمعهم تنظيم ويدورون في فلك بعيد وهم في رضا من المال الذي جمعوه ، وفي أمن من السلطان الذي صنعوه .

وأكبر الذين زاغوا عن أمر الله وخلطوا أمرهم على أنفسهم في قضية فلسطين هو ياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية .

وهل حقًا يفكر ياسر عرفات في قضية فلسطين ويريد أن يقدم لها شيئًا ؟ .

وما هو هذا الشيء الذي يريد تقديمه إلى هذه القضية ؟ .

هل يريد دولة علمانية ليس للدين فيها نصيب في الضفة الغربية والقطاع ، ويسمح بحق المواطنة للمسيحي واليهودي والمسلم على حد سواء ؟ .

إن كان هذا ما يريده ، أليس في الحكومة الإسرائيلية الغناء عن هذا ؟ .

ما الفرق بين النظام الإسرائيلي القائم ، الذي يتبع قانونه الخاص ، وما يمارسه من ديمقراطية من وجهة نظره ، ودولة أخرى يريد تكوينها ياسر عرفات لا تختلف كثيرًا في مسماها عما هو قائم وتختلف عنها بالفساد والرشوة والقسوة وقهر المواطنين على الطريقة العربية ؟ ..

لن يكون حل لقضية فلسطين إلا عن طريق الإسلام !

وهذا الحل ليس فيه ياسر عرفات وزملاؤه ، وهي حقيقة سوف يدركون نبأها بعد حين ، حيث يخرجون من الحلبة بالأموال التي سرقوها ويذهبون إلى أماكن بعيدة لتطوير نوادي القمار ، والمواخير التي أقاموها لخدمة القضية الفلسطينية ، أو لخدمة أنفسهم في عالم ينتهي بموت أحدهم .

لقد كان سوء الغرض وفساد الوسيلة وغيبة الرؤية المخلصة ، والعمل بلا وعي من أجل ذوات فانية أسبابًا للجريمة المروعة التي حدثت بغزو العراق للكويت والحرب الضروس التي نشبت نتيجة لذلك . وقد كان ياسر عرفات أحد مهندسي هذه الجريمة النكراء بكل تأكيد ، وهذا هو خلاصة ما جاء من أنباء وأخبار تناقلتها وكالات الأنباء .

وقد ذهب هؤلاء المجرمون بجريمتهم إلى وضع الأمة العربية في أسوأ نقطة يمكن لنا أن نتصورها في تاريخ العرب الحديث ، وكان يمكنهم وقف ذلك ومنعه بالتصدي القوي لصدام حسين وليس بدعمه ومساندته ورسم الخطط له .

وماذا ينتظر ياسر عرفات بعد هذا التصدع العربي الذي نشأ من جريمة ساعد في رسمها وتنفيذها هو وأتباعه من السذج والمعذورين في الكويت ؟ .

تم تكوين منظمة التحرير الفلسطينية بأموال خليجية وكويتية وسعودية على وجه التحديد ، وقدم لهم في هذا المجال الكثير حتى

صارت هيئة عالمية ذات نفوذ .

وليس صدام حسين المجرم الملحد الذي لا يدين بمبدأ بأفضل عند الله أو الناس من حكام الخليج ، وهو ليس المعيار في الانحياز في قضية صارخة مثل قضية اجتياح الكويت ، ونشوء ما يسمى بالاستعمار العربي . فكل القوى السياسية التي تغطي الشارع العربي ـــ وإن اختلط الأمر عليها ـــ ضد الإلحاد والاستبداد وضم الأراضي بالقوة ، ويسعون جميعًا نحو مستقبل يسود فيه الإسلام والسلام .

ياسر عرفات محتال وليس مناضلاً ، وهذا اقتناعنا من تاريخه ومواقفه ، يعمل في التجارة وليس عنده ما يلزمه بشأنها من شطارة ، ليس سياسيًا ولكنه انتهازي متسلق يسير خلف الوهم والسراب نحو مستقبل سياسي لن يكون ، فقد دفنت آماله ووريت التراب مع شمس 2 أغسطس 1990 م ، وسوف تسوى كل المواقف بعد انتهاء الحرب الدائرة من أجل رد الحقوق إلى أصحابها بغض النظر عن صلاحهم أو طلاحهم ، وسوف تختفي وجوه وتظهر أخرى ، وسوف يدخل العرب مرحلة أخرى جديدة ، ومن الوجوه التي ستختفي من مسرح السياسة ياسر عرفات ، ولعل هذا الكتاب القيم الموثق الذي بين يديك أيها القارئ العزيز ، والذي كتبه باقتدار وبراعة الأستاذ محمد العباسي هو حيثيات الحكم الذي يصدره التاريخ ضد ياسر عرفات .

7 / 2 / 1991 م

أحمد رائف

تمهيد

« لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا فلن أقبل بالتنازل عن بوصة من فلسطين » . قالها السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين وكلفه ذلك فقدان عرشه ونفيه إلى « سالونيك » وتحديد إقامته فيها .

ويقول اليوم ياسر عرفات رئيس فلسطين الوهمية : أعترف بدولة « إسرائيل » وخذوا كل فلسطين ولكن اعطوني قطعة صغيرة لأقيم عليها دولة أحكمها وتحمي مصالحكم أيضا .

فشتان ما بين الموقفين : موقف الذي ضحى بعرشه من أجل فلسطين ، وموقف الخائن الذي يبيع شعبه من أجل سلطة وهمية على الورق .

« لن أستسلم أبداً فهذا جهاد في سبيل الله والوطن » .. قالها الشهيد الشيخ عز الدين القسام ورفض الانسحاب من مواقعه رغم إمكان ذلك واستشهد ولم ينسحب بهدف تحريك القضية الوطنية برمتها .

أما ياسر عرفات فقام بالفرار على دراجة بخارية يوم معركة الكرامة ضد القوات الإسرائيلية تحت زعم المحافظة على القيادة والرمز .

فالأول بذل دمه من أجل القضية والثاني فر لتقديم التنازلات وبيع دماء الشهداء على مائدة المفاوضات التي لم تعقد بعد مقابل دراهم معدودة ووعود وهمية .

فما أشبه اليوم بالبارحة ، فإذا كانت القيادات الفلسطينية في العشرينيات قد ساعدت بمواقفها السلبية والاستسلامية في تمكين الصهاينة من اغتصاب أرض فلسطين عندما أظهرت ميلها للحلول التوفيقية وقبول مقترحات الحكم الذاتي المحدد وعدم

المطالبة بإلغاء وعد بلفور فإن ياسر عرفات يقوم بنفس الدور الخبيث حاليا عندما اعترف « باسرائيل » ونزع سلاح الثورة الفلسطينية وأوقف العمليات الفدائية ضد الكيان الصهيوني مقابل وعد بالجلوس مع الإمريكيين ثم الإسرائيليين على مائدة المفاوضات .

فإذا كان القادة الفلسطينيون في العشرينات قد ساعدوا في ضياع أرض فلسطين فياسر عرفات في التسعينات يبيع شعب فلسطين في سوق النخاسة السياسية وبذلك يغلق ملف القضية إلى الأبد .

وكان من الأجدر لعرفات أن ينتهج نهج عدوه وايزمان لإقامة إسرائيل عندما كان يعلن أن التصريحات السياسية لن تقيم الدولة ولكن بذل الدماء والعرق هما الطريق لذلك .

فلماذا ينتهج عرفات طريق التصريحات والسياسة لاستعادة جزء من فلسطين لإقامة دولة سرابية يحلم بحكمها ؟ على الرغم من أنه كان عليه انتهاج طريق أكثر عنفا من الصهاينة لاستعادة فلسطين ، التي نجح الصهاينة في إقامة دولتهم عليها بالدم والعرق والعنف .

ويبدو أن التاريخ يعيد نفسه . بكل التفاصيل مع اختلاف الأبطال هذه المرة .

الفصل الأول

القضية الفلسطينية ... الجذور والثمار

دعوا فلسطين في سلام

مما لاشك فيه أن إقامة دولة « إسرائيل » على أرض فلسطين كانت مؤامرة إمبريالية لها جذورها الاستعمارية قبل دعوة تيودور هرتزل لإقامة دولة لليهود . ويمكننا رصد مقدمات هذه المؤامرة بشكل واضح في سنة 1799 م عندما أعلن نابليون بونابرت في الجريدة الرسمية الفرنسية أنه يدعو اليهود للالتحاق بجيشه ليدخلوا معه القدس .

وبعده كانت دعوة « موسى هس » لإقامة دولة يهودية في فلسطين وذلك في كتابه « من روما إلى القدس » ، وكان هس أستاذاً لكارل ماركس مؤسس الشيوعية[1] .

ثم جاء دور هيرتزل ــ أبى الصهيونية ــ كما نعلم وصاحب كتاب « الدولة اليهودية : محاولة إيجاد حل عصري للمسألة اليهودية » . وكانت الصهيونية السياسية التي بشر بها هي الحل لما يسمى المسألة اليهودية . وقد صدر هذا الكتاب الذي يعتبر انجيل الصهاينة في 14 فبراير سنة 1896 م ويقال إن هيرتزل ــ هذا الصحفي النمساوي ــ قد حضر محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي « دريفوس » والذي صدر بحقه حكم قاس اعتبره هيرتزل ظالما وشعر أنه بسبب يهوديته فخرج من المحكمة يصيح : « من شاء أن ينصف فليتنصر » وقرر أن ينذر نفسه لإقامة دولة لليهود في فلسطين أرض الهيكل ، ومثوى داود وسليمان عليهما السلام اللذين أقاما دولة لمدة سبعين سنة لبني إسرائيل في القدس (1040 - 970 ق . م)[2] .

وفي تلك الفترة لم يسكت المسلمون بل قاوموا تلك الفكرة الصهيونية بنفس السلاح أي بالأفكار المضادة فقد بعث يوسف ضياء الخالدي ، عمدة القدس والنائب السابق بالبرلمان العثماني بكتاب مطول إلى صدوق خان ، حاخام فرنسا الأكبر يناشده فيه أن يدعوا فلسطين في سلام . وقد أرسله من القسطنطينية في مارس من عام

1899 م وجاء فيه :

« أن المثل الأعلى الصهيوني ، من الناحية النظرية ، طبيعي تماما ، ورائع وعادل .. من ذا الذي يمكنه أن ينازع في حقوق اليهود في فلسطين ؟ ولكنه من الناحية العملية يعتبر هذا الهدف غير عملي وشكلي ، ففلسطين الآن جزء لا يتجزأ من الإمبراطورية العثمانية وإنها فعلا آهلة بسكانها »[3] .

وحذر من أنه إذا ما أصر الصهيونيون على مطامعهم فسيواجهون ثورة شعبية قد يعجز الأتراك أنفسهم عن إخمادها . ولذلك ، على الصهيونيين أن يبحثوا لهم عن وطن في مكان آخر .

وبالطبع بعث صدوق خان بكتاب الخالدي إلى صديقه الحميم هيرتزل الذي رد على الخالدي برسالة خبيثة لتخدر مشاعره وتميت هواجسه وتطمئن فؤاده بعدم الخوف من اليهود . وجاء فيها : أنه ليس هناك على الإطلاق ما يبعث على الخوف من هجرة اليهود ، حيث لا يوجد من ورائهم قوة حربية ، كما أنهم شخصيا غير مولعين بالحرب ، إنهم عنصر مسالم تماما ، ويرضيهم كل الرضا أن يتركوا في سلام . أما فيما يتعلق بعرب فلسطين ، فمن الذي يفكر في طردهم ، بل إن رخاءهم وثراءهم الفردي سيزداد بازدياد رخائنا وثرائنا . وهل تعتقد أن العربي الذي يملك أرضا سيكون غاضبا إذا رأى ثمن أرضه قد ارتفع خلال وقت قصير ؟ وأن قيمتها ارتفعت إلى خمسة أو عشرة أمثالها ، ربما خلال بضعة أشهر ؟ كلا إن العرب سيكسبون أخوة ممتازين في شخص اليهود والرعايا المخلصين الصالحين لسلطان تركيا . وفلسطين إذ تستفيد من الذكاء اليهودي ومشاريع اليهود وفطنتهم المالية ستزدهر من أجل الجميع »[4] .

ونلاحظ أن رسالة هرتزل كانت مليئة بجميع الأساليب الانتهازية والإغرائية والتخديرية فهو يعلن أنهم لا يفكرون في طرد الفلسطينيين وأنهم من المحبين للسلام وليس خلفهم قوة حربية وذلك في محاولة لخداع الخالدي وتخديره . ثم يكشر عن أنيابه عندما يشير إلى شراء الأرض ويغري الخالدي بارتفاع قيمتها مما يشجع الجميع

على بيعها والترحيب باليهود على أساس أنها تجارة مربحة وهو يعلم تماماً أن التجارة بالوطن مهما كانت المكاسب هائلة أمر لا يعقل ولايقبله أي مسلم . وبعد هذا الإغراء يتراجع هيرتزل ليؤكد أنهم سيكونون رعايا مخلصين لسلطان المسلمين ثم يعود لأسلوب الإغراء من جديد بعرض المشاريع اليهودية التى سيستفيد منها الجميع ولم ينس بالطبع أن يحط من شأن المسلمين ويرفع من قدر اليهود حيث إنهم فقط أصحاب الذكاء والمال .

وهذه الرسالة توضح الخطة الصهيونية التي قامت عليها « إسرائيل » ومازالت تمارسها حتى الآن ، فمناحم بيجن عندما قابل السادات بعد كامب ديفيد كان يردد أنه بالذكاء اليهودي والمال الخليجي والعمالة المصرية والعربية ستتحول منطقة الشرق الأوسط إلى جنة الله في الأرض .

وما يشير إلى خداع هيرتزل ما ذكره في مذكراته التي لم تنشر إلا بعد ست وعشرين عاماً من وفاته حيث كتب : « إن القوة العسكرية عنصر لاغنى عنه في استراتيجيته ، وإن من الأمثل للصهيونيين أن يمتلكوا بالفتوحات المسلحة الأرض التي يقع عليها اختيارهم »(5) .

البرنامج الصهيوني

ويرى الدكتور أسعد عبد الرحمن أن النويات الأولى للصهيونية المعاصرة بدأت بالتشكل نتيجة تحالف وتصارع أفكار كل « تزيفي هيرش كاليشر (1795 - 1874) « وموسى هيس » (1812 - 1875) و« ليوبنسكر » (1821 - 1891) و« وأشر جينمزبرج » (1856 - 1927) علاوة على أفكار وجهود نشيطي جمعيات « أحباء صهيون » . ولكن التبلور الحاسم في الفكرة الصهيونية كان على يدى « تيودور هيرتزل » الذي تحول مع العام 1896 ، عن دعوته إلى ذوبان اليهود في المجتمعات المختلفة ليصبح منذئذ أبرز الداعين لقيام « دولة يهودية » . ولم يمض عام واحد على ذلك حتي نجح هيرتزل في الدعوة إلى عقد « المؤتمر الصهيوني الأول » في بازل

بسويسرا وفي تشكيل « المنظمة الصهيونية » التي تبنت البرنامج الصهيوني الذي حدد غاية الصهيونية بالدعوة إلى خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين ، ولكن أمر موقع وحدود ذلك الوطن بقي بين أخذ وعطاء في الأوساط الصهيونية حتى بعد وفاة هيرتزل عام 1904 . فقد استمر هيرتزل وغيره من القادة الصهيونيين يتعاطون أفكارا تدعو إما إلى تأسيس ذلك « الوطن » في فلسطين ، أو في العريش ، أو في شبه جزيرة سيناء أو قبرص باعتبارها « مراكز للانقضاض » اللاحق على فلسطين ، أو في الأرجنتين أو أوغندة أو غيرهما لتكون بمثابة « معسكر ليلي » يتم منه الانتقال ، لاحقا إلى فلسطين . إلا أن ذلك التردد في الأوساط الصهيونية سرعان ما حسم مرة واحدة لصالح تحديد « فلسطين » مكانا للدولة اليهودية المنتظرة وذلك أثناء المؤتمر الصهيوني المنعقد في عام 1905 . ولكن أي « فلسطين » تلك التي سعى الصهيونيون مبكرين ، إلى احتلالها وإقامة دولتهم عليها ؟[6] والإجابة عن هذا السؤال تلخص أبرز مميزات الحركة الصهيونية وتصفع المشاريع الاستسلامية التي يرفعها حاليا ياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية وتؤكد قصر نظره الذي نتج عنه سقوط البندقية من يده سواء برغبته أو برغبة بعض الأنظمة العربية وبالتالي فقدان قراره واستقلاله .

فهيرتزل يقول في مذكراته إن المساحة المراد قيام دولتهم عليها تزداد مع ازدياد إعداد المهاجرين الصهاينة . ويضيف أن تلك المساحة ربما تكون بحدود 70 ألف كيلو متر مربع وبالتالي لاتقتصر على مساحة فلسطين البالغة 26 ألف كيلو متر مربع ، ويؤكد في موضع آخر أن المسافة المطلوبة هي من النيل إلى الفرات .

أما مقولة دافيد ترتين التوسعية التي نالت استحسان هيرتزل وتأييد القادة الصهاينة فقد اعتمدت على استعمار فلسطين والبلاد المجاورة علاوة على قبرص .

وقد أكدت المسيرة الصهيونية أنها تعني ما تقول ، فقد صاغت حركتها المرحلية دون مزايدة ودون تفريط وتمسكت بأهدافها النهائية وخلقت الظروف المواتية للوصول إلى غاياتها الاستراتيجية من خلال تكتيك سياسة القضم والهضم التدريجيتين

تحت غطاء مجموعة من الذرائع والأسباب والعوامل الدينية والتاريخية والعسكرية وهو ما سنراه خلال هذا الفصل حيث إنه لم يتم حتى الآن وضع دستور يرسم حدود الدولة الصهيونية مما يؤكد تمسك الصهاينة بمخططهم التوسعي ويسقط أمل عرفات ورفاقه بإقامة دولة فلسطينية .

موقف السلطان عبدالحميد

وبدأ اليهود اتصالهم بالسلطان العثماني عبدالحميد منذ 1882 عندما قدمت جمعية أحباء صهيون طلباً للقنصل العثماني في أوديسا « روسيا » يطلبون الإقامة في فلسطين فكان رد السلطان الحاسم : « تحيط الحكومة العثمانية علماً جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى تركيا بأنه لا يسمح لهم بالاستقرار في فلسطين » .

في سنة 1896 قابل السلطان ، هيرتزل الذي طلب السماح لليهود بإقامة مستعمرة واحدة في القدس فقال السلطان : « إن الإمبراطورية العثمانية ملك العثمانيين الذين لا يمكن أن يوافقوا على هذا الأمر فاحفظوا أموالكم في جيوبكم « ثم كان قراره المشهور الذي أبلغه لجميع ممثلي العالم في استانبول عام 1900 بمنع الحجاج اليهود من الإقامة في فلسطين أكثر من ثلاثة شهور ، ويكون عليهم تسليم جوازات سفرهم عند دخولهم أرض فلسطين ويتسلمون ، بدلا منها ، إذن إقامة من موظفي الباب العالي في الميناء الذي يدخلون منه ، وكل من لا يغادر البلاد خلال هذه المدة سيطرد بالقوة(7) .

وفي عام 1901 وصل هيرتزل إلى القسطنطينية في محاولة فاشلة للحصول على وثيقة لإنشاء « جمعية للاستيطان اليهودي العثماني » في فلسطين وكانت المادة الثالثة من هذه الوثيقة تتضمن منح اليهود حق ترحيل السكان الوطنيين بالقوة(8) .

وكان رد السلطان العثماني قويا ومعبراً عن وطنية إسلامية رائعة ، فقد أصدر في سنة 1901 قراراً يحرم فيه على اليهود شراء أي قطعة أرض في فلسطين .

ولم ييأس هيرتزل ولكنه حاول إغراء الخليفة العثماني بسلطان المال عله يخضع

ويتراجع عن موقفه فعرض عليه سنة 1902 عندما حاول مقابلته ، ولكن الخليفة رفض المقابلة فقام تحسين باشا رئيس الوزراء بتلقي العرض اليهودي المغري الذي تضمن عرض مائة وخمسين مليون ليرة انجليزية لجيب السلطان الخاص مع الوفاء بجميع ديون الدولة العثمانية البالغة 23 مليون ليرة انجليزية ذهبية . وتقديم قرض للدولة العثمانية قيمته 35 مليون ليرة ذهبية بدون فوائد لإنعاش اقتصاد الدولة . وبناء أسطول لحماية الإمبراطورية يتكلف مائة وعشرين مليون فرانك ذهبي . وإقامة جامعة عثمانية في القدس (9) . وكان الرد كما جاء في مذكرات هيرتزل نفسه : انصحوا الدكتور هيرتزل بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع ، إنني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي ، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم وإذا مزقت إمبراطوريتي يوما فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي وهذا أمر لا يكون ، إنني لا أستطيع أن أوافق على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة .

وقد دفع السلطان عبدالحميد ثمنا باهظا لهذا الموقف الإسلامي النبيل حيث تم إسقاطه بمؤامرة صهيونية عن عرش الخلافة التي تهاوت بعد ذلك . وكان أحرى بعرفات دراسة هذه الفترة والتمثل بالسلطان العثماني الذي أبى أن يفرط في أرض فلسطين عرض المسلمين .

ويشرح السلطان عبدالحميد الموقف في رسالة موجهة لسماحة الشيخ محمود أبي الشامات بتاريخ 22 سبتمبر 1329 تاريخ تركي شرقي جاء فيها :

« بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم ، وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ .

إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما ، سوى أنني .. بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم تركيا الفتاة وتهديدهم اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة .

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن

قومي لليهود في الأراضي المقدسة (فلسطين) . ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف . وأخيرا ، وعدوا بتقديم (150) مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهبا ، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي :

إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا ـــ فضلا عن مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهبية ـــ فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي . لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسوّد صحائف المسلمين آبائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء العثمانيين . لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضا .

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي . وأبلغوني أنهم سيعيدونني إلى سلانيك فقبلت بهذا التكليف الأخير .

هذا وحمدت المولى ، وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة .

وقد كان بعد ذلك ما كان ، ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال ، وأعتقد أن ما عرضته كان كافيا في هذا الموضوع الهام ، وبه أختتم رسالتي هذه وألثم يديكم المباركتين ، وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي ، سلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء .

ياأستاذي المعظم ، لقد أطلت عليكم البحث ، ولكن دفعني لهذه لإطالة أن تحيط سماحتكم علما ، وتحيط جماعتكم علما أيضا .

والسلام عليكم ورحمته وبركاته

في 22 سبتمبر 1329 تركي شرقي

خادم المسلمين عبدالحميد بن عبدالمجيد »[10]

وهكذا يتضح الموقف الإسلامي الذي مثله خليفة المسلمين عبدالحميد من القضية الفلسطينية والمسألة اليهودية وهو موقف غاية في الصمود والتضحية والوفاء ويتناقض مع مواقف القوميين والشيوعيين الذين باعوا فلسطين بثمن بخس وهو ما يقوم به عرفات حاليا حيث باع دم شهداء فلسطين بدولة في الهواء على أمل إقامتها على جزء من فلسطين في محاولة صهيونية إمبريالية لخداع العالم الذي اكتشف حقيقة « إسرائيل » البشعة .

تضليل الرأي العام

وقد استخدم اليهود وسائل خداعهم المعهودة لتضليل الرأي العام العالمي عندما تلاعبوا بالألفاظ للتعبير عن مخططاتهم الجهنمية . فقد كان برنامج بازل قد أدخل تعبير الوطن الذي يضمنه القانون العام « بدلاً من تعبير » الدولة اليهودية . وبذلك كان التعبير الأول يتسم بالغموض المتعمد . وبعد ثلاثة وعشرين سنة كتب نوردو أنه هو الذي فكر في تعبير الوطن حيث يقول : « بذلت كل ما في وسعي لإقناع دعاة قيام دولة يهودية في فلسطين بأن في وسعنا أن نجد من الكلمات ما ندور به حول المعنى ونعبر به عما تعنيه ولكن نقولها بالطريقة التي نتجنب بها إثارة الحكام الأتراك للأرض التي نشتهيها . فاقترحت كلمة وطن كمرادف لكلمة دولة .. وهذه هي قصة التعبير الذي كان محل الكثير من التعليق .. فقد كان ينطوي على غموض ، ولكننا جميعا كنا ندرك تماما ما الذي يعنيه .. لقد كان يعني بالنسبة لنا دولة يهودية ، وهو اليوم الذي يحمل نفس المعنى[11] .

ولذلك لا نتعجب عندما نجد أن الساسة الصهاينة كانوا ينكرون بعد ذلك نيتهم في إقامة دولة يهودية وخير دليل على ذلك ما قاله رئيس الحركة الصهيونية في المؤتمر العاشر : « إن اولئك الذين يعانون من الجهل المطبق أو الذين يدفعهم الحقد ، هم وحدهم الذين قد يتهموننا بالرغبة في إقامة مملكة يهودية مستقلة » .

ولكنه في الثالث من سبتمبر عام 1898 يقول هيرتزل في مذكراته :

« لو كان لي أن أوجز مؤتمر بازل في كلمة ، وهي ما أحرص على عدم الإفضاء بها علانية ، لكانت : في بازل ، قمت بتأسيس الدولة اليهودية ، ولو كنت قلت ذلك بأعلى صوتي الآن لقوبلت بالسخرية من كل العالم .. ولعل الجميع سيدركون ذلك بعد خمس سنوات ، وبالتأكيد بعد خمسين سنة[12] .

ويتضح مما سبق أن الحركة الصهيونية تمسكت بأهدافها النهائية بدون أي تنازل عملي وإن كان قد تم تقديم تنازلات نظرية ولفظية بتغيير الألفاظ وتهدئة التعبيرات ولكنها كانت تحمل نفس المدلولات التي تدعو لها الصهيونية في انتظار الظروف المواتية لتحقيق الحلم اليهودي والذي خططه هيرتزل بشكل منهجي .

ويمكننا أيضا القول إن المغامرة الصهيونية الكبرى بدأت في عام 1882 وهو نفس عام الاحتلال البريطاني لمصر .

وكان عدد اليهود في فلسطين عام 1880 حوالي 23 ألفا ارتفعوا عام 1914 إلى 85 ألفا وقد نجحوا في تملك ما يقرب من 162 ألفا و 500 فدان بما يعادل 2 ٪ من فلسطين » ، فهل لا يعلم تلك المعلومات ياسر عرفات أم تراه يضع رأسه في الرمال كالنعام ويقامر على قضية فلسطين مقابل وعود زائفة .

المقاومة

وكان أول أشكال المقاومة بشكل منظم وواضح عام 1901 عندما قام الفلاحون من القرى المجاورة لطبرية بمهاجمة سماسرة الأراضي الذين كانوا قد جاءوا لوضع علامات على حدود الأرض المشتراة من أسرة « سرسق » ببيروت[14] حيث كان البيع يتم غالبا دون أن يعلم الفلاحون شيئا والذين يكونون مجرد أجراء فقط ولا يكونون قد رأوا وجه صاحب الأرض . ولكنهم كانوا يقاومون ما يترتب على البيع بعد ذلك ويقاومون الأحكام القضائية الخاصة بطردهم من الأرض وذلك بقيامهم بهجمات فردية مدبرة على المستعمرات الجديدة وينصبون الكمائن وأحيانا يقتلون فلاحيها .

التشكيلات العسكرية الصهيونية

في عام 1907 ظهرت أولى المنظمات الصهيونية وتدعى « هاشومير » أي الحارس وكانت مهمتها إحلال الحراس اليهود محل العرب على أساس أن أملاك اليهود يجب أن تكون في حماية اليهود[15].

وفي عام 1909 تم تكوين منظمة سرية للدفاع وكان من بين مؤسسيها اسحق ابن زفي ، الذي أصبح فيما بعد رئيسا « لإسرائيل » وقال في أول اجتماع للمنظمة : « كان هناك شعور واحد يتملك الحاضرين .. لقد استجمعوا شجاعتهم ، وكانوا يعلمون أن الكلمات وحدها لا تجدي في إنقاذ أمة ، وأن الخطب لا تجدي في إعادة بناء دولة .. لقد سقطت يهودا وسط الدماء والنيران ، ووسط الدماء والنيران ستبعث من جديد .. وفي نفس السنة رخص قائمقام طبرية بتكوين حرس يهودي مسلح خوفا من وقوع مذبحة[16].

ويقول « دافيد هيرست » في البندقية وغصن الزيتون أنه كان من المحتم مع مرور الوقت واستمرار الصهيونيين في تقدمهم البطيء والثابت ، أن يفقد الأعيان الفلسطينيون تدريجيا احترام الشعب لهم ، وهو الاحترام الذي لابد منه لأية زعامة من أجل قيادة صراع وطني .. ولو كان رجال آخرون من ذوى النفوذ والسلطة سلكوا نفس مسلك قائمقام طبرية ـــ وفقا لوصف أحد المراقبين اليهود له ـــ لاختلفت الأمور عن ذلك كثيرا[17].

مهادنة ومقاومة

ويمكننا في تلك الفترة أن نرصد موقفين للعرب : الأول يقوده رشيد رضا المفكر الإسلامي البارز في ذلك الوقت من عام 1914 ويتلخص فيما يلي : « من المحتم على زعماء العرب والأهالي المحليين ، أن يفعلوا أحد أمرين : إما التوصل إلى اتفاق مع الزعماء الصهيونيين لتسوية الخلافات بين مصالح الطرفين ، وإما تجميع قواهم لمقاومة

الصهيونيين بشتى الطرق ، مبتدئين بتكوين الجمعيات والشركات ، ثم تكوين عصابات مسلحة لتواجههم بالقوة . يقول بعض العرب إن هذا هو أول ما يجب أن يفعلوه لأن « الكي » هو الطريق الوحيد ، فالكي ، كما يقول المثل العربي هو العلاج الأساسي[18] .

وهذا الموقف للشيخ رشيد رضا يدل على وعيه بخطورة الموقف واختيار طريق الجهاد المسلح لمواجهة العصابات الصهيونية . وبالإضافة إلى إصداره فتوى تحرم بيع الأرض لليهود .

أما موقف الأحزاب القومية العربية الناشئة في سوريا التي كانت تسعى إلى الحكم الذاتي أو الاستقلال عن الحكم العثماني وكذلك الفلسطينيون في عامي 1913 و 1914 فقد حاولوا التوصل إلى تسوية مع الصهيونيين ، وكان معظم أعضاء حزبي « الفتح » و« العهد » من الشباب ذوي الاتجاه الغربي ، فإنهم كانوا متحمسين للإفادة من رءوس الأموال والخبرة والقدرات التي اعتقدوا أن الصهيونيين سوف يدخلونها على الاقتصاد العربي[19] .

وهكذا يتضح أن القوميين والمتغربين وقعوا في شرك الإغراء الاقتصادي الصهيوني أما الشيخ رشيد رضا ، وهو من الأعضاء المؤسسين لحزب اللامركزية ، كان يعتقد أنه إذا ما أمكن حمل الصهيونيين على التخلي عن مطامعهم السياسية فعلى العرب عندئذ أن يعقدوا اتفاقا معهم وفي عام 1913 توصل الحزب فعلا ، عن طريق لجنته بالقاهرة إلى اتفاق شفوي مع الممثل الصهيوني في القسطنطينية .. وقد نص هذا الاتفاق على : أن لجنة القاهرة ، إذ توافق مبدئيا على الهجرة اليهودية إلى سوريا وفلسطين ، تتعهد بأن تسعى من أجل التقارب بين العالمين العربي واليهودي ، وأن تعمل عن طريق الصحافة والخطابة على إزالة ذلك التحامل الذي يسود العالم العربي ضد الهجرة اليهودية والذي يحول دون التقارب بين العرب واليهود[20] .

ويقول دافيد هيرست إنه لم يتم أبداً التوصل إلى أي اتفاق نهائي .. فالصهيونيون في الواقع لم يكونوا يريدون أي اتفاق لأنه رغم ما يقدمه لهم من مزايا

تكتيكية قصيرة الأجل فإنه قد ينطوي على أضرار استراتيجية بالغة حيث سيطالبون عندئذ بأن يأتوا مجردين من كل أطماع وأن يقرروا ما الذي يريدونه فعلاً في فلسطين . وكانت تلك هي المعضلة التي واجهتهم وذلك عندما قام الفلسطينيون عام 1914 ، تحت رعاية حزب اللامركزية بدور أكثر تمثيلا في استئناف الجهود من أجل الوصول إلى تسوية ففي أحد الاجتماعات التي كان المفروض أن يعقدوها مع الممثلين الصهيونيين في لبنان ، قدم الجانب العربي جدول أعمال جاء فيه « إن على الصهيونيين أن يوضحوا قدر الإمكان ، وعن طريق الأدلة المدعمة بالمستندات أهداف وأساليب الصهيونية ، وما يرتبط بها من استيطان فلسطين .. وأبى الصهيونيون قبول جدول أعمال العرب ، حيث إن أهدافهم كانت بلا حدود ، وعلى ضوء العقيدة الصهيونية الأساسية لم يكن في وسعهم إلا أن يكونوا كذلك ولكن الصهيونيين كانوا يدركون تماما أن هناك مجالاً ضيقا إلى حد بعيد للوصول إلى اتفاق حول هاتين النقطتين بالذات : الهجرة وشراء الأراضي ، وهما النقطتان اللتان كان العرب يرغبون في أن يكون هناك ما يطمئنهم بصددهما .

وأخذ الصهيونيون يماطلون ، والواقع أنهم لم يحاولوا أن يجردوا أنفسهم من هواها . ثم جاءت الحرب العظمى دون عقد هذا الاجتماع[21] .

وهكذا يتضح أن اللامركزيين بقيادة رشيد رضا كانوا يريدون من التفاوض مع اليهود وضع حد لأطماعهم السياسية في فلسطين ، ولكن المماطلة الصهيونية كانت وراء عدم الوصول إلى اتفاق بين الجانبين وهذا ما يدعم وجهة النظر الحالية بأنه لا أمل مطلقا في التوصل إلى حل سلمي مع « إسرائيل » خصوصاً بعدما أصبح لها كيان وجيش قوي وأصبح معترفا بها عالميا لأنه لم يستطع أجدادنا التوصل إلى هذا الاتفاق مع الصهاينة وهم مازالوا فرادى وجماعات وضعافا فكيف يمكن أن يقدموا تنازلات الآن بعد أن أصبحوا قوة ؟ وهذا ينسف من الأساس التفكير الفلسطيني الحالي الذي يقوده عرفات للاتفاق مع « إسرائيل » ، فالسلام وخططه تمت تجربتها من قبل دون الوصول إلى حل وإعادة المحاولات تدخل في بند تضييع الوقت ووأد روح الجهاد والاستشهاد .

الخديعة البريطانية

إن اللبنة العلنية الأولى التي وضعها الإنجليز في بناء تهويد فلسطين كانت تتمثل في وعد بلفور ، ذلك الوعد الذي بدأ الإنجليز ينفذونه بحماسة وتصميم منذ دخلوا فلسطين عام 1917 ، حيث تبدلت على الأرض المقدسة صورة الحاكم ، من حاكم يمنع المؤامرات اليهودية ، ويضع في وجهها السدود ، إلى حاكم جديد يعمل على تمهيد جميع السبل للفتك بأهلها وإنزال الدمار بهم .

ولعله لم يكن مؤكدا دخول الإنجليز فلسطين منتصرين ، لولا ثورة العرب على الخلافة العثمانية ، ومشاركتهم الإنجليز في حرب الأتراك والإضرار بهم ، مشاركة أرغمت تركيا على أن تحارب في ميدان كانت أمنة فيه معتزة به ، ومكنت الإنجليز من الاستعانة بالعرب فوفروا جنودهم لميادين أخرى ، واطمأنوا لمنطقة شاسعة امتدت من المدينة ومكة في قلب الجزيرة العربية إلى أقصى حلب الشهباء قرب الحدود التركية[22] .

ومن هنا يتضح أن العروبيين وثورتهم اللورنسية المعروفة باسم الثورة العربية الكبرى والتي قادها الشريف حسين وأولاده كانت من العوامل المساعدة جداً لإقامة الدولة الصهيونية .

ويرى المرحوم الشهيد الدكتور عبدالله عزام أن القدس وتركيا سقطتا معا عندما وقف العرب بجانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى وأغمدوا أنصالهم في قلب تركيا المسلمة مقابل وعود بريطانيا بإعطاء الشريف حسين ملك العرب .

ثم اتفقت بريطانيا وفرنسا على تقسيم ممتلكات تركيا فيما إذا هزمت وذلك في معاهدة سايكس بيكو في مايو 1916 .

واتفق اللنبي القائد الإنجليزي مع مصطفى كمال أتاتورك سرا ــ قائد الجيش الثاني في فلسطين ــ وسمح للنبي أن يضرب مؤخرة الجيوش التركية الأربعة مقابل تسليم تركيا فيما بعد وفعلا حدث ، وانسحب أتاتورك ووقع مائة ألف من الجيوش

التركية في أسر الإنجليز ودخل القدس في 9 نوفمبر 1917 وأطلق كلمته المشهورة التي تعبر عن الحقد العميق « الآن انتهت الحروب الصليبية »[23] .

وعد لينين ووعد بلفور

ويعتبر وعد بلفور هو أكثر الوعود شهرة لأنه هو الذي تم تنفيذه وخرج إلى الإطار العملي ولكن هناك وعد صدر في أكتوبر سنة 1917 من لينين الزعيم الروسى الشيوعي « لمنح اليهود وطنا في فلسطين »[24]

وهكذا شارك الشيوعيون في المؤامرة الدولية ضد فلسطين كما أن روسيا كانت أول من اعترف بإسرائيل عند قيامها !

ويلاحظ أن وعد لينين صدر قبل وعد بلفور بشهر تقريبا حيث صدر وعد بلفور بالتحديد يوم 2 نوفمبر 1917 والذي جاء فيه :

« عزيزى اللورد روتشيلد : إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وسوف تفرغ خير مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، وليكن معلوماً أنه لا يسمح بإجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن ، أو الحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها »[25] .

وقد وافقت فرنسا على وعد بلفور بعد صدوره بثلاثة أشهر أي في فبراير عام 1918 ووافقت عليه الولايات المتحدة الأمريكية رسميا سنة 1922 كما يقول د . عبدالله عزام وهنا تتضح ملامح المؤامرة الإمبريالية ضد فلسطين والعرب والعالم الإسلامي والتي شارك فيها العرب القوميون بوعي أو بدون وعي تحت غطاء تحقيق الأماني القومية العربية !!

و لم يكن هذا الوعد البريطاني إلا إحدى الوسائل لخلق جسم غريب في قلب الديار الإسلامية لتحطيم الدولة العثمانية « فقد راع أهل الغرب عامة والإنجليز خاصة ما بلغته الإمبراطورية العثمانية من مكانة وشوكة في القرنين السابع عشر والثامن

عشر ، ووجدوا فيها عقبة كأداء تقف في طريق توسعهم واستعمارهم ، وكذلك هال أهل الغرب قيام الخلافة الإسلامية في استانبول ، وبعث نفوذها العظيم في ديار المسلمين التي كانوا يطمعون في الاستيلاء عليها واستعمارها ، فثارت في نفوس الغربيين العصبية الصليبية والروح الاستعمارية ، وصار هدفهم تقويض تلك الإمبراطورية والقضاء على الخلافة الإسلامية »[26] .

وقد أسهمت كل الدول الصليبية في هذا العدوان المبيت على الخلافة الإسلامية وهو ما تقرر أيضا في المؤتمر الاستعماري الذي عقد عام 1907 وانتهى إلى ما يسمى تقرير « كامبل بانزمان » رئيس الوزراء البريطاني آنذاك وقد تضمن هذا التقرير الخطير : « أن الخطر الذي يهدد الاستعمار الغربي يكمن في البحر المتوسط والذي يقيم على سواحله الشرقية الجنوبية شعب واحد يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، وبما في أراضيه من كنوز وثروات ، تتيح لأهلها مجال التقدم والرقي في طريق الحضارة والثقافة واقترح التقرير كوسيلة عاجلة لتجزئة المنطقة والإبقاء على تفككها فصل الجزءين الإفريقي والآسيوى في هذه المنطقة أحدهما عن الآخر ، وإقامة حاجز بشري قوي وغريب في نقطة التقاء الجزءين ، يمكن للاستعمار أن يستخدمه أداة في تحقيق أغراضه »[27] فموافقة ياسر عرفات على بقاء هذا الكيان يدخل في إطار المشاركة في المؤامرة وما يؤكد صليبية المؤامرة أن البابا في روما كان قد دعا أتباعه في العالم بأسره وكثيرين منهم ألمان ونمساويون (حلفاء تركيا) أن يقدموا الشكر لله بمناسبة احتلال القدس ، وينهاهم عن السعي لإعادتها إلى تركيا . وقد شاركت الكنائس الألمانية كنائس أوروبا فرحتها وقرعت أجراسها معها ابتهاجاً لدخول اللنبي القدس . وهكذا ينسى الأعداء خصومتهم السياسية واندحارهم العسكري تحت لواء الصليب . فلماذا يسارع عرفات إذن إليهم ليساعدوه على حل المشكلة الفلسطينية ولماذا يقوم بخطب ودهم على حساب تعب الفصائل الفلسطينية المجاهدة ؟

ومن هنا تتضح ملامح المؤامرة بأنها كانت موجهة للإسلام ودولته الواحدة المتمثلة في الخلافة العثمانية وإن كانت قد اختارت فلسطين لتنفيذها فإن ذلك يرجع إلى ما تمثله من قيمة دينية مقدسة يمكن من خلالها استثارة المشاعر اليهودية والصليبية

ضد المسلمين ويمكن من خلالها حشد الجيوش وتجييشها بالإضافة إلى قيمتها الجغرافية الاسراتيجية حيث إنها مفصل هام داخل الكتلة العربية المسلمة ولذلك فلا يحق لياسر عرفات وأتباعه التصرف في القضية الفلسطينية على أساس وطني وقومي لأنها قضية إسلامية في الأساس الأول ويجب استخدام الطرق الإسلامية لاستعادتها وعدم التفريط في بوصة واحدة منها كما سنوضح فيما بعد .

الفيلق اليهودي

وكما تنبأ هرتزل بأن الحرب « يقصد العالمية الأولى » ستتحول لصالحهم . فلقد كانت تتيح فرصاً رائعة ، سواء في فلسطين أو في خارجها لصالح اليهود . ففي أوائل الحرب قام شابان ، هما جوزيف ترومبيلدور وفلاديمير جابوتنكسى ، بتكوين وحدة يهودية مقاتلة ، هي « فرقة البغالة الصهيونية » وعملت هذه الوحدة مع الجيش البريطاني في جاليبولى . وخلال هذه الحرب أيضا قام هارون ارنسون بتنظيم شبكة تجسس ، اسمها « النيلي » وهي كلمة تتكون من الأحرف الأولى لاسم الشبكة الذي ترجمته « إن اليهودي الخالد لن يخفق » وقد تعاونت هذه الشبكة مع المخابرات البريطانية وفي نهاية الحرب نجح جابوتنسكى في تكوين « الفيلق اليهودي » من أربع كتائب من حملة البنادق الملكية وكان مجموعها خمسة آلاف جندي حاربوا مع البريطانيين تحت رايتهم .

وحتى تتضح معالم الفكر العسكري والسياسي والتوسعي لأحد قادة هؤلاء اليهود وأعني به ترومبلدور والذي كان الضابط اليهودي الوحيد في جيش القيصر نذكر قوله : « إننا بحاجة إلى رجال مستعدين لأن يفعلوا كل شيء .. وعلينا أن نربي جيلاً من الرجال ليست لهم مصالح وليست لهم عادات .. رجال يكونون مثل قضبان الحديد فهي مرنة ولكنها من حديد معدن يمكن تشكيله إلى كل ما نحتاج إليه للآلة الوطنية .. إلى عجلة ، إنني أنا العجلة .

إذا كانت هناك حاجة إلى مسمار فخذوني ! هل هناك حاجة إلى من يحفر

الأرض ؟ إني أحفرها .. هل هناك حاجة إلى إطلاق النار .. أو إلى جندي ؟ وإنني جندي .. إنني المثل الأعلى المجرد للخدمة المستعد لكل شيء »[28] فلماذا لا يقتفي عرفات ورفاقه أثر هذه الفكرة التي ساعدت على قيام إسرائيل ؟ ويتفانى من أجل ذلك بدلاً من أن يرفع شعارات جوفاء من أجل السلام .

هذه هي العقيدة القتالية والوطنية التي تم بثها في الأجيال الصهيونية التي استطاعت بها وبفضل المساعدات الإمبريالية إقامة دولة « إسرائيل » المغتصبة في حين أن العرب كانوا يمارسون أعمال الاحتجاج والشجب لدى الدوائر الاستعمارية بل ويساعدون بريطانيا ضد دولة الخلافة الإسلامية رغم أن جابوتنسكى كان يرى « أن تأسيس وتوطيد أغلبية يهودية في فلسطين يجب أن يتم ضد رغبة الأغلبية العربية الحالية ، وأن جداراً حديديا من القوة المسلحة اليهودية يجب أن يحمي عملية تحقيق هذه الأغلبية »[29] ولكن عرفات يطالب الثورة الفلسطينية والمجاهدين أن يلقوا السلاح القليل الذي في أيديهم ليرضى عنه اليهود والنصارى .

ولذلك كان تأسيس الفيلق اليهودي الذي أشرنا إليه آنفا هو العمود الفقري العسكري للدولة اليهودية المقبلة واحتلال فلسطين بعد الاستيلاء البريطاني عليها ويدعمه وثيقتان أساسيتان كان لهما دورهما في إقامة « إسرائيل » وتشكيل التاريخ الحديث للشرق الأوسط وهما وعد بلفور واتفاقية سايكس بيكو .

ولذلك نرى أن حاييم وايزمان أحد زعماء الصهيونية يقول أمام مؤتمر في لندن بعد عامين من إعلان تصريح بلفور : « إنني اعتمد على الله في قيام الدولة اليهودية . ولكنها لن تقوم بالتصريحات السياسية ، بل بعرق ودماء الشعب اليهودي . إن تصريح بلفور هو المفتاح الذهبي الذي سيفتح أبواب فلسطين ، ويتيح لكم الفرصة لكي تبذلوا كل جهودكم في فلسطين .. لقد طلب منا أن نصوغ رغباتنا ، فقلنا إننا نريد أن نخلق في فلسطين الظروف السياسية والاقتصادية والإدارية التي نستطيع معها عندما تنمو البلاد أن نجلب إليها عدداً كبيراً من المهاجرين ، ثم نقيم مجتمعنا في فلسطين لتكون فلسطين يهودية مثلما أن انجلترا إنجليزية ، وأمريكا أمريكية . وآمل أن تصبح

الحدود اليهودية لفلسطين متسعة بقدر اتساع الطاقة اليهودية للحصول ؛
فلسطين »[30] .

ويقول هيرست إن المؤرخين الصهاينة حذفوا هذه الفقرات التي تفضح نو
الصهيونية من الطبعات الأخيرة من الكتاب الذي ظهرت فيه . وكان هيرست ا
نقل النص السابق من كتاب حايم وايزمان ، مقتطفات من بياناته التاريخية وكتابا
وخطبه من منشورات الوكالة اليهودية لفلسطين بنيويورك عام 1952 .

وبالتالي يتضح أن تصريح بلفور كان هو « الإطار الفارغ » كما وصفه وايزما
فيما بعد للملأ وأن حدود فلسطين متروكة لقدرة اليهود على التوسع والتي يجد
أن تشيد بخطى بطيئة وتدريجية ، وبانتظام وصبر كما يقول وايزمان .

ويقول دافيد هيرست صاحب كتاب البندقية والزيتون : إن بلفور كتب
يقول : « هل نعني ، في حالة سوريا، أن نراعي أساساً رغبات الأهالي ؟ إننا لا نعني
شيئا من هذا القبيل .. إن التناقض بين المعنى الحرفي للميثاق وسياسة الحلفاء لفاضح
بالنسبة إلى « أمة فلسطين المستقلة » أكثر منه بالنسبة إلى « أمة سوريا المستقلة »
لأننا في فلسطين لانقترح المضي حتى إلى شكل مراعاة رغبات السكان الحاليين فيه
وهناك التزام من جانب الدول الأربع الكبرى للصهيونية .. سواء أكانت الصهيوني
على حق أو باطل ، وسواء أكانت خيرة أم شريرة فإن لها جذورا متأصلة في تقاليد
سرمدية . وفي احتياجاتها الحالية وفي آمالها المستقبلة ، ذات مغزى أعمق من رغبات
وتطلعات سبعمائة ألف عربي يسكنون اليوم هذه الأرض القديمة .. وقصارى القول ؛
أنه ـــ فيما يتعلق بفلسطين ، لم تصدر الدول الكبرى أي بيان يوضح حقيقة الأمر ،
وهذا باعتراف الجميع ، ليس بخطأ ، كما أنها لم تصدر أي تصريح بالسياسة التي
لاتعتزم دائما انتهاكها ولو حرفيا[31] .

وهكذا يتضح من التاريخ السياسي للقضية الفلسطينية أن الدول الغربية سواء
شئنا أم أبينا تؤيد الصهاينة ولا أمل مطلقا في تلقي الدعم منهم لإقامة دولة فلسطينية

على جزء من فلسطين كما يأمل حاليا عرفات ورفاقه . كما أن التصريحات السياسية لن تقيم دولة كما قال وايزمان ، ولكن بذل الدماء والعراق هو الطريق الوحيد لإقامتها وهو ما لا يستطيعه عرفات .

الانتفاضات الفلسطينية

وعلى الرغم من قوة المؤامرة ضد فلسطين وانقسام العرب والمسلمين فإن الشعب الفلسطيني قام بالعديد من الانتفاضات والثورات الهامة التي تدل على بداية الوعي السياسي للمقاومة الفلسطينية وإن كان أهم ما يميزها قيادة الاتجاه الإسلامي لها ويمكننا رصد الثورة الأولى في أبريل 1920 وذلك عندما اعترض بعض اليهود على احتفال العرب التقليدي بالنبي موسى واختطفوا العلم العربي ، مما أدى إلى اندلاع معركة بين الجانبين وأسفرت عن قتل تسعة من اليهود واستشهاد أربعة من العرب وإصابة 250 وكان الشهداء الأربعة هم الطليعة الأولى لشهداء فلسطين .

الساسة يخدرون الجماهير

وبدلاً من سلك طريق الجهاد والشهادة لطرد الصهاينة ومواجهة بريطانيا يقوم الساسة بتخدير الجماهير وإقناعهم بالتعامل مع بريطانيا . ففي عام 1921 وجه موسى كاظم الحسيني ، رئيس الهيئة التنفيذية العربية التي كانت تمثل الفلسطينيين في التعامل مع بريطانيا نداء ناشد فيه مواطنيه أن يضعوا آمالهم في حكومة بريطانيا العظمى ، المعروفة بعدالتها واهتمامها برخاء الأهالي ، وصيانتها لحقوقهم ، واستجابتها لمطالبهم الشرعية »[32] .

وذلك بدلاً من مقاومته المشاريع الصهيونية خصوصاً بعد وعد بلفور الذي أثبت خيانة الإنجليز والغرب للعرب وهذا نفسه ما يقوم به ياسر عرفات حيث يسعى لأوروبا لحل قضيته !!

وفي المؤتمر العربي الرابع في 1921 تقرر استخدام الوسائل السياسية لا الوسائل

العنيفة ، لتحقيق المطالب الفلسطينية .. وقد اعترض على ذلك المجاهدون الشبان ، ولكن أعضاء الهيئة التنفيذية العربية والزعماء التقليديين طالبوا باتباع القانون والنظام ووعدوا الحكومة بأنهم سيسعون من أجل ذلك . فقد استمعوا إلى نصائح مجموعة من السياسيين البريطانيين ذوي الميول العربية ممن كان لهم دور بارز في عام 1921 .. لقد نصحوا ــ وكان لنصيحتهم آثارها ــ بأن العنف سيجعل الفلسطينيين محل كراهية العالم الخارجي ، ومن ثم لم يكونوا جديرين بالحكم الذاتي الذي كانوا يطالبون بريطانيا أن تمنحهم إياه . وما إن أصبح الحاج أمين الحسيني مفتيا ورئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى حتى غير موقفه تماما فيما يتعلق بالعنف ــ وبوجه عام ، وضعت بقية الصفوة الحاكمة ــ رغم ما هي عليه من منافسة مريرة وما تتخذه من مواقف نضالية ــ وضعت ثقتها في قدرتها على الإقناع في معاملتها الشخصية مع سلطات الانتداب . ولم تكن هذه الثقة في محلها ، وقد توافر لديها الدليل الكافي على ذلك في عام 1923 . فكلما أخذت المقاومة تثبت وجودها كانت تتدخل عادة لكبح جماحها ، ولم تكن اضطرابات يافا سوى المناسبة الأولى من بين مناسبات عديدة خرج فيها الأعيان مع قوات الأمن ينادون بالتزام الهدوء ، كما نسفوا العديد من أشكال المقاومة السلبية المنظمة كالاضطرابات ومقاطعة السلع اليهودية والامتناع عن دفع الضرائب ، وحظر قبول العمل الحكومى ، التى كانت أغلبية الشعب تؤيدها .

وفي عام 1923 قال جمال الحسيني سكرتير الهيئة التنفيذية لأحد المسئولين البريطانيين إن هناك طريقتين لضمان الحقوق السياسية الفلسطينية إما بالوسائل الدستورية ، وإما بالثورة ، وإن الاختيار وقع على الأولى رغم أن الثانية قد تمنحهم خلال ستة أشهر ما يطالبون به بحق[33] .

وهكذا نلاحظ أنه كلما قاومت الجماهير واقتربت من تحقيق غاياتها يقوم الاستعمار بتحريك طابور السياسيين لتخدير الجماهير تحت دعاوى شتى ودعوة عدم استخدام العنف التي يرفعها ياسر عرفات حاليا مقابل الوعد بدراسة التعامل معه كان قد رفعها من قبله أبناء أسرته فعرفات من آل الحسيني ، من ناحية الأم ونفس المبرر الذي يرفعه عرفات حاليا ضد العنف كان قد استخدمه من قبل الساسة الفلسطينيون لتخدير الشعب ووقف الجهاد فماذا كانت النتيجة آنذاك ؟ بالطبع الجميع

يعرف أن نتيجة ذلك نجاح الصهاينة في إقامة دولة « إسرائيل » وكان من الممكن أن ينجح الفلسطينيون في تحقيق مطالبهم بالثورة كما قال بذلك جمال الحسيني ، فالوسائل السياسية التي يستخدمها عرفات حاليا أثبتت فشلها الذريع بل كانت هي سبب الكارثة التي نعانيها حتى الآن . فلماذا يصر عليها عرفات الآن ؟ ولماذا يضحي بشعبه مقابل ثمن بخس ؟ هو وعد بالحوار الفلسطيني الأمريكي الذي لفظ أنفاسه قبل أن يبدأ بسبب الغزو العراقي للكويت ودعم عرفات لصدام حسين في هذا الغزو . فالحوار الأمريكي الفلسطيني جاء ليقضي على الانتفاضة الفلسطينية في فلسطين المحتلة والتي اندلعت في ديسمبر 1988 ومازالت مستمرة حتى كتابة هذه السطور في نوفمبر من عام 1990 .

نفس المخطط السياسي التاريخي القديم تتم إعادة مشاهده من جديد وإن كان بوجوه جديدة .

ويقول دافيد هيرست عن الساسة الفلسطينيين في فترة العشرينيات إنهم لم يقاوموا العنف فحسب ولكنهم ، أصبحوا أكثر ميلا للتوفيق وبدا أنهم على استعداد لقبول مقترحات لحكم ذاتي محدود مع أنهم سبق أن رفضوا في حزم مقترحات مماثلة لها في عام 1922 .

وفي أوائل 1929 ، تأثر المندوب السامي البريطاني بهذا الاعتدال فبعث إلى لندن ينصح بقبول فكرة قيام مجلس تشريعي .. وقال إن العرب لم يعودوا يطالبون بإلغاء تصريح بلفور والانتداب ، وإن خوفهم من الصهيونية قد تناقص . ومن وجهة النظر التمثيلية والديمقراطية كان هذا المجلس الذي اقترحه المندوب السامي أقل جاذبية من صيغة 1922 ولكن الهيئة التنفيذية العربية وافقت عليه[34] .

وهكذا نرى أن التاريخ يعيد نفسه ولكن دون أن نستفيد منه ، بل نقع فى نفس الأخطاء التاريخية التي أدت إلى المصائب التي نعانيها حتى الآن . فعرفات يريد أن يقيم دولة فلسطينية على جزء محدود من أرض فلسطين واعترف بحق « إسرائيل » في الوجود وقرر وقف أعمال العنف ضدها بل قام بنبذه وإعلان رفضه لكل أعمال

المقاومة التي تسميها أمريكا إرهابا .

ثورة 1929

وعلى الرغم من محاولات الساسة لخداع الجماهير والإذعان للإنجليز واليهود اندلعت ثورة شعبية لمواجهة التنامي الصهيوني المسلح وما أثار مخاوف العرب في اعتقاد هيرست الدليل الذي أخذ يظهر للعيان بصورة مضطردة ، على اكتمال نمو تلك الدولة اليهودية التي كانوا يخططون لها : ومن مظاهره اقتحام الأرض والعمل ، وتمسكهم باللغة العبرية ومدارسهم ومستشفياتهم الخاصة بهم ، وعزلتهم الذاتية من النواحي السكنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وطردهم العرب من كل مؤسسة يقيمونها[35] .

وهكذا يتضح مدى الوعي الشعبي وإحساسه بالخطر الذي لم يشعر به الساسة والأعيان في فلسطين الذين كانوا يعانون من مرض عمى الألوان السياسية وهو ما يحدث حاليا أيضا ولذلك كانت الانتفاضة هي الرد العملي على سياسة عرفات التي حاول أن يبيعها أيضا في تلك السوق ولكن أنى له هذا وثوار الحجارة يواصلون الجهاد بعيداً عن منظمته التي تحاول التحدث باسم الانتفاضة وذلك مثلما كانت ثورة 1929 الرد العملي على الصهيونية والساسة الفلسطينيين في ذلك الوقت والتي كتب عنها الصحفي الأمريكي فنسنت شيهان آنذاك يقول في كتابه « التاريخ الشخصي عن الثورة » كان بالأمس عشية يوم الصيام الذي يبدأ اليوم .. إنه تخليد لذكرى هدم المعبد ويرتبط هذا اليوم بوجه خاص بحائط المبكى .. والآن وقد تم تكوين الوكالة اليهودية أخذت دعاية حائط المبكى تسير بأقصى سرعتها ، وأصبح العرب في حالة قلق نادر ، وأصبح الموقف مهيأ لأي شيء .. القلاقل والمزيد منها .. لم أكن أعلم بشيء من كل هذا ، ولا حتى باقتراب التاسع من أغسطس ، إلا بعد أن وصلت إلى المنزل في الثالثة عصرا ، الآنسة (س) وهي صحفية يهودية أمريكية ناشئة .. وقالت لي إنه يتعين عليها أن تذهب إلى حائط المبكى

وأن تبعث ببرقية منه إلى صحيفة التايمز قالت لي إنه سيحدث « انفجار » في الموقف ، وأن مئات الرواد الشبان سيحضرون من المستوطنات الزراعية ومن تل أبيب بعد الظهر وفي المساء وكلهم مستعدون للقتال وسيكونون مسلحين .. وحبذا لو وقع شجار عند حائط المبكي لإثبات أننا هنا .

وقالت إنه لو وقع شجار فسيكون ذلك من مصلحة القضية الصهيونية ، ويثير يهود العالم ، ويزيد من التبرعات للوكالة الجديدة ، وقد تجمع في الساحة الصغيرة الواقعة أمام الحائط حشد ضخم من شباب المستوطنات وكان أحد يهود اليمن ينشر المراثي ، بينما حوله أربعة آخرون من اليمنيين وقد ارتفع عويلهم أما بقية الحشد فكانوا يتحرقون شوقا للقتال .

السبت 17 أغسطس مر العيد اليهودي المقدس دون كوارث ولكننا الآن وسط عيد إسلامي هو مولد النبي ﷺ وقد حضر بالأمس جمع غفير من المسلمين إلى ساحة حائط المبكي ، وانتزعوا الالتماسات والشكاوى من صخور الحائط .. ولعل هذا كان متوقعا .. ولم يكن هناك أي يهودي ، ولم يصب أحد .. سيصاب اليهود بحالة رهيبة من الهياج .. وأصيب صبي يهودي في شجار يوم الأحد 18 أغسطس بين العرب واليهود ثم توفي يوم الثلاثاء ويبدو أن اليهود هم الذين بدأوا الشجار الذي أدي إلى إصابة الصبي القتيل .. وكان على « الأبطال » الشبان بطبيعة الحال أن ينتهزوا هذه الفرصة لكي يربطوا كل شيء بحائط المبكي وبالهياج العام . وتجمع ألفان أو ثلاثة آلاف من أولئك الشبان يحملون أعلامهم ويحاولون أن يشقوا طريقهم عبر بوابة يافا للوصول إلى المدينة العربية . وكانت مشاعر العرب تتأجج منذ أن رفع أولئك الاغبياء علمهم على حائط المسجد . ولذلك كان من المتوقع أن يحدث شيء .

كان يهود القدس يفوقون العرب في عددهم بنسبة الضعف . وكان من المعروف للجميع أن اليهود لديهم أسلحة نارية . بينما لم يكن لدى العرب شيء منها . وفي هذه الأحوال بدا أنه من المحتمل أن تفوق اليهود عدداً وعدة إلى جانب تنظيمهم وتركيزهم ، قد يتيح لهم إلحاق ضرر كبير بالعرب لمدة يوم أو يومين ، إن أرادوا ذلك وشعرت مما رأيته وسمعته في الأسبوع الماضي بأن هذه قد تكون رغبتهم . أسفرت

الاضطرابات التي نشبت يوم الجمعة عن مقتل الكثيرين ، بين العرب واليهود واستمرت نزوة القتل لمدة أسبوع . وكان التقدير الرسمى للخسائر التي وقعت في القدس هو مقتل 29 يهوديا و38 عربيا وأصابة 43 يهوديا وواحد وخمسين عربيا بجراح .. وهنا وكما حدث في حيفا ، كانت خسارة العرب أسوأ إلى حد بعيد .

وفي أعقاب أهوال الجمعة في القدس ، وقع ما هو أسوأ بكثير .. فقد نشبت ثورة مروعة في الخليل راح ضحيتها أربعة وستون يهوديا وسقط فيها أربعة وخمسون جريحاً فعندما عرف العرب في الخليل بأن اليهود يقتلون العرب في القدس وأن مسجد عمر أصبح مهدداً جن جنونهم ولم تكن قوة الشرطة البريطانية في الخليل كافية فاقتحموا مساكن اليهود ، ومرت ساعة حافلة بالقتل والطعن والحرق والسلب والنهب وكان من بين الضحايا اليهود بعض الصبية الأمريكيين الذين كانوا قد وصلوا منذ وقت قصير للالتحاق بالكلية الحاخامية ، ومات منهم ثمانية أو تسعة في الخليل .. وفي حيفا كان أغلبية اليهود ذوى نزعة صهيونية وكانوا يحتلون موقعا استراتيجياً ممتازاً ومني العرب فيها بخسائر فادحة .. ووقع نفس الشيء في بعض المستعمرات ، بينما كاد البعض الآخر يدمر .. وبانتهاء القلاقل ، سجلت القوائم البريطانية الرسمية ما وقع من خسائر ، تبين منها أن عدد القتلى 207 والجرحى 289 ، وكان من بين القتلى 87 عربيا و120 يهوديا وكان الجرحى العرب 181 واليهود 198 جريحا . لقد كان من الصعوبة التي تكاد تصل إلى حد الاستحالة ، أن يحاول المراسل الصحفي أن يكون دقيقاً أو مجردا من الانفعال .. لقد كنت ناقما على الصهيونيين لأنهم — كما أعتقد — قد جلبوا هذه الكارثة .. وروعني عجز الحكومة البريطانية . كنت أعلم أن السلطات الإسلامية تحاول إخماد العاصفة . ولكن كان كل شيء من حولى دليلاً مرئيا على فشلهم . ورغم أنني قضيت جانبا كبيراً من حياتي وسط مشاهد العنف وأنني ألفت منظر الدماء وموت الرجال ، لم اتغلب أبدا على اشمئزازى لمثل هذا المشهد .

لقد كانت البلاد صغيرة ، مأهولة فعلاً بسكانها ، فلماذا لا يتركها الصهيونيون لشأنها ؟ إنها لن تتسع مطلقا لعدد من اليهود يمكن معه البدء في حل المشكلة

اليهودية .. بل ستظل دائما فريسة لتلك الأهوال الجامحة التي كنت أشهدها كل نهار وكل مساء : فقد كان الدين والعناد الديني الأبدي يضمنان عدم حل المشكلة إلى الأبد .. وبدت الأرض المقدسة أقرب ما تكون إلى جحيم على وجه الأرض لم أر مثيلا له من قبل »[36] .

فهل قرأ عرفات تلك الكلمات ؟ . وقد آثرت أن أنقل شهادة هذا الصحفي الأجنبي بالتفصيل عن تلك الثورة وهي تعبر عن بشاعة اليهود وقسوتهم وأنهم كانوا وراء أعمال العنف العربية التي كانت رد فعل للعنف الصهيوني وعقب هذه الثورة أوفدت بريطانيا لجنة تحقيق برئاسة السير والتر شو وأرجعت العنف إلى مآخذ العرب السياسية والاقتصادية على الانتداب والمظاهرة اليهودية عند حائط المبكى .

وأكدت لجنة ثانية برئاسة السير جون هوب سيمبسون أن مصادر القلق العربي تعود إلى الهجرة واستيطان الأراضي وكان الرأى الذي أعربت عنه اللجنة هو العمل على تقليصهما وإقامة مجلس تشريعى .

وهنا تتضح معالم وثمار العنف العربي الذي كان مفيداً في هذا المجال وإن كانت ممارسة الضغط الصهيوني في أوروبا على بريطانيا قد جعلتها تتنكر لما طلب مبعوثوها وأرسلت خطابا إلى الدكتور وايزمان وهو الذي أسماه العرب الخطاب الأسود الذي أذعن فيه رئيس الوزراء البريطاني رامزى ما كدونالد للمطالب الصهيونية واستمرار الهجرة والاستيطان وكتب المؤرخ الإسرائيلي يهوشع بوراث عن انفجار يافا يقول : « من الصعب تحديد ما كان يمكن أن يحدث لو أن الاضطرابات العنيفة لم تتوقف ، ولكن من العسير أن يفوت المرء فهم الانطباع بأن التطورات التي تبدو إيجابية من وجهة نظر العرب كان من الممكن أن تحدث قبل موعدها بعشر سنوات » .

ويمكننا أن نلخص فترة العشرينيات في عدة جمل بسيطة تعبر عما حدث فمحاولات السياسيين للتعاون مع البريطانيين والصهاينة فشلت لتعنت الآخرين . أما مقاومة الشعب فكانت تفتقر إلى الدعم السياسى والإعلامي المطلوب ولم تؤد إلا إلى إثارة الآمال التي سرعان ما تتحطم على أيدي الزعماء السياسيين التقليديين ولذلك

كان يقول أحد الوعاظ المتجولين إنه لابد من وجود زعماء جدد وأساليب جديدة متطرفة ولكن ياسر عرفات يعيد التاريخ الآن ويقوم بدور الساسة التقليديين وينزع السلاح من أيدي الثوار لصالح الإسرائيليين .

ثــورة عز الدين القسام

وتتميز فترة الثلاثينيات بثورتين مهمتين الأولى تعرف باسم الشيخ عز الدين القسام 1935 والثانية باسم ثورة العرب الكبرى عام 1936 .

والشيخ عز الدين القسام من مواليد مدينة جبلة في الساحل السوري سنة 1871 ودرس في الأزهر وتأثر بالشيخ محمد عبده وعاد إلى سوريا وقام بالتدريس في جامع السلطان إبراهيم بن الأدهم وشارك في ثورة البيطار ضد الفرنسيين ، ثم اشترك في ثورة الشيخ صالح العلي سنة 1919 – 1920 المتعاونة مع ثورة إبراهيم هنانو وبعد معركة القدموس في 23 مايو 1921 هاجر الشيخ القسام إلى فلسطين بعد أن أصدر الفرنسيون حكما بإعدامه بسبب اشتراكه في الثورات السورية ونزل القسام في حيفا وعمل مدرساً في المدارس الإسلامية ومن هنا بدأ يهتم بالقضية الفلسطينية . وفي سنة 1926 انتسب القسام إلى جمعية الشبان المسلمين في حيفا وقاد حركتها وترأسها ثم عين مأذوناً شرعيا عام 1929 وتوطدت الصداقة بينه وبين الحاج أمين الحسيني الذي كان رئيسًا للمجلس الإسلامي الشرعي الأعلى وقد عينه إماما ومدرسًا لجامع الاستقلال في حيفا ومأذونا شرعيا[37] ولم تكن دروس القسام الدينية موقوفة على البحث عن فتوى الزواج والطلاق ولكنه كان درسًا من دروس إعلام المسلمين الذين يؤمنون بأن الجهاد العملي والقتال الصادق هو خير منطق يجابه به الأعداء الذين يهاجمون أرضنا ويدنسون مقدساتنا ، وأنه لا كرامة لمسلم يرضخ للأعداء أو يعاملهم أو يصادقهم أو يطمئن إليهم ، وما انتهى يوما من الأيام من درسه الا وختمه بقوله تعالى : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ وكان الشباب والرجال يلتفون حول الشيخ القسام ، وحين يعودون إلى بيوتهم يتحادثون حول الوطن ويستعيدون دروسه وتعاليمه[38] وأخذ القسام يحذر من خطورة الغزو الصهيوني ويثير روح الوطنية الحقة ، ويحث على إنهاء الضغائن والانقسامات التافهة ومحاكاة أبطال الإسلام في عهوده الأولى وكان يردد في كل الأوقات الآيات التي تدعو للجهاد والتضحية والفداء وأمكنه جمع حوالي ثمانمائة من الرجال

حوله يؤمنون بأفكاره وتلقى مائتان منهم تدريبا عسكريا وأقسموا على التضحية بأرواحهم فداء لفلسطين[39] .

وكان القسام يركز على الطاعة الكاملة والسرية التامة وتقبل الموت في الجهاد من أجل نصرة الدين ومحاربة الإنجليز واليهود ، ولذلك كان عمل القسام سريا للغاية ولا يعرف متى كانت حركته وقيل إنه بدأ حركته عام 1925 وقيل في 1928 وقيل أيضا سنة 1933 . وقد نظم القسام جماعة الجهادية إلى حلقات مؤلفة كل منها من خمسة أشخاص وعلى الحلقة نقيب للقيادة والتوجيه . وكان مسرح التشكيلات الأرياف والمساجد ، وقد عرف كل منضو إلى حركة القسام بلقب الشيخ وتركزت حركة القسام على ثلاث نقاط هي : التنظيم السري وتربية المقاتلين وإعدادهم ، وتعبئة الجماهير نفسيا لتأييد الثورة والاشتراك فيها واعتمد في تمويل الحركة على الاشتراكات وكانت عشرة قروش فلسطينية في الشهر وعلى التبرعات ورفض القسام جباية الأموال من الشعب بالقهر خوفا من التفسخ . وفرض القسام على أتباعه شراء الأسلحة والذخيرة من أموالهم[40] .

وقام القساميون قبل إعلان ثورتهم الكبري بعدد من العمليات الفدائية ضد الإنجليز وضد اليهود كاختبار لمستوى التدريب . ومن هذه العمليات عملية نحلال في مرج بن عامر ، وعملية مستعمرة عثليت 5 وعملية مستعمرة الياجور وهي أخطر وأهم العمليات . بالإضافة إلى قيامهم باغتيال الإنجليز والمتعاونين العرب مع الإنجليز أو اليهود . ونسفت القطارات وهوجمت معسكرات الجيش البريطاني وكانت منطقة المثلث العربي « جنين . نابلس . طولكرم » مسرحا لهذه العمليات البطولية[41] .

ويصف دافيد هيرست الشيخ عز الدين القسام بالفدائي الأول ويقول إنه في الثاني عشر من نوفمبر عام 1935 رأس رجل أشيب اللحية ، في الستين من عمره يرتدي العمامة والعباءة اللتين يرتديهما رجال الدين المسلمون ، اجتماعاً سريا بالحي الفقير بحيفا .

وكان الشيخ القسام قد أدرك أنه لا يستطيع التأخير أكثر من ذلك : وها قد حلت ساعته فالبريطانيون يحكمون فلسطين منذ ثمانية عشر عاما وأصبح حكمهم المكروه منذ البداية غير محتمل تماما لعدم مراعاته مصالح العرب . فالهجرة اليهودية المشروعة ـــ ناهيك عن الهجرة غير المشروعة ـــ لفلسطين كانت قد بلغت رقما قياسيا قوامه 61,844 مهاجرا كل عام . وزادت المبيعات من الأراضي ، ففي عام 1933 لم تتعد هذه المبيعات 673 صفقة ولكنها بلغت عام 1934 ما يصل إلى 1,178 صفقة . وأخذ عدد متزايد من الفلاحين يفقدون مصدر رزقهم ومع هذا قدر بالفعل عام 1931 أن 30 ألف عائلة من الفلاحين يشكلون 22 ٪ من إجمالي السكان في الريف قد أصبحوا معدمين وكان متوسط الدخل الفردي في هذا القطاع السكاني سبعة جنيهات استرلينية كل عام بالمقارنة إلى أربعة وثلاثين جنيها استرلينيا للفلاحين اليهود الذين حلوا مكانهم ومع حلول عام 1935 حلت أزمة اقتصادية خانقة وبسبب الهجرة المتدفقة بلا قيود انتشرت بطالة بشعة بين العرب تنذر بكارثة . ولذلك قرر القسام وأتباعه في تلك الأمسية من شهر نوفمبر الثورة .

وبعد انتهاء الاجتماع في حيفا شق القسام ومجموعة من زملائه المقربين ـــ وجميعهم تقريبا من الفلاحين ـــ طريقهم داخل البلاد متجهين إلى تلال جنين التي تكسوها الأشجار .

وكانوا قد باعوا حلي زوجاتهم وبعض متاع بيوتهم لشراء البنادق والذخيرة وكانوا يقضون سحابة النهار في كهوف تقع بالقرب من قرية « يعبد » يؤدون الصلاة ويتلون القرآن . وفي الليل كانوا ، يهاجمون اليهود والبريطانيين وكان هذا هو هدفهم على الأقل لأنه لم يكد يتاح لهم الوقت الكافي للقتال . إذ لم تضيع السلطات وقتا بعد أن بلغها نبأ ذلك عن طريق أحد المخبرين ، فأرسلت قوة مختلطة من جنود بريطانيين وعرب تعاونهم طائرات استكشاف للقبض عليهم وفوجىء القسام بهذا واضطر إلى الاشتباك في معركة سابقة لأوانها وحين طلب منه الاستسلام صاح قائلا :

لن أستسلم أبداً فهذا جهاد في سبيل الله والوطن . وأخذ يحض رجاله على الاستشهاد . وحينما رأى الجنود العرب أمر رجاله بمهاجمة البريطانيين وألا يطلقوا النار على بني جلدتهم إلا في حالة الدفاع عن النفس فقط . وبعد معركة استمرت عدة ساعات خر القسام وثلاثة من رفاقه صرعى وألقي القبض على الباقين[42] .

ويقول الدكتور محمد على مكي إن القسام خرج في يوم ذكرى وعد بلفور في الثاني من نوفمبر 1935 ويبرر ثورته لرفع معنويات الشعب وتوضيح الأهداف الوطنية وإن حركته ليست للإرهاب أو للسلب والنهب بالإضافة إلى أنه كان يريد من إثارة الروح الوطنية في الفلسطينيين الذين ضعفت همتهم قليلا عام 1935 الضغط على بريطانيا للاهتمام بالمطالب الفلسطينية[43] .

وكان القسام يستطيع الإفلات من الحصار كما فعل البعض ولكنه آثر تحريك القضية الوطنية برمتها ببذل دمه ، وبالتالي آثر الاستشهاد العلني على الاختباء طلبا للنجاة والسلامة ولتظل كلمته خالدة أمام الجماهير تحضهم على عدم الاستسلام فقد قال : « إننا لن نستسلم ، إن هذا جهاد في سبيل الله والوطن ، لا أسلم الا إلى الله » فهل قرأ ياسر عرفات ذلك أم تراه يتغافل تلك الأحداث العظيمة التي تظهره قزماً رغم آلته الإعلامية الضخمة التي تحاول إظهاره بمظهر البطل العملاق ؟!

نتائج ثورة القسام

وإذا كانت ثورة القسام لم تنجح عسكريا فإنها نجحت في تحريك القضية الفلسطينية والرأي العام العربي والدولي وظهر ذلك جليا في تشييع جنازات الشهداء في حيفا التي خرج فيها عشرات الآلاف وأعلنوا الإضراب العام ورافق التشييع اضطرابات متعددة هاجم فيها الشباب قوات الشرطة البريطانية وأصابوا العديد منهم وقام القساميون الذين نجحوا في الإفلات من الحصار ببداية النشاط من جديد وأصبحت هذه الحركة خميرة ثورية في فلسطين حركت كل القوى والأحزاب المعتدلة التي كانت ترفض اعتماد القوة والعنف وكانت المحرك الأساسي لثورة 1936 والتي نجم عنها فكرة إنشاء مجلس تشريعي فلسطيني وفكرة التقسيم .

كما كان رد الفعل لهذه الثورة كبيراً فقد أرسل الشهيد حسن البنا زعيم الإخوان المسلمين في مصر أخاه عبد الرحمن البنا إلى فلسطين للاتصال بالقسام وتقديم الدعم له[44] وبذلك تكون الثورة قد حركت القوى الإسلامية الأخرى في الدول الإسلامية لمساندتها من أجل فلسطين وهي إحدي النتائج الجيدة .

ويرى دافيد هيرست أن هذه الثورة كانت عقيما من وجهة النظر العسكرية إلا أنها أثارت ثائرة الجماهير الفلسطينية . وكانت إيذانا بالمضي في طريق العصيان المسلح . ولم يكن الشيخ القسام يأمل أكثر من هذا . ولكن اليهود فشلوا في فهم مغزاها . فالقسام كان في نظرهم درويشا مجنونا . وعجزوا عن أن يدركوا أنه اصبح للفلسطينيين بدورهم الآن أسطورة خاصة بهم كانوا بحاجة إليها ، أسطورة شبيهة بأسطورة جوزيف ترومبلدو اليهودي ، فقد كان هناك قلائل ماتوا والبندقية في أيديهم مثل الشيخ القسام ، وسنفعل ذلك الآف المرات من بعده . ولكنه كان الفدائي الأمثل الذي يضحي بحياته بما اتصف به من عمق التقوى وإحساس لا يخطيء بأن هناك مهمة منوطة به ، وتعمده بلوغ الذروة بالسعي إلى الموت ، واتبع الشيخ القسام تقليدا بدأ مع غزو غربي سابق لفلسطين . فقد كان الصليبيون هم الذين واجهوا الفدائيين الأوائل ، من مقاتلي الطائفة الاسماعيلية الثورية ، الذين هبطوا من معاقلهم الجبلية شمالي سوريا ليثيروا الرعب في قلوب زعماء الفرنجة . ويعتبر القسام بالنسبة للكفاح ضد غزاة القرن العشرين المثل البارز في تقليد البطولة يتبعة الفلسطينيون حتى يومنا هذا وكتبت جريدة الأهرام تقول : « أيها الصديق والشهيد العزيز لقد سمعتك وأنت تلقي مواعظك من فوق المنبر وتدعونا لحمل السلاح ولكنك اليوم وأنت تعظ الناس من رحاب الله أكثر بلاغة في موتك مما كنت في حياتك » .

كما خشي زعماء الأمة الرسميون المشاركة في جنازة القسام . فقد خشوا المشاعر التي أطلق لها القسام العنان وأحسوا في استشهاده تأنيبا لهم وتهديدا موجها ضدهم . وكانوا على حق في ذلك لأن الصهاينة يدينون في نجاحهم المذهل لظروف شتى لعب فيها عامل المصادفة دوراً في معظم الأحيان إلا أن أبرزها عدم كفاءة الزعماء العرب وعجزهم عن تحمل المسئولية واستهتار وأنانية الطبقات الثرية .

ولذلك تحرك الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين وأصدر فتوى تحرم بيع الأراضي للمهاجرين اليهود وتندد بمرتكبي هذه الجريمة وتعتبرهم مرتدين عن العقيدة

الدينية ويستحقون الحرمان من الدفن في مقابر المسلمين وكان ذلك عام 1935 وعلى الرغم من أن استشهاد الشيخ القسام قد أذكى مشاعر الجماهير فإن الساسة كانوا لا يزالون يعارضون استخدام العنف وفشلوا في طرح أي بديل . وبدلا من المشاركة في تشييع الجنازة أرسلوا برقيات فاترة وهرعوا للمندوب السامي ليقدم لهم بعض التنازلات قبل أن يفقدوا ما تبقى لهم من نفوذ وبالتالي سيفلت زمام الموقف من أيديهم(45) وهو نفس ما يفعله عرفات الآن حيث يريد بعض التنازلات ليقدمها للجماهير الفلسطينية التي فقدت الثقة به وبقيادته .

وهكذا نرى أن استشهاد القسام جدد في النفوس معنى التضحية والاعتزاز بالبطولة وقوى عزم الشعب للجهاد وجعل الزعامات السياسية تفر إلى دار المندوب السامي تطلب الأمان .

ثورة 1936

وبعد مرور شهر على استشهاد القسام أعلن المندوب السامي أنه عازم على تأسيس مجلس تشريعي في فلسطين يتكون من أربعة عشر عضوا عربيا وأربعة عشر عضوا من اليهود والبريطانيين والأجانب ، وأنه سوف يضع قانونا يمنع انتقال الأرض في بعض المناطق ويحتم استبقاء جزء كافٍ لإعالة الأسرة .

ولكن هذا المشروع الذي أراد به الإنجليز تهدئة ثائرة العرب ضدهم واحتواء آثار ثورة القسام ، رفضه اليهود بعنف وعارضه الساسة الإنجليز سواء « سبنل » زعيم المعارضة العمالية ، أو « تشرشل » وأمثاله من المحافظين ، ولم تتقدم بريطانيا بعد معارضة اليهود خطوة في صالح العرب ولم يجرؤ المندوب السامي على تنفيذ ما أعلنه بل قامت السلطات البريطانية باغتصاب أربعمائة ألف متر مربع من أرض المدرسة الزراعية العربية بطولكرم لتسلمها إلى اليهود ، فيتظاهر الطلاب ، وينتشر السخط بين السكان . ثم أقدمت بريطانيا على إعطاء مقاول يهودي بناء ثلاث مدارس في قلب يافا العربية وحرمان العمال العرب من العمل وحينما تظاهروا هاجمهم الجند واعتقلوا العديد منهم . وفجأة ظهرت جماعة عربية مسلحة تعترض السيارات وتقتل

اليهود ووصل عدد القتلى يوم 20 أبريل 1936 إلى 12 يهوديا وجرح 65 منهم بالإضافة إلى استشهاد 6 من العرب وجرح 47 عربياً ، وعمت الاضطرابات القدس والخليل وحيفا حيث بدأت الدعوة للإضراب العام تعبيراً عن السخط ضد السياسة البريطانية .

ثم بدأ الإضراب العام يعم فلسطين كلها واستمر 6 أشهر من أبريل إلى أكتوبر 1936 وعلى الرغم من ذلك لم يقف ملوك وأمراء العرب والمسلمين مع الشعب الفلسطيني على الرغم من أن الصحف العالمية كانت تتابع أنباء هذا الإضراب .

وفي بداية مايو تحول الإضراب إلى جهاد مسلح ولذلك بدأت الاعتقالات وبدأت الحرائق تشتعل في كل مكان والخطباء يثيرون الجماهير في المساجد والكنائس . وأعلنت بريطانيا أن كل قرية أو مدينة يختل فيها النظام سيعين فيها مجموعات من البوليس وفي السابع من مايو والإضراب مستمر وقوي وعنيد ، اجتمعت اللجنة العربية في مؤتمر عام بالقدس ، واشترك المندوبون من القرى والمدن وأعلن أمين الحسيني رئيس لجنة الإضراب أن العرب لم يعودوا يثقون في الإنجليز وأهاب بالأمة أن تثبت إلى النهاية ، مستعرضا أحداث فلسطين وعهود بريطانيا للعرب ، وطالب العالمين العربي والإسلامي أن يدركا فلسطين قبل أن تصبح أندلسا ثانية وتشير البرقيات الصادرة من القدس في التواريخ الواقعة بين اليوم الثالث عشر واليوم الثلاثين من مايو 1936 إلى أن حالة الهياج في فلسطين تبدو شديدة مقلقة . وأن مدن فلسطين تترنح بين القنابل والحرائق . ففي حيفا ألقيت قنبلة على مركز الشرطة وحطمت ثلاث سيارات نقل يهودية . وفي يافا أشعلت النار في مدرسة يهودية وأسفرت الاضطرابات الدموية عن جرح 17 عربيا . وفي القدس أعلن منع التجول وقد قتل من العرب واليهود سبعة أفراد ، وجرح كثيرون وخرجت المظاهرات في كل مكان واصطدم العرب باليهود والإنجليز وطاردت الطائرات الإنجليزية الثوار العرب ونصب الجيش المدافع على الأسطح لضرب السكان ورغم ذلك ظل المجاهدون يقاومون ويشنون الغارات على المستعمرات اليهودية وهكذا انقضى شهر مايو 1936

وفلسطين كلها ثائرة .

وسعى الأمير عبدالله حاكم شرق الأردن إلى التدخل لوقف الثورة وإنهاء الإضراب ، ولكن الشعب الفلسطيني قرر الاستمرار في الجهاد[46] .

وحاولت بريطانيا خداع العرب بإرسال اللجان وإقناع السياسيين بوقف الثورة وأسقطت الطائرات المنشورات تدعو المجاهدين لوقف الثورة إلا أن الشعب أعرض عنها .

وجاء شهر يونيو 1936 لتأخذ الثورة بعداً خطيراً حيث اشتدت هجمات المجاهدين على الجنود البريطانيين واليهود ونسفوا الخط الحديدي بين القدس واللد ويافا ورفض السكان دفع الضرائب واستخدمت بريطانيا الدبابات والطائرات لمواجهة المجاهدين و لم تتوقف الثورة إلا بعد تدخل الملوك العرب ودعوتهم الشعب الفلسطيني لإنهاء الإضراب والثورة[47] .

وقد قررت اللجنة العربية العليا الموافقة على تلبية نداء أصحاب الجلالة الملوك العرب ابتداء من 26 رجب 1355 هـ الموافق أكتوبر 1936 وعادت الحياة إلى طبيعتها وهكذا انتهت الثورة بسبب الخضوع للأساليب السياسية لاستعادة الحقوق العربية .

وعلى الرغم من تلبية الشعب الفلسطيني لنداء الملوك العرب بوقف الثورة فإنها لم تخب نهائيا فكان لها امتدادات في أعوام 37 ، 38 ، 1939 حتى إعلان الحرب العالمية الثانية وبذلك تكون الثورة قد استمرت في الحقيقة 4 سنوات وليس ستة شهور .

ويرى دافيد هيرست أن هذه الثورة لم تكن الزعامة الفلسطينية هي العقل المدبر لها ومع هذا فإنها سلمت بصلتها بما حدث حتى تحتفظ بسيادتها ، وإن كان مدى صلتها بالأمر موضع خلاف . فالثورة كانت تلقائية إلى حد كبير من حيث منشئها . وكان الدافع الرئيسى لها من أسفل ، من أكبر القطاعات سكانا وأدناها مكانة ، من

الفلاحين الذين كانوا أشد القطاعات معاناة من الغزو الصهيوني . وكانت حربا شعبية وإن لم تكن بالمعنى الأيديولوجي الحديث لأنها لم تجعل من الإطاحة بالنظام الاجتماعي القائم هدفا رئيسيا لها أو حتى هدفا ثانويا . وكانت تمثل مرحلة جديدة في المقاومة العربية التي بدأت قبل ذلك التاريخ بخمسة عشر عاما من خلال الثورات المحلية وكان طابع هذه المرحلة هو استخدام العنف المسلح ضد البريطانيين واليهود . وبعد أن حاول ساستهم طيلة عشرين عاما وبلا جدوى اكتساب عطف بريطانيا المعادية أو غير المبالية من خلال اتباع أساليب دستورية اضطر المواطنون إلى الحديث بالبنادق بدلاً من الحديث بالشفاه على حد قول أحدهم . وكانت هذه الثورة تطورا غامضا وإن كان طبيعيا تماما[48] .

وهذه الرؤية لهيرست تقترب بشكل متطابق مع موقف منظمة التحرير الفلسطينية الحالى من الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة حيث تحاول جاهدة نسبة الانتقاضة اليها وتدبيرها لتظل للمنظمة سيادتها على القضية الفلسطينية والتأكيد على أنها هي الممثل الشرعي للفلسطينيين على الرغم من أن الانتفاضة كانت عفوية وتعبيراً عن الرفض الفلسطيني للخط السياسي الذي بدأ ينتهجه عرفات بالتفاوض والاستسلام للولايات المتحدة وإسرائيل .

الجامعة العربية وقرار التقسيم

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية وعلق أمين الحسيني آمالاً عريضة على ألمانيا التي شاء الله هزيمتها فخرج الحسيني إلى سويسرا ثم رجع واستقر في بيروت بسبب مطاردة بريطانيا له وفي أثناء الحرب دخل الفيلق اليهودي مع الحلفاء . وفي سنة 1945 قامت الجامعة العربية . وكان إيدن وزير خارجية بريطانيا آنذاك صاحب فكرتها وكان من سلبياتها إخراج القضية الفلسطينية من أيدي أصحابها وعقدت الجامعة بناء على دعوة الملك فاروق مؤتمراً للقمة في « أنشاص » في 28 مايو 1946 وكان الاجتماع الثاني في بلودان بسوريا من 8 - 12 يونيو 1946 وتم تعيين جمال الحسيني رئيسا للهيئة العربية العليا نيابة عن أمين الحسيني . وفي 29 نوفمبر 1947

اجتمعت هيئة الأمم المتحدة وصوتت بأكثرية الثلثين على قرار التقسيم ورفض العرب القرار واجتمعت اللجنة السياسية العربية في 8 ديسمبر 1947 وأقرت تخصيص مليون جنيه للقتال وتعيين عبدالقادر الحسيني قائداً عاماً للجهاد المقدس وقررت دخول الجيوش العربية بعد انتهاء الانتداب البريطاني في 15 مايو 1948 .

وبدأت الجامعة بعد اتفاق حسن البنا مرشد الإخوان مع عبدالرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية على تشكيل هيئة وادي النيل لإنقاذ فلسطين ، ورئيسها محمد على علوبة باشا ، وكان أمين الحسيني أحد أعضائها وتعرف على البنا في منزل علوبة باشا ووجهت الجامعة نداء إلى الدول العربية أن تفتح معسكرات لتدريب المتطوعين فسلمت مصر معسكر الهاكستب للجامعة وفي سوريا فتح معسكر قطنا(49) .

وما كادت الدول العربية تبدأ تدريب الشباب الفلسطيني في معسكر قطنا قرب دمشق ، حتى تقدم الجنرال كلايتون باسم بريطانيا بمذكرة إلى الجامعة العربية معارضة تسليح الفلسطينيين وتدريبهم ومعتبرة ذلك عملاً غير ودي لأن بريطانيا مازالت موجودة في فلسطين . وكأن رجال الدول العربية كانوا ينتظرون هذه المذكرة حتى أخذهم الرعب وسرحوا الشباب الفلسطيني وسحبوا أسلحتهم تنفيذا لرغبة بريطانيا رغم ما فعلته متناسين أنها تسلح اليهود في داخل فلسطين . وخضوع الجامعة سنة 1947 للمذكرة البريطانية أضر بقضية فلسطين ، لأنه حرم الفلسطينيين من فرصة مهمة للتدريب ، وأعطوا اليهود فرصة السبق في التفوق العسكري الذي حرم منه العرب طويلا(50) كما تتحمل اللجنة العسكرية للجامعة العربية في دمشق مسئولية عدم تسليح عرب فلسطين والوقوف كعقبة في سبيل تحقيق ذلك ويؤكد محسن البرازي وزير الخارجية السورية في مذكراته أنه عندما تبرع الشعب العربي في المملكة العربية السعودية بنحو نصف مليون جنيه للمجاهدين الفلسطينيين عام 1947 ، تدخل المسئولون العرب طالبين تحويل المبلغ إلى الجامعة لا إلى الهيئة العربية الفلسطينية التي ألفتها الجامعة وتولت قيادة الجهاد الفلسطيني ، وحين تقرر في الرياض أيضا مد المجاهدين الفلسطينيين بكميات من السلاح والذخائر بواسطة المفتي تم تحويل

السلاح تحت إلحاح المسئولين العرب إلى اللجنة العسكرية بدمشق بدلاً من إرساله للمجاهدين . ولما سلمت مصر كميات من الأسلحة إلى الهيئة العربية ، نقلت إلى فلسطين بواسطة محافظ سيناء وبعض ضباط الحدود . أسرع أحد أعضاء اللجنة العسكرية بالحضور إلى القاهرة فتسلم بقية السلاح ونقله إلى دمشق[51] .

وهكذا يتضح أن عرقلة تسليح المجاهدين كانت وراء هزيمة الفلسطينيين وضياع فلسطين ، فالبيروقراطية السياسية كانت الضربة القاضية لجهاد الشعب الفلسطيني وفي الرابع عشر من مايو 1948 غادر المندوب السامي البريطاني فلسطين واجتمع المجلس الأعلى لليهود في متحف تل ابيب يوم الجمعة الرابعة مساء وأعلن قيام دولة « إسرائيل » فاعترفت بها روسيا والولايات المتحدة فوراً ثم اعترفت بها بقية الدول الكبرى .

وفي 15 مايو دخلت الجيوش العربية فلسطين وفي 19 مايو سقطت مدينة عكا وفي 2 يونيو دخل اليهود حنين بعد سقوط ألف قتيل يهودي . وفي 11 يونيو سنة 1948 فرضت أمريكا بطلب من اليهود على الدول العربية قبول الهدنة الأولى وفرضت الهدنة على الجيوش العربية وحتى على المجاهدين القادمين من مصر ومن الإخوان المسلمين وكانت الهدنة أربعة أسابيع استورد اليهود فيها الأسلحة وفي 11 يوليو 1948 سقطت اللد والرملة في ساعتين ودخلت الدبابات الإسرائيلية تحمل العلم الأردني . وفي 17 سبتمبر 1948 قتل اليهود الكونت برنادوت الوسيط الدولي ، وفي 23 سبتمبر يعلن أمين الحسيني قيام حكومة عموم فلسطين برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي . في 15 أكتوبر بدأ احتلال بئر سبع ثم حدثت المجازر البشعة ضد الشعب الفلسطيني في ديرياسين وكفر قاسم .

وشاركت « إسرائيل » بعد ذلك في العدوان على مصر عام 1956 ولكن أبناء فلسطين تحركوا وبدأوا بعمليات فدائية ضد « إسرائيل » وفجروا ألغامهم في مدنها وقراها .

وفي الستينات بدأت مؤتمرات القمة في 1964 بالقاهرة والمرة الثانية في

الاسكندرية في نفس العام ، وفي سنة 1965 م عقد الاجتماع الثالث ، ودعت هذه المؤتمرات إلى قيام القيادة الموحدة ، وإعلان ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية ، وما يتبع ذلك من خلق جيش فلسطيني ، ولكن هذه المؤتمرات لم يكتب لها البقاء وعادت العلاقات العربية إلى السوء من جديد مما أضر بالقضية الفلسطينية خصوصًا أن المنظمة زجت بنفسها في الخلافات العربية .

أول بلاغ للثورة الفلسطينية

وفي اليوم الأول من يناير سنة 1965 م أصدرت منظمة فلسطينية تتخذ لها اسم حركة التحرير الفلسطينية (فتح) أول بلاغ لها وقالت فيه :

« اتكالاً منا على الله ، وإيمانًا منا بحق شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب ، وإيمانًا منا بواجب الجهاد المقدس ، وإيمانًا منا بموقف العربي الثائر من المحيط إلى الخليج ، وإيمانًا بمؤازرة شرفاء العالم ، لذلك فقد تحركت أجنحة من قواتنا الضاربة في ليلة الجمعة 31 ديسمبر سنة 1965 م وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة في الأرض المحتلة ، وعادت جميعها إلى معسكراتها سالمة ، وإننا لنحذر العدو من القيام بأية إجراءات ضد المدنيين الآمنين العرب أينما كانوا لأن قواتنا سترد على الاعتداءات باعتداءات مماثلة وستعتبر هذه الإجراءات من جرائم الحرب ، كما أننا نحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو بأي شكل كان لأن قواتنا سترد على هذا العمل بتعريض مصالح هذه الدول للدمار أينما كانت ، عاشت وحدة شعبنا .. وعاش نضاله لاستعادة بلاده وكرامته ». وكان هذا البلاغ الذي أذاعته منظمة « فتح » عن أولى عملياتها الفدائية فاتحة لعمل كبير في الأرض المحتلة ، وفوجىء الرأي العام بذلك البلاغ وتلك المنظمة ، وأخذت التساؤلات تتلاحق من هم أعضاؤها ؟ وكيف تكونت ؟ من أين تمول ؟ وأثبتت الأيام أنها مجموعة من شباب فلسطين ثقلت عليهم آلام النكبة ، وطال بهم الانتظار فقرروا العمل باذلين أموالهم وأرواحهم في سبيل

ذلك ، واستمرت فتح في أعمالها تقلق « إسرائيل » حتى اندلعت حرب 1967 م التي انتهت بهزيمة الدول العربية .

المسار العملي لتنفيذ المخطط الصهيوني

ويمكننا تلخيص الموقف بأن قيام « إسرائيل » كان نتيجة لمؤامرة عالمية ضد المسلمين ، وتم تنفيذها على خطوات استغرقت كل خطوة عشر سنوات : في سنة 1897 عقد مؤتمر بال ، وفي سنة 1907 م كان العمل الماسوني الذي أسقط السلطان عبد الحميد الذي وقف في وجه الهجرة اليهودية ، وفي سنة 1927 م ازدادت المستعمرات وانتشرت عملية شراء الأراضي بشكل واسع من عائلات سرسق وتيانا وفي سنة 1937 م بدأ اليهود ينشئون القوات النظامية ويكونون العصابات المسلحة ، وفي سنة 1947 م تم إصدار قرار التقسيم ، وفي سنة 1956 م احتلت « إسرائيل » سيناء بعد ضرب الحركة الإسلامية عام 1954 م وفي سنة 1967 م كانت هزيمة العرب أمام « إسرائيل » ، بعد ضرب الحركة الإسلامية أيضًا عام 1965 م ، وفي سنة 1977 م كان الهجوم على لبنان ومعاهدة كامب ديفيد واستسلام مصر وانفراط عقد العمل العربي بشكل نهائي .

مخطط التوسـع

كما لاحظنا فإن التوسع الإسرائيلي جزء من العقيدة الصهيونية ، فبعد انسحاب بريطانيا من فلسطين لم تتوان « إسرائيل » عن توسيع رقعتها باحتلال أراض إضافية ، وبعد قيام « إسرائيل » اغتنمت الدولة الصهيونية كل الفرص لاحتلال أراض جديدة فأثناء العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 م سلبت « إسرائيل » بعض حقوق السيادة المصرية واحتفظت بجزء من الأراضي الفلسطينية والمصرية وثبتت حقها في

المرور الحر من وإلى إيلات . في الفترة من 1957 - 1967 م توسعت « إسرائيل » في أراضي قرى يالو وعمواس واللطرون في الضفة الغربية ، إضافة إلى بعض الأراضي الواقعة عند سفح الهضبة السورية ، ومنذ حرب سنة 1967 م وحتى نهاية سنة 1977 م توسعت إسرائيل في الضفة وهضبة الجولان وسيناء وحاولت بعد اتفاقية كامب ديفيد مع مصر سلب حقوق السيادة المصرية وتجريد بعض المناطق من السلاح واحتلال الشريط الحدودي من جنوب لبنان وإعلان القدس عاصمة لـ « إسرائيل » .

نتائج الصراع العربي الإسرائيلي

وهكذا يتضح لنا أن التوسع هو جوهر الأيديولوجية الصهيونية التي تجسدت في قوة سياسية وعسكرية واقتصادية مارست العدوان والتوسع حتى قامت « إسرائيل » بسبب الوهن العربي الذي تسبب فيه القادة العرب والساسة الذين حاولوا إيقاف المد الثوري وحركة الجهاد الشعبية تحت زعم النضال السياسي هو الحل ، ولقد نجحت الصهيونية بتنفيذ مشروعها بسبب تبعثر العرب وترددهم وبدعم العالم الغربي والشرقي لها .

وفي نهاية الفصل نود أن نركز على نقطة جوهرية هامة وهي أن السياسة هي التي أضاعت فلسطين والساسة هم الذين فرطوا في دم الشهداء وسلموا فلسطين إلى الصهاينة أن الجهاد كان هو الحل الوحيد ولو استمر عدة أشهر لكانت خريطة الشرق الأوسط قد تغيرت تمامًا واختلفت عما هي عليه الآن .

ويبدو أن ياسر عرفات يريد الاستمرار على النهج القديم لإضاعة الثورة الفلسطينية مرة أخرى وينهي البطولة والفداء بالاستسلام والتراجع والتخاذل ، كل ذلك بعد أن ألقى بالبندقية من يده وتحول من فدائيٍّ إلى سياسي يعامل مثل رؤساء الدول ، فقد نجح الاستعمار في تخديره بأبهة البروتوكول والوجاهة السياسية .

مراجع وهوامش الفصل الأول

1 ــ عزام (عبد الله) دكتور : « حماس » الجذور التاريخية والميثاق ، مايو 1989 ، مكتب خدمات المجاهدين ص 10 .

2 ــ المصدر السابق ص 11 .

3 ــ هيرست (دافيد) : البندقية وغصن الزيتون ، الهيئة العامة للاستعلامات ، كتب مترجمة 737 ص 5 .

4 ــ تقرير اللجنة الخاصة بشأن فلسطين ، الجزء الثاني ، اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في 9 / 9 / 1947 م .

5 ــ هيرست (دافيد) : المصدر السابق ص 8 ، نقلاً عن هيرتزل ، مجموعة مخطوطات صهيونية ، دار النشر اليهودية .

6 ــ عبد الرحمن (أسعد) دكتور : رحلة التوسع الصهيوني ، كتاب العربي : الفلسطينيون من الاقتلاع إلى المقاومة ، 15 إبريل سنة 1988 م ، الكويت ص 32 ، 33 .

7 ــ عزام (عبد الله) : مصدر سابق ص 14 .

8 ــ هيرست (دافيد) : مصدر سابق ص 8 .

9 ـــ عزام (عبد الله) : مصدر سابق ص 15 ، 16 .

10 ـــ الفرا (محمد) دكتور : سنوات بلا قرار ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ، سنة 1988 م ص 34 ، 35 .

11 ـــ هيرست (دافيد) مصدر سابق ص 9 ، 10 ، نقلاً عن « دراستان في الفضيلة » لكريستوفر سايكس ، لندن سنة 1953 م ص 160 .

12 ـــ اليوميات الكاملة لتيودور هيرتزل ، مطبعة هيرتزل وتوماس يوسلوف ، نيويورك سنة 1960 م ، المجلد الثاني ص 581 .

13 ـــ هنداوي (سامي) ، الحصاد المر ، نيويورك سنة 1967 م ص 11 .

14 ـــ الكيالي (عبد الوهاب) : تاريخ فلسطين الحديثة ، بيروت سنة 1971 م ، ص 50 .

15 ـــ إيلون (اموس) : الإسرائيليون المؤسسون والأبناء ، لندن سنة 1972 م ص 131 .

16 ـــ المصدر السابق ص 124 ، ص 131 .

17 ـــ هيرست (دافيد) مصدر سابق ص 18 ، 19 .

18 ـــ مانديل (نيفيل) : محاولة للوفاق بين العرب والصهيونيين سنة 1913 / 1914 م دراسات عن الشرق الأوسط ـــ لندن ـــ المجلد الأول عدد 3 إبريل سنة 1965 م ص 263 .

19 ـــ هيرست (دافيد) مصدر سابق ص 23 .

20 ـــ صحيفة المنار ، المجلد 27 ، سنة 1914 م ص 320 .

21 ـــ هيرست (دافيد) مصدر سابق ص 23 ، 24 .

22 ـــ بوبصير (صالح مسعود) : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، دار بوبصير للنشر والأبحاث ص 45 .

23 ـــ عزام (عبد الله) ، مصدر سابق ص 20 .

24 ـــ المصدر السابق ص 20 .

25 ـــ غانم (محمد حافظ) دكتور : المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولي ، مطبوعات معهد الدراسات العربية التابع للجامعة العربية ، القاهرة سنة 1965 م ص 58 .

26 ـــ الغوري (إميل) : المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ومحق العرب ، القاهرة سنة 1955 م ، ص 18 .

27 ـــ حماد (خيري) : التطورات الأخيرة في قضية فلسطين ، الدار القومية للطباعة والنشر سنة 1964 م ، ص 64 .

28 ـــ إيلون (إموسى) : مصدر سابق ص 143 .

29 ـــ شيشخان « جوزيف » :مقاتل ونبي ، قصة فلاديمير جابوتنسكي ، نيويورك سنة 1961 م ص 324 .

30 ـــ هيرست (دافيد) : مصدر سابق ص 31 .

31 ـــ المصدر السابق ص 32 .

32 ـــ بوراث (بيهوشوا) : بزوغ الحركة الوطنية الفلسطينية العربية 1918 / 1929 م ، لندن سنة 1974 م ص 53 .

33 ـــ الكيالي (عبد الوهاب) : مصدر سابق ، ص 178 ، 195 ، 210 ، 273 ، 208 ، 285 .

34 ـــ هيرست (دافيد) مصدر سابق ص 54 .

35 ــ المصدر السابق ص 56 .

36 ــ هير (دافيد) : مصدر سابق ص 59 - 65 ، نقلاً عن فنست شيهان : تاريخ شخصي ، نيويورك سنة 1935 .

37 ــ مكي (محمد علي) دكتور : الشيخ عز الدين القسام شعلة متقدمة في مسيرة الثورة الفلسطينية ، مجلة المنطلق ، لبنان ، العدد الأول ، شوال سنة 1397 هـ ، ص 30 .

38 ــ بوبصير (صالح مسعود) : مصدر سابق ، ص 193 .

39 ــ هير (دافيد) : مصدر سابق ص 72 ، 73 .

40 ــ مكي (محمد علي) : مصدر سابق ص 31 .

41 ــ المصدر السابق وبوبصير (صالح مسعود) مصدر سابق أيضًا ص 193 .

42 ــ هارست (دافيد) مصدر سابق ص 73 .

43 ــ مكي (محمد علي) : مصدر سابق ص 32 .

44 ــ عزام (عبد الله) : مصدر سابق ص 28 .

45 ــ الكيالي (مصدر سابق) ص 296 .

46 ــ السفري (عيسى) : فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، القدس 1937 م ، ص 82 .

47 ــ طربين (أحمد) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين منذ نشأة الصهيونية حتى نشوب الثورة الكبرى سنة 1936 م ، القاهرة سنة 1958 م ص 186 .

48 ــ هير (دافيد) مصدر سابق ص 78 .

49 ــ عزام (عبد الله) : مصدر سابق ص 31 ، 32 .

50 ــ بوبصير (صالح مسعود) : مصدر سابق ص 328 ، 329 .

51 ــ المصدر السابق ، ص 348 ، 349 .

الفصل الثاني

تشكيل المنظمات الفلسطينية
وحلم العودة

على الرغم من نجاح اليهود في إقامة دولتهم والوصول إلى حل للمسألة اليهودية ، فإنهم لم ينجحوا في توجيه ضربة قاضية للمسألة الفلسطينية التي أصبحت تؤرقهم ليل نهار سواء على أرض الواقع أو في المنظمات الدولية ، فمحاولات الساسة الصهاينة تجاهل المشكلة على شاكلة تصريح جولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية عام 1969 م : « لم يكن الأمر أن هناك شعبًا فلسطينيًا في فلسطين يعتبر نفسه شعبًا وجئنا نحن وطردناهم واغتصبنا وطنهم ، إنهم لم يكونوا موجودين على الإطلاق »[1] ، هذه المحاولات من التجاهل كانت ضحكًا على الذات قبل الآخرين لأن البندقية الفلسطينية قد أعادت القضية إلى وضعها الطبيعي ، بل أدخلت كلمة الفدائيين إلى قاموس اللغة الإنجليزية ووسائل الإعلام العالمية بنفس مخارجها الصوتية العربية ونفس معناها بعد أن أصبحت كلمة متداولة وشائعة في نشرات الأخبار اليومية بفضل النشاط الفدائي الفلسطيني الذي نحاول أن نرصده في هذا الفصل ونحدد بداياته وتكويناته ومنطلقاته الفكرية .

مليون فلسطيني بلا زعامة

وقد تركت المأساة حوالي مليون فلسطيني بلا زعامة ، مشتتين مغلوبين على أمرهم ، وكان الاهتمام الأول بالنسبة لمعظمهم ، خلال تلك الأشهر الأولى للمحنة في المنفى ، هو مجرد المحافظة على بقائهم ، وحاول الذين يملكون المال والمهارات إعادة

بناء حياتهم حيثما يكونون .

أما الأغلبية المعدمة ، فقد بقيت حيث استقر بها المقام في مخيمات أقيمت تحت رعاية الأمم المتحدة في لبنان وسوريا والأردن وغزة حول الحدود الخارجية للدولة اليهودية التي تضم أيضًا مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين تشبثوا بأرضهم وواجهوا المذابح ببطولة منقطعة النظير ، وقد أدى ذلك إلى تبلور فكر عدائيٍّ مضاد لـ « إسرائيل » وكانوا يرددون إذا كنا لا نستطيع العودة الآن إلى ديارنا ، فلن نرضى عنها بديلاً ، ولذلك قاوموا كل مشروعات برامج توطين اللاجئين ، وحتى عام 1958 م كنا نجدهم يحتجون مثلاً ضد غرس الأشجار ، التي كانوا يعلمون جيدًا أنها ستوفر لهم الظل المرغوب فيه ، الذي يقيهم حرارة شمس الصيف اللافحة .

وشكل حلم العودة كل شعائر وشعارات المخيمات ، وقد تم غرسه في نفوس الأطفال منذ ولادتهم وزينت المدارس بصورة فلسطين وصور الشهداء ، وأطلقت أسماء المدن الفلسطينية على الفصول وفرق الجوالة ، وتم وضع خريطة الوطن السليب في إطار أسود ، يعلوها صور للمساجد واللاجئين في معسكراتهم ، وكتب بخط واضح عبر صحراء النقب إننا عائدون[1] .

ونجد أن المخيمات الفلسطينية كانت المعمل الذي انصهرت فيه الروح النضالية ، وتشامخت على أرضها رؤى العودة ، وكانت البنية الأساسية لكل المنظمات الفلسطينية .

لقد حافظت هذه المخيمات على الهوية الفلسطينية ، وحصنت الوجدان الفلسطيني ضد كل محاولات التشويه والاختراق ، كما أن هذه المخيمات كانت في الحقيقة المرتع المناسب لكراهية « إسرائيل » والقاعدة الطبيعية لبداية العمل الفدائيّ بشكل عام والذي ارتبط بمنظمة فتح بالتحديد .

مجلة فلسطيننا ــ دعوة للحياة

ويمكننا أن نحدد بدايات منظمة « فتح » ليس في عام 1965 م كما يعتقد

البعض ، ولكن بزوغ هلالها الحقيقي كان في أواخر سنة 1959 م حيث صدرت مجلة شهرية في بيروت توجه حديثها إلى قرائها « أبناء النكبة » ، وكانت محتوياتها تتضمن المقالات والتقارير والأشعار والرسائل والشعارات الخاصة بالشئون الفلسطينية ، وكان شعار المجلة « فلسطيننا ــ دعوة للحياة » لسان حال منظمة حركة التحرير الوطني الفلسطيني التي عرفت فيما بعد باسم « فتح » ، وكانت تهدف في تلك الفترة إلى تحويل حلم العودة إلى حقيقة ، وكان أسلوب المجلة يتسم بالغضب والمرارة والحماس المندفع ، ويمكننا رصد الأفكار الأولى لفتح من خلال أعداد هذه المجلة التي كانت تعمل على إحياء الهوية الفلسطينية وتثوير الشعب الفلسطيني في كل مكان .

« أين أنت أيها الشعب المشتت ؟ .. يا أبناء النكبة أين أنتم ؟ هل أنتم مجرد حطام ونفايا مبعثرة في كل مكان .. ؟ كيف تعيشون ؟ هل تعيشون مع أهلكم وعشيرتكم ؟ أم أنكم مشتتون في كل مكان ؟ هل أصبحتم يا أبناء النكبة أثرياء ؟ أم مازالت السنوات تمضي بكم بخطى ثقيلة في ظل الجوع والمرض ؟ ياأبناء النكبة ، لا يمكن أن تنسوا تلك النكبة الرهيبة بعد أن عايشتموها ، سواء كنتم أثرياء وتحيون حياة رغدة ، أو تعيشون في بؤس المخيمات ، إن فقد الأرض والشرف يصهركم في بوتقة النكبة »[2] .

« هناك حقيقة واحدة أساسية لا تقبل التغيير وهي : رغبتنا الجوهرية في استعادة الأرض التي كانت ملكًا لنا ، والتي نعتبر خسارتها ليست مجرد خسارة مادية ، بل إنها قبل كل شيء إهانة وطنية وشعار للخزي والعار ، ولذلك الأرض هي حريتنا ، وإذا ضاعت أو انتزعت منا ، فإن كل شيء يضيع ، إن مطلب الشرف هو أن نعود إلى أرضنا السليبة نعم ، إنه كل ما يعجل باختفاء « إسرائيل » ، إن الخير ــ الخير الوحيد ــ هو ما يؤدي إلى انهيار الدولة المغتصبة ، والسلام هو الأخذ بالثأر »[3] .

ولكن كيف يتم تحقيق ذلك من وجهة نظر المجلة هل بالوسائل السلمية والاعتماد على المنظمات الدولية أو الدول العربية ؟ بالطبع لا . فالثورة هي الحل الوحيد لاستعادة الأرض[4] .

كما أنه لم يكن مجديًا الاعتماد على الدول العربية التي ترى المجلة أنها « اكتفت بالإذاعات الهستيرية أو المخدرة ، والخطب المثيرة ، والتي نعرف كلنا مضمونها سلفًا[5] .

« لقد سايرتم كثيرًا من الأحزاب ودافعتم عن كثير من القضايا .. فماذا كانت النتيجة ؟ هل استعدتم شرفكم ؟ أو شبرًا واحدًا من أرضكم ؟ هل نجح أي من الشعارات في تخفيف محنتكم ؟ لقد ظللتم مشتتين بلا شرف أو هوية شخصية أو جماعية . فلنرفع راية وحدتنا ، وراية الثورة في فلسطين ، ولنضع هذا الهدف قبل كل هدف آخر »[6] .

هذه كانت رؤية فتح في نهاية الخمسينات وبداية الستينات ، وذلك أثناء محاولتها إعادة الوعي السياسي وإعداد الجماهير للثورة من جديد ، وإن كانت فتح في تلك الفترة لم تتبلور بشكل محدد ومعروف إلا أنه بحلول عام 1964 م ، كان عرفات ورجاله قد نجحوا في أن يجمعوا حولهم نواة منظمة فدائية ، ووافق النظام البعثي في سوريا لإحراج عبد الناصر الخصم اللدود لنزعة المغامرات العسكرية ، على منح منظمة فتح ، قاعدة آمنة ، والمساندة العملية التي تحتاجها للانطلاق ، وساندت القوات الضاربة العسكرية شبكة من المتعاونين والمتعاطفين الذين انتشروا في أنحاء المهجر الفلسطيني ، وكانت منطقة الخليج تخصص جزءًا من ثروة الفلسطينيين لمساندة القضية ، كما كانت مخيمات اللاجئين المصدر الرئيسي للمقاتلين ، ووافق كل قادة فتح على ضرورة بدء العمل في أقرب وقت ممكن[7] . وهو ما سنشرحه بالتفصيل خلال الصفحات المقبلة .

منظمة التحرير الفلسطينية

وفي نفس العام الذي ساعدت فيه سوريا عرفات لتشكيل فتح بشكل عملي نكاية في عبد الناصر قام الرئيس جمال عبد الناصر نفسه بمبادرة شخصية منه ، ودعا إلى عقد مؤتمر قمة عربي ، أثناء خطاب سياسي له في مدينة بورسعيد ، لمواجهة خطط « إسرائيل » لتحويل مياه نهر الأردن ، وانعقدت القمة بالقاهرة ، وخلالها طالب عبد الناصر أن يكون للفلسطينيين شخصية وطنية وكيان سياسي حتى لا تندثر القضية الفلسطينية ، واختير أحمد الشقيري ليكون رئيسًا لهذه المنظمة الوليدة ، فأجرى مشاورات ومداولات في جميع أماكن الوجود الفلسطيني على اختلاف مناطقهم ، فعقدوا مؤتمرًا شعبيًا في مدينة القدس ، وتم وضع ميثاق المنظمة وإقراره في المؤتمر ، الذي أصبح مجلسًا وطنيًا في دورته الأولى بالقدس عام 1964 م ، وهكذا شكل الشقيري المجلس الوطني واللجنة التنفيذية ، وشكل جيش التحرير الفلسطيني ، من قوات القادسية ومقرها بغداد ، وعين جالوت ومقرها مصر ، وحطين ومقرها دمشق ، وتم تعيين وجيه مدني ، بعد أن أتي به من الكويت ، قائدًا للجيش الفلسطيني وربط عمليات هذا الجيش بعمليات الجيوش العربية ، واعتبرت المنظمة منذ ذلك اليوم عضوًا كامل العضوية بجامعة الدول العربية ، فالذي جاء بالتمثيل الحقيقي للفلسطينيين هو أولاً أحمد الشقيري وساعدته الدول العربية في زمن جمال عبد الناصر[8] ، ويمكن اعتبار المجالس الوطنية الفلسطينية الأول والثاني والثالث ، المحطة الأولى في تاريخ المجلس الوطني التي امتدت من 28 مايو سنة 1964 م إلى 20 مايو سنة 1966 م واتخذت خلالها قرارات تمحورت على وحدة فصائل المنظمات وإبراز الشخصية الوطنية الفلسطينية ، وكانت أبرز قرارات تلك الفترة كما أشرنا إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية وإنشاء جيش التحرير الفلسطيني وإقرار الميثاق الوطني الفلسطيني .

ويمكن تسمية تلك المحطة مرحلة تأسيس وترتيب البيت الفلسطيني ، حيث لم

يكن للمجلس الوطني وقتذاك شرعية تمثيلية مطلقة بين الفلسطينيين ، كما أن مؤتمرات القمة العربية لم تكن اعترفت بعد بالمنظمة كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ، وكانت أهم قرارات المؤتمر الفلسطيني الأول الذي عقد في القدس من 28 مايو إلى 2 يونيو سنة 1964 م رفض قرارات التقسيم وأنصاف الحلول والتوطين والتدويل والتأكيد على الكفاح المسلح كوسيلة وحيدة لاستعادة فلسطين .

أما الدورة الثانية للمجلس فقد عقدت في القاهرة في الفترة من 31 مايو إلى 4 يونيو سنة 1965 م ، واتخذ المؤتمر قرارًا يقضي بتسمية نفسه مجلسًا وطنيًا ، ووضع نظامًا انتخابيًا لهذا المجلس وتابع تأطير القوى الفلسطينية التي كانت قد بدأت تظهر إلى العلن ، وأهم قرارات هذه الدورة كان إقرار مبدأ ضرورة التنسيق بين اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، والقوى الثورية المنظمة من أجل توحيد عملها ، وإقرار قانون التنظيم الشعبي مع المطالبة بتسهيل مهمة قيادة جيش التحرير الفلسطيني في اختيار الضباط وانتقالهم وفرض التجنيد الإجباري على جميع الفلسطينيين ومضاعفة الاهتمام بقوات الفدائيين ، ورفضت المنظمة بشكل قاطع دعوة الرئيس التونسي آنذاك الحبيب بورقيبة بقبول قرار التقسيم ، واعتبر المجلس ذلك خيانة عظمى للقضية الفلسطينية وافتراءات على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره .

كما حدد الشقيري في هذه الدورة عشرة أسس تقوم عليها منظمة التحرير الفلسطينية كان أبرزها : أن الهدف الأول والأخير للمنظمة هو تحرير الوطن السليب ، فلا تسوية ولا صلح ولا مفاوضات ولا تعايش مع « إسرائيل » . وحدد الشقيري العلاقة مع الأردن قائلاً إن المنظمة ليست جهازًا رسميًا من أجهزة الأردن ولا تتدخل في شئون الحكومة الأردنية أو الدول العربية الأخرى .

أما الدورة الثالثة فقد عقدت في غزة من 20 إلى 24 مايو سنة 1966 م ، وشهدت أول صدام مع السلطات الأردنية ، وهو أبرز ما شغل منظمة التحرير في ذلك العام .

وأصدرت المنظمة بيانًا حددت فيه موقفها من الأردن وأعلن الشقيري أن الجيش الفلسطيني سيدخل الأردن في الوقت المناسب ولن يعمل أي حساب لحسين .

وتم التشديد على قضية الوحدة الوطنية وتجميع كل القوى الفلسطينية في إطار منظمة التحرير والدعوة إلى انبثاق « القيادة الجماعية الثورية للفصائل المقاتلة » ، وطالب المجلس بالإفراج عن المعتقلين الفلسطينيين في الدول العربية وضرورة حرية العمل الفلسطيني لخوض معركة التحرير ، ودعا إلى وضع استراتيجية ثورية عربية مشتركة للإعداد للمعركة ، واعتبار النفط سلاحًا أساسيًا من أسلحة المعركة[9] .

وكانت منظمة فتح التي ولدت عمليًا في بداية عام 1965 م بزعامة ياسر عرفات ترى في ذلك الوقت أن منظمة التحرير الفلسطينية وليد عربي لا يمكن أن يعبر عن آراء الشعب الفلسطيني ، ولابد أن تكون المنظمة نابعة من الفلسطينيين !!

وبعد هزيمة يونيو سنة 1967 م لم يتمكن الشقيري من الانسجام مع الوضع العربي ، فاستقال من رئاسة المنظمة ، وحل محله مؤقتًا يحيى حموده إلى أن تستقر الأمور ، وفي تلك الأثناء كانت هناك إلى جانب المنظمة ثلاث قوى سياسية فلسطينية هي القوميون العرب بزعامة جورج حبش ، والبعثيون وفتح ، وقد رأت هذه القوى عام 1969 م أنها قادرة على السيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية ، ورأت أن الشرعية الأساسية هي للمنظمة ، وأن المنظمة هي السلطة الوطنية ، فرأت تقفز عليها ، كأحزاب مسلحة تريد القفز على السلطة الوطنية ، فقفز هؤلاء على المنظمة واحتلوها في مرحلة الضعف هذه ، ومع كل ضعف يحيى حمودة آنذاك فقد حصلوا على 20 ٪ من المقاعد في المجلس الوطني واحتفظ المستقلون بالباقي ووقتها انتخبوا ياسر عرفات رئيسًا للجنة التنفيذية ، وعندها بدأت الأمور تسير على غير مجراها حيث اختفى الفلسطيني المستقل وأصبح لزامًا على المستقل أن يكون محسوبًا على هذا التنظيم أو ذاك ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فجمال الصوراني ، المستقل ، محسوب على فتح ، وكذلك عبد الله الحوراني ، أما نبيل شعث المستقل والعضو في المجلس الثوري

لحركة فتح فأصبح غير مستقل ، ولكنه محسوب على سوريا ، وكذلك خالد الفاهوم والشيخ عبد الحميد السائح الذي يعتبر مستقلاً أصبح محسوبًا على فتح ، مما يعني أن هذه الشخصيات أصبح لها لون ، إما أن تنضم إلى هذا التنظيم أو ذاك .. وعلى مر الأيام اختفى اللون الفلسطيني المستقل ليحل محله كرنفال متناقض من هذه التنظيمات والمنظمات ، وأصبح التنظيم الواحد تسعة تنظيمات مختلفة ، مما أدى إلى صعوبة الوحدة الوطنية ، ويتجمع حول عرفات حاليًا كوكتيل فلسطيني يضم الشيوعي والبعثي والإخواني والجهادي[10] .

انبعاث فتح

وحتى نفهم تطورات الأوضاع داخل منظمة التحرير الفلسطينية وعلاقاتها العربية والدولية وإدارة الصراع الفلسطيني على الساحة الدولية سندرس المنظمات الفلسطينية ونشأتها كلاً على حدة وإن كان التركيز الأساسي سيكون على « فتح » .

وإذا أردنا تحديد الانبعاث الحقيقي لمنظمة « فتح » بدقة علينا العودة إلى بداية الخمسينات ، وبالتحديد في قطاع غزة الذي كان يضم ثماني شعب للإخوان المسلمين التي كانت تخوض بعض العمليات الفدائية ضد « إسرائيل » للتعرف على جذور المنظمة من خلال رجالها .

« فلقد ظهر في محيط طلاب الإخوان تكتلان التف أحدهما حول الطالب الجامعي سليم ديب الزعنون الذي أصبح فيما بعد نائب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني وعضو اللجنة المركزية لمنظمة التحرير ، بينما التف الآخر حول الطالب الجامعي حسن عبد الحميد صالح ، وكانت جماعة الزعنون تطلق على نفسها اسم « كتيبة الحق » ، انضمت فيما بعد إلى حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح »[11] .

وشرع الإخوان ينظمون عمليات شبه عسكرية ضد العدو الصهيوني عبر حدود

الأراضي المحتلة ، وكان المحرك لكل هذا النشاط الإخواني هو خليل الوزير (أبو جهاد) ، والذي لقي فيما بعد أهوالاً من التعذيب على أيدي السلطات المصرية وقد كان آنذاك طالبًا في نهاية المرحلة الثانوية[12] .

وقبل العدوان الثلاثي عام 1956 م ، وبعد حل جماعة الإخوان المسلمين عام 1954 م غادر الأخ خليل الوزير قطاع غزة عام 1955 م للالتحاق بالجامعة بالإسكندرية ، وغادر معه العديد من القياديين ، والخلاصة أن الإخوان كانوا في غاية الضعف في الفترة التي تلت حل الجماعة عام 1954 م وحتى سقوط سيناء في يد الاحتلال الإسرائيلي ، ولكن هل يقف الإخوان في صمت بعد الاحتلال ؟ بالطبع لا ، ففكروا في دراسة إمكانات التعاون مع الشيوعيين رغم العداء المستحكم معهم ، وتم الاتفاق على لقاء بين ممثلي الفريقين ، ناب عن الإخوان فيه كل من سعيد المزين (أبو هشام) الذي أصبح فيما بعد ناطقًا رسميًا باسم فتح في بيروت أواخر الستينيات ، ثم ممثلاً للمنظمة في الرياض وغالب الوزير شقيق خليل الوزير وكمال عدوان ، وكان هدف الإخوان الكفاح المسلح إلا أن الشيوعيين كانوا لا يرون ذلك حيث كان برنامجهم تشكيل جبهة وطنية لتنظيم العمل الوطني والمطالبة بحرية الصحافة والتعاون مع الشرفاء داخل « إسرائيل » لإسقاط بن جوريون ، والتمسك ببقاء القوات الدولية التابعة للأمم المتحدة في القطاع إلى أن يتم التوصل لحل نهائي للقضية الفلسطينية ورفض عودة القطاع لمصر ، لذلك رفض الإخوان التعاون معهم[13] .

ونجح الإخوان في قيادة إضراب عام في الأسبوع الأخير من يناير سنة 1957 م ، وعلى إثر ذلك تم اعتقال كل من داود أبو جبارة ، سعيد المزين ، عبد الله أبو عزة ، غالب الوزير ، محمد أبو دية ، منير عجور ، هاشم الخازندار .

وفي أثناء الاحتلال تم إعادة تكوين التنظيم الإخواني السري دون أخذ رأي كبار الإخوان الفلسطينيين أمثال هاني بسيسو وخليل الوزير ومحمد أبو سيدو لوجودهم خارج القطاع ، ولقد أخذ التنظيم الفلسطيني للإخوان يتطور بعد جلاء القوات

الإسرائيلية من غزة ، وكان أهم خطواته مد مظلة التنظيم لتشمل مجموعات الإخوان المسلمين الفلسطينيين خارج قطاع غزة ، وفي سنة 1960 م نضج لدى الإخوان تصور بشأن ربط مجموعات الإخوان الفلسطينيين في إطار تنظيم واحد ، وقد ولد بالفعل هذا التنظيم في اجتماع بالقاهرة ضم عناصر فلسطينية إخوانية ممن كانوا يعيشون في غزة ومصر وسوريا والأردن والخليج ، وتقرر ترك الإخوان الفلسطينيين في الأردن ضمن التنظيم الأردني على أساس أنهم يعتبرون أردنيين من الناحية القانونية[14] .

فتح والإخـوان

ويحكي الدكتور عبد الله أبو عزة في كتابه « مع الحركة الإسلامية في الدول العربية » : « في يوم من أيام شهر تموز « يوليو » من سنة 1957 م جاءني المرحوم هاني مصطفي سيسو بحمل مذكرة مكتوبة في بضع ورقات (فولسكاب) ، وقال إن الأخ خليل الوزير قدمها إليه وفيها مقترحات تقدم مشروعًا لنشاط إخواني كي يتبناه التنظيم .

كانت المذكرة تدعو إلى أن يتبنى الإخوان الفلسطينيون إقامة تنظيم خاص بجانب تنظيمهم ، بحيث لا يحمل لونًا إسلاميًا في مظهره وشعاراته ، وإنما يحمل شعار تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلح ، وأن يتولى التنظيم الجديد الإعداد لهذا الكفاح ، وأن يبدأ بممارسته متى توافرت له العدة ، وعلى الذين ينضمون إلى التنظيم ، سواء كانوا من الإخوان أو من الذين ستوجه لهم الدعوة من خارج الإخوان ، أن يخلعوا ثيابهم الإخوانية أو الحزبية ويلبسوا بدلاً منها ثيابًا فلسطينية كما أن عليهم أن يمتنعوا عن الدعوة لأية عقيدة أو أيديولوجية حزبية ، وألا يقفوا ضد أو مع أية حكومة عربية ، بل عليهم أن يحرصوا على الاستقلال عن كل الحكومات والحركات والأحزاب ، ونوهت المذكرة بأن التنظيم سوف يفتح الأبواب المغلقة بين الإخوان والجماهير ، ويفك عنهم طريق الحصار الناصري الذي لا يرحم ، وفضلاً عن ذلك

فإن العمل المسلح سوف يبقي القضية الفلسطينية حية ويقطع الطريق على محاولة تصفيتها ، كما أنه سيجبر الدول العربية على خوض الحرب ضد الكيان الصهيوني .

وأخذ خليل الوزير والمجموعة المتعاونة معه تتابع الخطة ، وتلح على أفراد الإخوان من وراء ظهر قيادتهم لإقناعهم بالمشروع .

ومع عدم استجابة الإخوان واصلت المجموعة متابعة الفكرة إلى أن ولدت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) في عام 1958 م كما قال المرحوم الشهيد كمال عدوان في حديثه مع طاهر عبد الحكيم والمنشور في شئون فلسطينية ، العدد 17 في يناير سنة 1973 م .

ولم يتوصل الإخوان أنفسهم إلى تصور واضح للقضية ولم يحددوا منها موقفًا واضحًا ومبررًا إلا بعد مضي سنوات ثلاث . فقدوا خلالها أفضل عناصرهم ، ولعل مما ساعد على ذلك وجود أعداد كبيرة من الإخوان الفلسطينيين مبعثرة في أقطار متفرقة بحيث يصعب الامتثال بهم وتوجيههم بشكل منتظم ، ومن ناحية ثانية فإن كون دعاة الحركة الجديدة من الإخوان وكون معظم قادتهم شخصيات إخوانية وقيادية معروفة لا يشك في سابقتها وإخلاصها وولائها ، كل أولئك سهل على التنظيم الجديد اقتناص أفراد كثيرين وممتازين من الإخوان »[15] .

وكان اعتراض الإخوان على الخطة كما يقول الدكتور عبد الله أبو عزة منصبًا على « الخطة والأسلوب إذ اعتبروا الخطة مبنية على كثير من التخيلات غير الواقعية ، ولذلك فإنها لن توصل إلى هدف التحرير ، كما رأوا فيها فتحًا لمعركة من غير أن تكون القوى الأساسية مستعدة لها ، وبناء على الدرس الذي استفاده الإخوان من عدوان سنة 1956 م فإن هناك احتمالاً كبيرًا بأن تقدم « إسرائيل » على احتلال قطاع غزة والضفة الغربية فيما لو تطورت اشتباكات الحدود إلى حرب لم تهيىء الدول العربية نفسها لها ، وبذلك تكون القضية قد انتكست ، ويكون هدف التحرير قد أصبح أبعد منالاً .

كما أن الدول العربية الثورية التي قد تسمح للتنظيم الفلسطيني المقترح بالنشاط فوق أرضها سوف تحرص كذلك على إخضاعه لسياستها وانسجامه مع تلك السياسة ، وستقف مخابراتها وأجهزة أمنها تراقبه وتحصي أنفاسه وستحصر نشاطه فوق أرضها فيما دون مرحلة القتال ، أما إذا أراد أن ينطلق لمهاجمة العدو قتاليًا فلن تسمح له بذلك من حدودها ، بل ستوجهه للانطلاق من دولة عربية أخرى لمجرد إحراج السلطة في تلك الدولة ، وتظل قضية التحرير في إطار المهاترات الرخيصة بين عدد من زعماء الدول العربية[16] .

ومما سبق يتضح أن وجهة نظر الإخوان في تلك النقطتين كانت صوابًا حيث كانت حرب سنة 1967 م التي انتهت باحتلال الضفة والقطاع وسيناء وهضبة الجولان ، وذلك بعد انطلاقة فتح بسنتين فقط ، وذلك لعدم استعداد الدول العربية لتلك الحرب التي لم تستغرق سوى ساعات .

كما أكد ياسر عرفات نفسه فيما بعد « أن بعض الأنظمة التقدمية رددت بأننا نريد توريط الدول العربية ، وقيل إننا كعملاء لحلف السنتو (وارسو) نتآمر لإحراج الأنظمة التقدمية لإسقاطها فوق ساحة القضية الفلسطينية ، وبعد 5 يونيو قيل لنا : إذا أطلقتم رصاصة واحدة اعتبرناكم مجرمين وخونة .. إن عملكم غير المسئول الآن سيؤدي إلى تدمير الأمة العربية .. »[17] .

ويسرد الدكتور عبد الله أبو عزة أسباب رفض التعاون مع التنظيم الفلسطيني « فتح » بقوله : ما الذي يجعلنا نتأكد أن الحزبيين سيخلعون ثيابهم الحزبية على عتبة التنظيم ، فما الذي يضمن لنا أن الشيوعي أو البعثي السابق قد تخلى عن انتمائه السابق قلبيًا لا مظهريًا فقط حتى يتسنى له دخول التنظيم ؟ كما تسقط من الحسبان النقطة الخاصة بأن التنظيم سيفتح الأبواب بين الإخوان والجماهير لأن حرص قادة التنظيم سيكون منصبًا على إبعاد التنظيم عن الإخوان ، إذن سيكون التأييد الجماهيري لفكرة تحرير فلسطين لا للإسلام أو الإخوان ، بالإضافة إلى أن التنظيم الجديد هو الذي

سيستفيد من طاقات الإخوان وتنظيمهم الأم الذي يطلب منه أن يمدهم بالعناصر الصالحة[18] .

وهذه النقاط السابقة كانت صوابًا لأن منظمة فتح نفسها انشقت منها عدة منظمات فيما بعد بسبب عدم خلع رداء الحزبية بشكل جدي وهو ما سنوضحه فيما بعد ، كما أن التنظيم الجديد أراد أن يوظف البعد الجماهيري للإخوان وتنظيمهم لصالحه في البدايات الأولى وبعد ذلك يطيح به .

وكان الحل البديل في نظر الإخوان هو أن يضاعفوا جهودهم لنصرة دعوتهم ورفع شأن حركتهم لأنها عندما تنتصر فهي التي ستحرر فلسطين ، ولن يكون الفلسطينيون وحدهم هم المضطلعين بمهمة التحرير بل ستشاركهم الأمة الإسلامية في سبيل تأدية الواجب المقدس على كل فرد مسلم في إنقاذ أولى القبلتين وثالث الحرمين ، تلك كانت قناعات قيادة التنظيم الفلسطيني وعملت على إيصاله إلى الإخوان منذ عام 1960 م .

المواجهة بين فتح والإخوان

غير أن المشكلة لم تنته بهذا الحسم الذي توصل إليه الإخوان الفلسطينيون عام 1961 م ، ولكن المواجهة استمرت بين الإخوان وفتح في محاولات دائبة من الأخيرة لانتزاع الإخوان من تنظيمهم وحدثت بعض المواجهات الحامية بين الجانبين خصوصًا في قطر ، فحينما ظهرت فتح كانت معظم المناصب الرئيسية في دائرة التربية بأيدي أفراد من الإخوان .

وكانت فتح قد تمكنت من ضم بعض عناصر الإخوان الفلسطينيين إلى صفوفها خلال الفترة من 1958 - 1961 م ، وكان من أبرزهم : رفيق النتشة وأبو يوسف والشهيد محمد يوسف النجار والشهيد كمال عدوان ومحمود عباس (أبو مازن) .

ودأبت عناصر فتح والمؤيدون لها من الإخوان غير الفلسطينيين على الضغط الشديد على العناصر الإخوانية الرافضة للانضمام إلى فتح ، واستخدمت في ذلك الضغط مراكزها وسلطاتها الإدارية ، وزاد الطين بلة أن هذه المواجهة اختلطت بصراع حاد نشب في نطاق الإخوان العاملين بالتربية من أجل السيطرة والاستئثار بمناصب القوى ، فطارت من وقع الصدام بعض العناصر الإخوانية البارزة واختارت عناصر أخرى الاستقالة وغادرت قطر هربًا من جو الصراع الخانق ، وقد شملت إجراءات التضييق على الإخوان الفلسطينيين الملتزمين الحرمان من الترقيات ، وإيقاف العلاوات السنوية والنقل التعسفي والتهديد بالفصل ومحاولات الإغراء بالمنافع الوظيفية والمادية[19] .

وكان طبيعيًا ـــ في ظل هذا الجو المحموم ـــ أن يحدث تطرف في مواقف بعض الإخوان من فتح ردًا على تطرف عناصر فتح في اضطهاد الإخوان . وهذا ما يفسر تجاوز بعض الإخوان لحدود الموقف الرسمي الذي رسمته قيادة الإخوان الفلسطينيين سنة 1961 م ، والذي نص على « أن الإخوان لا يعادون فتح ولا يعارضونها أو يحاربونها ، ولكنهم غير مقتنعين بمخططها ولا يتعاونون معها ، وإذا تعرضوا للهجوم من قبل عناصرها فإن عليهم أن يردوا الهجوم في أضيق نطاق ، وبهدف حماية أنفسهم وتنظيمهم ، لا بهدف الانتقام » .

وما حدث في قطر حدث في معظم البلاد العربية ، وبالتالي يتضح أسلوب « فتح » في التعامل مع الآخرين مما يسقط دعواها إلى الوحدة الوطنية .

فتح من تقارير المخابرات المركزية الأمريكية

وتشير تقارير المخابرات الأمريكية إلى أن فتح تضم ما بين 8 - 10 آلاف عضو وتفوق من حيث الحجم أربع مرات المنظمة التي تأتي بعدها وهي ـــ لذلك ـــ الركن الأساسي في منظمة التحرير الفلسطينية ، وأنها تضم هيكلاً متقدمًا على رأسه

لجنة مركزية قوية جدًا تتألف من أعضائها اليمينيين واليساريين ، وأنها أكثر مالاً من غيرها وعلى مناهج تدريب عسكرية وسياسية وإرهابية واسعة ، وتتلقى فتح من بعض الدول العربية والشرقية من دول حلف وارسو تدريبًا في الطيران والغواصات والأمن والتجسس ، وأن أسلحة فتح لا تملكها سائر المنظمات ، وشريعة فتح هي الكفاح المسلح المشروع لتدمير الحياة الإسرائيلية ، وأنها لا تجد مانعًا من زرع القنابل الصغيرة في الأمكنة العامة[20] .

بدء عمليات الفدائيين

في فترة الستينيات أثناء المد القومي الذي كان يقوده عبد الناصر كان هناك شعار يرفعه الفلسطينيون والعرب وهو : « إن الوحدة هي الطريق إلى تحرير فلسطين » ، وكانت كل الآمال تعقد على عبد الناصر لتحرير فلسطين ، وكان الفلسطينيون هم أكثر المتحمسين في بداية الأمر للوحدة ، ولكنهم كانوا أول من ثار على العقيدة الناصرية ، وذلك بعد مضي السنوات تلو السنوات والقضية الفلسطينية « محلك سر » ، خصوصًا بعد أن فتح عبد الناصر خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية .

وعلى الرغم من بعض الاتجاهات الإيجابية لعبد الناصر بالنسبة للقضية الفلسطينية مثل اقتراحه الخاص بأن تقوم كل دولة عربية مضيفة للفلسطينيين بدمج وحدات فلسطينية في قواتها المسلحة ، وكان ذلك عام 1959 م ، والتي أصبحت فيما بعد تعرف باسم جيش التحرير الفلسطيني ، وكان وراء إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية كما أوضحنا ، إلا أن الفلسطينيين اعتبروا ذلك نوعًا من الوصاية على القضية الفلسطينية ، واعتبرت « فتح » المنظمة صنيعة عربية .

ومما ساعد على نمو « فتح » في تلك الفترة اعتمادها على العناصر الإخوانية المعادية لعبد الناصر وانفصام عرى الوحدة بين مصر وسوريا مما أسقط شعار الوحدة العربية

لتحرير فلسطين ، بالإضافة إلى نجاح الثورة الجزائرية في طرد الفرنسيين ، وأصبحت شعارات الوحدة والتغيير الثوري بالنسبة لمجلة « فلسطيننا » التي كانت تعبر عن فكر « فتح » مجرد ذريعة للتلكؤ والتأجيل ، وأصبح الشعار الذي ترفعه المجلة هو : تحرير فلسطين هو الطريق إلى الوحدة ، وأن الطريق الثوري وثورة الشعب المشرد هو الذي سيحرر الأرض .

وبدأت المجلة في إعداد الجماهير للثورة والعمل الفدائي بعدما نفد الصبر من المراوغة العربية .

وفي اليوم الأول من يناير سنة 1965 م وزع منشور على مكاتب صحف لبنان يتضمن البيان رقم « 1 » للقيادة العامة لقوات العاصفة يتضمن أنه في ليلة الجمعة 31 ديسمبر سنة 1964 م — 1 يناير سنة 1965 م اشتبكت فصائل من قواتنا الضاربة في معركة مع العدو وأدت المهام المسندة إليها في الأراضي المحتلة وعادت إلى قواعدها سالمة ، وحذر البيان « إسرائيل » من القيام بأي إجراء ضد المدنيين العرب الآمنين[21] .

وهنا سؤال يثار لماذا قامت فتح بعملياتها الأولى تحت اسم « العاصفة » ؟ يرجع ذلك إلى خشية « فتح » من فشل العمليات الأولى ، وبذلك تضار مكانتها في البداية ، خصوصًا أن هناك بعض الأصوات داخل فتح عارضت القيام بالعمليات الفدائية في هذا التوقيت حتى لا تتعرض لمخاطر المطاردة والقمع من جانب الدول العربية دون أن تحقق شيئًا مقابل ذلك خصوصًا أن فتح كانت آنذاك مازالت ضعيفة وفي طور التكوين ، وكان تدريبها الذي تم الجانب الأكبر منه في الجزائر غير كاف ، ولكن ياسر عرفات تبنى القيام بالعمل الفوري وأيدته الأغلبية الفلسطينية التي كانت قد ضاقت ذرعًا بالكلام ، ولذلك قالت مجلة فلسطيننا .

« إن شعبنا يتساءل متى سنبدأ ؟ . وهو يشعر أن الوقت قد حان للقيام بعمل ما ، وأن يلقي بنفسه ــ بكل ما يعتمل بداخله من غضب ، وبكل ما في طاقته

من قوة قتالية ، وبكل الغضب الذي يشعر به حتى في أعماقه ــ في المعركة .. إن شعارنا اليوم هو فلنبدأ الثورة »[22] ، وبالفعل بعد ثلاثة أشهر كانت بداية العمليات الفدائية الأولى التي اتخذت طابعًا رومانسيًا وطنيًا في بداياتها ، وكانت هي الأمل لاستعادة الثقة بالنفس من جديد .

رد الفعل العربي

ومن عجائب الأقدار أن العمل الفدائي في بداياته قد واجه معارضة عربية غير معلنة ، فالبيان الأول قالت عنه صحيفة الأنوار اللبنانية إنه وصف غارة لم تقع على الإطلاق[23] ، فقد تلقى جهاز الأمن اللبناني معلومات عن العملية المدبرة واعتقل الذين كانوا سيقومون بالغارة قبل أن يبدأوا في تنفيذها ، وأصبح هذا الوضع التقليدي الذي تعانيه فتح فيما بعد من الأنظمة العربية ، لا يقل إزعاجًا عن « إسرائيل » ذاتها ، فقد فقدت الحركة أول شهيد لها وهو أحمد موسى الذي لم يسقط صريع الرصاص الإسرائيلي ، بل سقط لأن القوات الأردنية أطلقت عليه الرصاص أثناء خروجه من أرض العدو[24] . وياسر عرفات نفسه قضى فترة في أحد السجون اللبنانية بعد قيامه بإحدى الغارات الأولى[25] .

وعلى الرغم من ذلك حققت العمليات التالية لفتح نجاحًا كبيرًا ، وإن كانت قد اقتصرت على تخريب المنشآت المعزولة وقنوات المياه وما شابه ذلك ، وأثبتت منذ البداية براعتها في حرب العصابات ، فقد كانت وحداتها جريئة ، وشنت حرب عصابات في المنطقة الممتدة من النقب حتى الجليل ضد الدوريات الإسرائيلية ، ونجحت في نسف العربات العسكرية ومستودعات الأسلحة والسدود وخطوط الأنابيب .

وما يؤكد نجاح عمليات فتح ضد العدو الصهيوني قيام « إسرائيل » بتوجيه تحذيرات إلى الحكومات العربية المجاورة وتقديم احتجاجات إلى الأمم المتحدة ،

بالإضافة إلى شن هجمات انتقامية واسعة النطاق ، وكان هذا الرد الإسرائيلي من أكثر الأشياء التي عززت مكانة فتح على الساحة الفلسطينية والجماهيرية العربية على الرغم من أن عمليات فتح لم تعجل بتورط عربي في حرب مع « إسرائيل » ، كما كانت تعتقد ، ووفقًا لرؤية الإسرائيليين « فإن فترة العمليات الفدائية من سنة 1965 م حتى عدوان سنة 1967 م والتي كانت تميل للمبالغة في تصوير الغارات الفلسطينية لاستغلالها في تبرير عدوانها وضمان الاستعطاف الدولي ، قد أسفرت عن مقتل أحد عشر شخصًا فقط وإصابة 62 آخرين بجراح ، وزعم الإسرائيليون أنهم قتلوا سبعة فدائيين فقط وأسروا فدائيين ، وحددوا قوة فتح في يونيو سنة 1967 م بأنها مائتا رجل فقط ، ولكن منظمة فتح كانت تشكل بالفعل تحديًا لعبد الناصر ومسانديه من الفلسطينيين الذين ينادون مثله بالتحرير بعد الوحدة العربية وإتمام الثورة الإشتراكية »[26] .

بعد تلقي البيان الأول بادرت صحيفة الأنوار اللبنانية لسان حال الناصرية آنذاك بالهجوم على فتح ونددت بها ووصفتها بأنها أداة « لمؤامرة تحيكها الدوائر الاستعمارية والحلف المركزي والدوائر الصهيونية » وقالت إن مجموعة صغيرة جدًا من الفلسطينيين الذين يقومون بعمليات فردية ، محدودة جدًا يوفرون ذريعة لـ « إسرائيل » لمهاجمة جيرانها وإحباط مشروعهم المضاد لتحويل مياه نهر الأردن[27] .

أما جمال عبد الناصر فحدد موقفه أمام المجلس الوطني الفلسطيني ، وقال في خطبة أمامه صراحة : « إذا لم نكن مستعدين اليوم للدفاع ، فكيف نتكلم عن الهجوم ؟ لابد من قيامنا أولاً بتوفير دفاع عربي ، ثم نبدأ في الإعداد من أجل تحقيق هدفنا النهائي ، ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا عن طريق العمل الثوري »[28] .

والحقيقة أن تحرير فلسطين لم يكن من أهداف الثورة المصرية التي عبر عنها الجيش ، وإنما كان هدفها الرئيسي تغيير الأوضاع المصرية ، ولعل حديث جمال

عبد الناصر عن لقاءاته بالضباط الإسرائيليين وأسئلته لهم أثناء حصار الفالوجة يشير إلى ذلك بوضوح ، ومن هنا كانت حكومة الثورة ميالة ـ في سني حكمها الأولى ـ إلى تصفية الجزء الذي يخصها من القضية الفلسطينية ، وما يؤكد ذلك الاتفاق المصري الأمريكي لتنفيذ خطة إسكان اللاجئين الفلسطينيين في سيناء لتصفية جزء من المشكلة الفلسطينية ، إلا أن معارضة اللاجئين نسفت ذلك المشروع ، وكانت الأعمال الفدائية التي ينفذها الإخوان تهدف إلى تخريب التفاهم المصري ومع وكالة غوث اللاجئين لتنفيذ هذا المشروع[29] ، كما أن مصر كانت تحاول منع العمليات الفدائية من سيناء وغزة خشية الغارات الانتقامية الإسرائيلية ، والتي كانت تحرج عبد الناصر لعدم قدرته على صدها عمليًا ، وإن كان ينجح في ذلك إعلاميًا ، فموقف عبد الناصر من العمليات الفدائية لم يتغير منذ البداية ، ولكنه لم يستطع وقف نشاط الفدائيين .

أما وجهة نظر أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية آنذاك فكانت تتلخص في أنه يرى أن فتح تؤدي دورًا رائعًا جدًا ، ولكن توقيتها غير ملائم وأنه سيحاول وضعها تحت رعاية منظمة التحرير .

ومن الأمور المحيرة أن جورج حبش الذي أصبح فيما بعد رئيسًا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ومن أكثر رموز العنف تشددًا كان يرى احتواء حماس « فتح » الزائد عن حده[30] . بل ولقد ساعد الفرع الفلسطيني للقوميين العرب بزعامة حبش آنذاك على تأسيس لجنة تحضيرية لتوحيد العمل الفلسطيني وأصرت صحيفتها الأسبوعية التي تصدر تحت اسم « فلسطين » على أنه من غير المقبول على الإطلاق أن يتم توريط القوات العربية المجرّدة من أي قوة عسكرية حقيقية ، بكل ما يتضمنه هذا التوريط من مخاطر وعواقب »[31] .

وكان رد فعل فتح الإعلان عن ازدراء منظمة التحرير الفلسطينية وأنها تتكلم ولا تعمل وتجمع الأموال من أجل عقد الاجتماعات الغوغائية ، أما عن العمل الموحد

فإن الوحدة الوحيدة هي في ميدان المعركة والتي يجب أن تكون اليوم لا غدًا .

حركة أبطال العودة

ولا شك أن « فتح » قد نجحت في الظفر بدعم الجماهير المشتاقة إلى التحرير واستعادة الثقة بالنفس وتضميد الجراح الوطنية مما دفع عبد الناصر إلى الدخول في المعمعة قبل أن يفقد بريقه وجماهيريته خصوصًا أنه لا يمكنه تجاهل مشاعر الجماهير ، ولذلك أعطى ضوءًا أخضر للشقيري وحبش للدخول في منافسة مع فتح واستقطاب الجماهير منها ، فكانت حركة أبطال العودة التي اشتبكت في أول معركة في أكتوبر سنة 1966 م تابعة لحركة القوميين العرب وتساندها منظمة التحرير ماليًا وإعلاميًا[32] .

وبدأ الشقيري يرتدي الزي العسكري بانتظام ، وتغيرت لهجته ، ففي 31 نوفمبر سنة 1966 م ، وأمام اجتماع شعبي بغزة يقول : « إن الرصاص والدم سيصبحان الآن الحوار الوحيد بيننا وبين العدو » ، وظهر خلال هذا العام حوالي 40 مجموعة فدائية تعلن أنها ستدفع بمقاتليها إلى الميدان[33] ، وهكذا نجح عبد الناصر في احتواء الجماهير من جديد من خلال تلك التنظيمات .

ولكن عبد الناصر أساء التقدير ووقع في الفخ المنصوب له حيث دخل حرب سنة 1967 م مع الدول العربية ضد « إسرائيل » وهو غير مستعد لها عمليًا مما نتج عنه هزيمة سنة 1967 م واحتلال المزيد من الأراضي العربية ، وقد نجحت « إسرائيل » في ذلك الوقت باستثارة المشاعر العالمية موظفة الأسلوب الدعائي الممجوج لعبد الناصر والفلسطينيين والعمليات الفدائية ضدها ، وبذلك أوجدت المبرر للتوسع والعدوان وسط عطف عالمي وتأييد أوروبي وأمريكي ساحق .

استراتيجية فدائية جديدة

وقد استفاد عرفات من هزيمة يونيو سنة 1967 م بشكل كبير حيث قرر نقل مقر قيادته إلى الأراضي المحتلة لتشكيل حركة فدائية قائمة بذاتها من بين أفراد ذلك القطاع الذي يضم حوالي مليون مواطن ، وهو ما يعتبر رصيدًا استراتيجيًا ضخمًا للعمل الفدائي خصوصًا أن هناك الكثير من اللاجئين السابقين في هذه المناطق الذين ذاقوا مرارة التشريد ، بالإضافة إلى الآخرين الذين يعانون من الاحتلال ، وكانت استراتيجية عرفات الجديدة آنذاك ـــ كما أعلن ـــ قيادة حرب تحرير شعبية واسعة النطاق .

كما شهد شهر ديسمبر تشكيل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اليسارية والمنافسة لفتح ، وأعلنت في بيانها الأول أن اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو هي العنف الثوري ، وبدأ الفدائيون يكسبون التأييد الشعبي والرسمي العربي وبدأوا يهاجمون أحمد الشقيري رئيس المنظمة ، وطالب سبعة أعضاء باللجنة التنفيذية باستقالته ، ثم تطورت الأمور فيما بعد ، كما أوضحنا سابقًا وتولى عرفات قيادة المنظمة عام 1969 م .

الفلسطينيون ضد وقف إطلاق النار

وعندما توقف إطلاق النار بين العرب و « إسرائيل » عام 1967 م أعلن الشعب الفلسطيني أنه لا يعترف بوقف إطلاق النار وليس لأحد أن يمنعه أو يقف في وجهه فإن المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الأجنبي عمل شرعي أقرته الشرائع واعترفت به الأمم المتحضرة .

وفي الرابع من يناير سنة 1968 م دعت فتح إلى مؤتمر عقد بالقاهرة لضمان استمرار النضال والثورة وتصعيدها وشمولها وتخلف عن حضور المؤتمر الجبهة الشعبية ومنظمة التحرير الفلسطينية وجبهة التحرير الفلسطينية ، وقد نجح المؤتمر في توحيد الأجنحة العسكرية لجبهة تحرير فلسطين وحركة الشباب الثوري الفلسطيني والهيئة

العامة لدعم الثورة وحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » على أن تصدر بلاغاتها باسم قوات العاصفة[34] .

وتوحدت الأجنحة العسكرية لجبهة ثوار فلسطين وطلائع حرب التحرير الشعبية وجبهة التحرير الشعبية الفلسطينية وتصدر بلاغاتها باسم قوات الصاعقة ، أما طلائع الفداء فقد اختاروا لبلاغاتهم أن تكون باسم فرقة خالد بن الوليد[35] ، وبدأت الأعمال الفدائية المشتركة تقلق العدو الصهيوني ، خصوصًا بعدما نجحت فتح في تقديم نفسها للجماهير وقبلتها الأنظمة العربية .

والعمل الفدائي الذي بدأته فتح وقدمته لمؤتمر القمة العربي الثالث في سبعة بنود هي : التحرك في محيط القضية الفلسطينية من منطلق فلسطيني مرتبط بترابط الوطن ، والإيمان بأن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين . ومادام الزمن في مصلحة العدو فلتكن المعركة اليوم لا غدًا ، ثبوت إفلاس العمل السياسي والانشغال بالكلام في وقت الانخراط بالكفاح المسلح هو انحراف قومي ، العمل الفدائي تمهيد لحرب شعبية ، والمعركة لكل الشعب العربي ، والشعب الفلسطيني طليعة ذلك العمل ، والقيادة للشعب الفلسطيني وتلاقي المنظمات يجب أن يكون في أرض المعركة .

ولكن يبدو أن عرفات نسي ذلك ، لذا أردنا التذكير به لتوضيح مدى التناقض الذي يمثله عرفات .

يوم الكرامة

يمكن القول إن أول تقدم حقيقي يتمكن الفلسطينيون من إحرازه ضد الإسرائيليين كان يوم معركة الكرامة يوم 21 مارس سنة 1968 م . وكانت تلك المعركة التي أعقبت هزيمة سنة 1967 م هي أول محاولات تضميد جراح الهزيمة

القاسية ، إلا أنها كانت فيما بعد سببًا لتدمير البنية الأساسية للمقاومة الفلسطينية بالأردن ، وكانت الأردن هي أرض المعركة ، خصوصًا أنه خلال الأشهر التي سبقتها أصبح من المؤكد أن الفدائيين قرروا أن تكون الأردن القاعدة الرئيسية لشن الحرب التحريرية ، خصوصًا أن نصف سكانها من الفلسطينيين الذين لا يخضعون تمامًا لسلطة الملك حسين وجيشه ، وكان الملك يحاول وقف النمو الفلسطيني دون جدوى ، وطوال شهر مارس سنة 1968 م ووكالات الأنباء تنقل التصاريح الإسرائيلية بأن حركات المقاومة ضد « إسرائيل » تنتقل من الأردن والتي عليها أن تتحمل المسئولية .

وأعلنت « إسرائيل » أنه في 18 مارس مرت سيارة مدرسية إسرائيلية فوق لغم ، فأسفر ذلك عن مقتل طبيب وإصابة عدد من الأطفال بجراح ، وأعلن الإسرائيليون أن هذه هي قمة عمليات التخريب والقتل التي بلغت حوالي 37 عملية ، وأدت إلى مقتل ستة أشخاص وإصابة 44 بجراح .

وفي 19 مارس سنة 1968 م أصدرت فتح بيانًا تلفت فيه أنظار العالم إلى أن العدو حشد خلال اليومين السابقين قوات كبيرة على طول نهر الأردن ، وأنه يدعي أن « فتح » تنبع من خارج أرض فلسطين ، فتح التي سبق أن ادعى أشكول أنه قضى على 95 بالمائة من رجالها ، وختم التصريح : ليفهم الرأي العام العالمي أن الشعب الفلسطيني يمارس حقه الطبيعي في النضال من أجل تحرير وطنه ، بعد أن عزلته المؤامرات الخارجية عشرين عامًا ، وهو ماض في طريقه يحقق الانتصار تلو الانتصار ولن يتوقف حتى يكتب لثورته العاصفة النصر الكبير »(36) ، وأصبح في حكم المؤكد أن « إسرائيل » ستقوم بضرب قواعد الفدائيين ، وكان الاختيار صعبًا ، هل ينسحبون أم يصمدون ، وكان لابد من الصمود لرفع معنويات الشعب الفلسطيني والشعوب العربية بعد هزيمة سنة 1967 م .

ويصف إيتريش شكرومان الصحفي الألماني بداية المعركة بقوله : « في الساعة الخامسة وأربعين دقيقة من صباح 21 مارس شرعت مئات الدبابات الإسرائيلية تجتاز

الضفة الشرقية لنهر الأردن بعد أن مهدت المدفعية بقصف شديد مركز على المواقع الأردنية ، وفي نفس الوقت نشطت طائرات القتال وقاذفات القنابل الإسرائيلية للعمل وألقت قنابلها في كل مكان وأنزلت الطائرات الهليوكوبتر المظليين في منطقة الكرامة ، وسارت الأمور في البداية حسب المخطط الذي قدرته غرفة العمليات في تل أبيب ، ولكن فجأة بدأت نيران الفدائيين تلتهمهم ، وكان الفدائيون قد تركوا أعداءهم يتوغلون ، ثم اندفع قسم منهم فطوق الإسرائيليين ، بينما اشتبك قسم آخر منهم مع القوات الغازية بالأيدي ورءوس الحراب والمدى وحتى بالأسنان ، ولا تزال آثار أسنان الفدائيين وأظافرهم تبدو بوضوح على وجوه الأسرى الإسرائيليين دليلاً ظاهرًا على مدى حقد العرب على العدو الذي دخل ديارهم »[37] .

ولقد كانت خسائر « إسرائيل » في هذا اليوم تزيد أو تقارب ما خسرته في حرب يونيو ، فقد قدرت الأوساط والصحف الغربية أن « إسرائيل » فقدت ما لا يقل عن 1200 بين قتيل وجريح ، وما لا يقل عن 120 دبابة ومصفحة آلية قد أعطبت[38] ، كما كانت « الكرامة » ميدانًا حقيقيًا للجيش الأردني ليثبت أصالته وبطولته حيث دفع بجنوده إلى الميدان لدعم الفدائيين لصد الغزو الإسرائيلي مما جعل الصهاينة ينسحبون أذلاء في نفس الوقت الذي فر فيه عرفات على دراجة نارية من أرض المعركة .

وعلى الرغم من الخسائر الجسيمة التي منيت بها المقاومة الفلسطينية حيث فقدت نصف قواتها المقاتلة[39] ، وخسر الجيش الأردني 128 قتيلاً وجريحًا ، فإن هذه المعركة كانت نصرًا عظيمًا فلأول مرة يصاب الإسرائيليون بخسائر كبيرة بعد أن اعتادوا على الانتصارات السهلة المريحة .

ولا شك أن قرار الاستشهاد الرومانسي الذي اتخذه الفدائيون حقق نجاحًا باهرًا يفوق كل تصور ، وأصبح الفدائيون محاطين بهالة من البطولة التي كانت الجماهير العربية في حاجة إليها لاستعادة ثقتها بأنفسها من جديد .

وأصبح موضع القدم الذي حصل عليه الفدائيون في الأردن على الحدود الشرقية « لإسرائيل » دولة داخل الدولة الأردنية ، وتقدمت الجماهير العربية للتطوع في صفوف المقاومة ، وبحلول شهر مايو سنة 1968 م كان قد تقدم عشرون ألف مصري للتطوع و 1500 عراقي ، وذلك في أسبوع واحد[40] .

كما انعكس ذلك على الساحة اللبنانية التي أصبحت مركزًا قويًا للفدائيين ، وبدأ العالم الخارجي بعد هذه المعركة يتنبه إلى ظهور قوة جديدة في الشرق الأوسط ، وكان لها رد فعل طيب على المستوى الشعبي الأوروبي حيث بدأت المظاهرات المؤيدة للحق العربي لأول مرة .

جهاد الحركة الإسلامية

ويقول الدكتور الشهيد عبد الله عزام إنه « بعد هزيمة سنة 1967 م تقدمت حركة فتح ووسعت نشاطها ونادت بالناس وتقدم إليها كثير من الناس ، ولكن معظمهم غثاء ، وتأخرت الحركة الإسلامية ولكنها قدمت ثلاث سرايا ، وكان لها أربع قواعد وكانت تحت اسم فتح وكان الناس يطلقون عليها « قواعد الشيوخ » ولقد أبلت بلاءً حسنًا وبقيت مجموعات الشيوخ تشق طريقها بين الأعاصير الهوجاء التي تريد أن تقتلعها من جذورها ، وكانت علاقتنا مع الشعب الأردني طيبة ، خصوصًا آل عبيدات في الرفيد وحرثا حيث وقفوا معنا ومنعوا الجيش الأردني من المساس بنا في سبتمبر سنة 1970 م وقالوا له : عرفناهم لأبنائنا معلمين ولمساجدنا أئمة ولقرانا ولمزارعنا حراسًا أمناء .

وأهم المعارك التي خضناها معركة المشروع ومعركة 5 يونيو سنة 1970 م واستشهد منا مجموعة منهم أبو إسماعيل، مهدي الأدلبي الحموي ، إبراهيم بن بلة ، وبلال الفلسطيني ، وقد ضج الإعلام العربي وخاصة فتح بهذه العملية الرائعة في رابعة النهار . وقمنا بعملية سيد قطب في 29 أغسطس سنة 1970 م واستشهد فيها

أبو عمرو ومحمود البرقاوي وزهير قيشو (من حماة) [41] .

وبعد ذلك بدأ الاستعداد لضرب العمل الفدائي في الأردن عام 1970 م ومحاولة استئصاله لصالح « إسرائيل » خصوصًا بعدما أصبح يهدد أمنها ، وقام الملك حسين كما نعرف بهذا العمل الدنيء لمصلحة الإمبريالية العالمية والصهيونية متذرعًا ببعض أخطاء الفلسطينيين التي ارتكبوها أثناء وجودهم في الأردن .

الحرب الأهلية في الأردن

كما نعرف أن الأردن قد تحولت عقب معركة الكرامة إلى معسكرات للفدائيين الفلسطينيين والمتطوعين العرب وأصبحوا يتصرفون بعيدًا عن الدولة المركزية لدرجة أنه تم اختطاف ثلاث طائرات وهددت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بنسفها بكل من عليها في الأردن ، وكان الملك حسين قد أطلق العنان لمواطنيه من البدو لمواجهة الفلسطينيين ، وتمكنوا بالفعل من قصم ظهر الفدائيين في الأردن ، في ساعة الحسم تعرض الفدائيون لخيانة العراقيين الذين كانوا يعلنون بأعلى صوت أنهم يتضامنون معهم ، أما سوريا ، فقد ساعدت الفدائيين بقوات مدرعة من جيش التحرير الفلسطيني ، ونجح الجيش الأردني في هزيمة الفدائيين بعد قتال وحشي جعل الفدائيين يفرون إلى « إسرائيل » ! وسط ترحيب صهيوني خصوصًا بعد أن أعلن أحدهم : « إنني مستعد للانخراط في صفوف الجيش الإسرائيلي والقتال ضد الأردن ، لأنها أشرس عدو للفلسطينيين ، وهكذا خسر عرفات أهم قاعدة سياسية وعسكرية له ، فالجيش الأردني وليس الإسرائيلي هو الذي أعلن عام 1965 م مصرع أول شهيد فلسطيني وهو الذي نجح فيما فشلت فيه « إسرائيل » في معركة الكرامة ، بتوجيه ضربة مدمرة للمقاومة الفلسطينية عام 1970 م مما اضطر فلولها إلى الذهاب إلى لبنان لإعادة تنظيم الصفوف من جديد ، بجانب باقي المنظمات الفلسطينية الأخرى التي تشارك فتح النضال ، ولكنها تعاديها أيضًا ، ومنها :

الصاعقة

وتعتبر منظمة الصاعقة حصان طروادة في المناورات السورية في الحركة الفلسطينية وأهدافها سورية تمامًا ، وتتفق سوريا والصاعقة على وطن فلسطيني بالضفة والقطاع والمشاركة في المؤتمر الدولي لحل القضية ، وهو ما تتبناه منظمة التحرير حاليًا ، وكان يتزعمها زهير محسن المولود في طولكرم عام 1936 م ، والمنتمي إلى حزب البعث ، وولدت هذه المنظمة في المؤتمر التاسع لحزب البعث السوري فدخلت لبنان بأوامر سورية للظهور إلى الوجود ، وبدأت أولى عملياتها ضد إسرائيل » في نهاية سنة 1969 م ، ولها قواعد بدمشق وبيروت ومخيمات اللاجئين ، وتتركز بطرابلس وعدد أفرادها طبقًا لمصادر المخابرات الأمريكية 2500 ، ويشرف عليها ضباط الاستخبارات السورية[42] .

الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

يقول تقرير للمخابرات الأمريكية إنها ماركسية موالية للاتحاد السوفييتي ، وتهدف إلى إشعال الثورة العمالية في الشرق الأوسط ، وتقبل بقيام وطن فلسطيني في كل أرض محررة وتعارض دائمًا قرارات منظمة التحرير وبنيانها مثل الحزب الشيوعي وعدد عناصرها ما بين 550 و 600 عنصر تدربوا بروسيا وألمانيا الشرقية والعراق وكوبا وأمينها العام نايف حواتمة المولود بالسلط بالأردن عام 1931 م .

وكانت هذه الجبهة قد انشقت على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي أسسها جورج حبش ، وكان ذلك في فبراير عام 1969 م[43] .

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

تعتبر هذه الجبهة أيضًا ماركسية ممعنة في ماركسيتها وترى أن الثورة في النهضة

الفلسطينية تستهل الثورة في البلدان العربية ، وهذه الجبهة هي صاحبة جبهة الرفض ، وترى استخدام كل وسائل العنف لتحرير الوطن الفلسطيني كله وتدمير « إسرائيل » وإنشاء دولة ديمقراطية على أنقاضها ، وأن الإرهاب الدولي جزء من حرب التحرير القومي وترفض الجبهة سياسة منظمة التحرير الفلسطينية الاستسلامية في الرضا بوطن فلسطيني محدود في الضفة أو غزة ، وتبلغ عناصرها حوالي ألف عنصر ، وقائدها ومؤسسها هو جورج حبش المولود في اللد سنة 1926 م ، وقد أسس هذه الجبهة عام 1967 م ، وكانت هذه الجبهة امتدادًا لجبهة التحرير الشعبية القومية العربية التي كان من فروعها عرين أبطال العودة وأبطال الانتقام[44] .

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـــ القيادة العامة

أسسها أحمد جبريل الذي يعتبر من أهم الاستراتيجيين الفلسطينيين ، وأصبحت تمثل السياسة السورية ، ونشأت عام 1968 م وعناصرها حوالي 300 رجل ، وقد خرج من هذه الجبهة تنظيم آخر انشق عليها هو جبهة تحرير فلسطين ويتكون من 100 عضو ويتبعون العراق وأمينها العام طلعت توفيق ، والشخص الثاني فيها هو أبو العباس ، ثم تولى قيادتها بعد وفاة طلعت توفيق[45] .

جبهة التحرير العربية

هي من جبهة الرفض ، أنشأها العراق لتحمي المصالح العراقية في المقاومة الفلسطينية ، وعناصرها من 100 إلى 300 شخص ، يدربهم الجيش العراقي ، ويحمي العراق هذه الجبهة البعثية التي أنشئت في سنة 1969 م ، وقائدها عبد الرحيم أحمد (أبو إسماعيل)[46] .

جبهة النضال الشعبي

أنشئت هذه الجبهة في يوليو سنة 1967 م بقيادة بهجت أبو غربية أحد العسكريين الفلسطينيين وساعده آنذاك المقدم فايز حمدان من جيش التحرير الفلسطيني الذي قتل عام 1968 م أثناء غارة إسرائيلية على السلط ، ولقد ناضل أبو غربية الإنجليز وإسرائيل بحبرون في سنة 1948 م ، وأنه من القادة الأوائل في منظمة التحرير الفلسطينية في سنة 1964 م ، وبعد مجازر الأردن جمد أبو غربية نشاط الجبهة التي عادت من جديد بعد حرب سنة 1973 م ، وفي عام 1974 م تنحى عن العمل وتولى الدكتور سمير الغوشة قيادة الجبهة ، وتتكون الجبهة من حوالي 200 إلى 300 من العناصر الرافضة الفعالة وتملك صواريخ وقاذفات الصواريخ وتعتمد على سوريا والعراق وجبهة الرفض وترفض إنشاء وطن فلسطيني صغير وتطالب بالكفاح المسلح لتحرير فلسطين وتدمير إسرائيل وتأسيس دولة ديمقراطية علمانية ضمن الحدود المذكورة في الميثاق البريطاني[47] .

منظمة حزيران الأسود

إنها منظمة رافضة أشد الرفض هدفها الكفاح المسلح لدحر العدو الصهيوني وضرب الحكومات العربية الرجعية والقضاء على القادة المعتدلين في منظمة التحرير الفلسطينية وهي منشقة عن فتح ، ويقودها صبري البنا المولود بيافا في سنة 1938 م ، والمعروف باسم « أبو نضال » ، وقاد هذا الانشقاق عام 1974 م ، وتتكون هذه المنظمة من 500 عنصر يرون أن فتح تخلت عن الكفاح المسلح إذ ماتت فيها أشواق الثورة ، والمنظمة في يد العراق حاليًا تستخدمها لتنفيذ أهدافها على الساحتين العربية والدولية بالإضافة إلى الفلسطينية[48] .

ولقد قامت هذه المنظمات بصراع فيما بينها سنشرحه في فصل قادم أكثر مما قامت به ضد « إسرائيل » وعانت جميعها من انشقاقات متعددة أخرت القضية الفلسطينية سنوات لأن الذي يحكمها الهوى والصراع الشخصي من أجل القيادة ، ولا شك أن هذه المنظمات المعادية للإسلام فرضت نفسها على ساحة النضال الفلسطيني قبل الإسلاميين ، وهو قصور لا ننفيه ، ولذلك نجد أن هذه المنظمات قامت بمحاصرة أي نبت إسلامي حقيقي ينمو على الساحة الفلسطينية ، والدليل على ذلك ما يقصه الدكتور عبد الله عزام بأنه طُلب لمحاكمة عسكرية لأنه انتقد جيفارا ، وقال للمثقف الثوري الذي يمثل الادعاء من هو « جيفارا » ؟ ، فقال : مناضل شريف ، ثم قال له عزام : ما هو دين فتح ؟ فرد : فتح لا دين لها ، فقال عزام : أما أنا فديني الإسلام ، وجئت لأجاهد في سبيل الله ، وأما جيفارا فهو تحت قدمي[49] .

وما يدل على تخبط هذه المنظمات ومدى غيها وإخلاصها للماركسية ما أعلنته في 4 إبريل سنة 1970 م (الذكرى المئوية لميلاد لينين) ، حيث اتفقت جميعًا دون استثناء على الاحتفال به ولمدة أسبوع ، واشترك وزير الأوقاف الأردني آنذاك في الاحتفال[50] ، وكانت تلك المنظمات اليسارية تسب الله ورسوله علنًا لأن عدد المسلمين كان قليلاً في فتح ، فكانت كلمة سر الليل للجبهة الديمقراطية التي يتزعمها نايف حواتمة شتم الله أو النبي أو الدين ، وكانوا أحيانًا عندما يقابلون أحدًا من الإسلاميين الذين في قواعد الشيوخ يرددون :

إن تسل عني فهذي قيمي أنا ماركسي لينيني أممي

ويؤكد الدكتور عزام أنه لولا الله ثم لافتة فتح لمزقت هذه المنظمات جماعته إربًا إربًا أو لمنعوهم من الجهاد في سبيل الله[51] .

ورغم كل ذلك ، فإن اندلاع « حماس » حركة المقاومة الإسلامية في الأرض المحتلة وقيادتها الانتفاضة الفلسطينية قد أظهرت حقيقة هذه المنظمات القزمية ، وجاءت لترد على سلبياتها وسياساتها الاستسلامية كما سنرى في الفصول المقبلة .

تقييم منجزات فتح

وقبل أن ننهي هذا الفصل الذي أردنا من خلاله تحديد أهم ملامح خريطة المنظمات الفلسطينية التي تولت إدارة الصراع مع « إسرائيل » وصنع القرار الفلسطيني ، واتضح لنا أن فتح هي أهم تلك المنظمات وأقواها قاطبة ، فلا بد أن نحدد بإيجاز أهدافها في مرحلة انطلاقها ، وما هي النتائج التي توصلت إليها منذ محاولات تشكيلها عام 1957 م حتى الآن :

هدف فتح عند إعلانها والذي ظل طوال السنوات الماضية هو تحرير فلسطين كاملة من النهر إلى البحر ، أعلنت ذلك قبل انطلاقها في عام 1961 م من خلال مجلة فلسطيننا « إننا هنا نعلن رفضنا لفكرة التقسيم الاستعمارية ، ونعلن شجبنا للتقسيم ، ونعلن استعدادنا لأن نتهم كل فرد يعمل للتقسيم بالخيانة العظمى والمروق »[52] .

وعندما أعلن الحبيب بورقيبة عام 1965 م رأيًا ينادي بقبول تقسيم سنة 1947 م كان رد فعل فتح ما صدر في البيان رقم 9 باسم بلاغ القيادة العامة لقوات العاصفة ونشرته صحيفة البعث السورية يوم 4 إبريل سنة 1965 م استنكرت فيه ذلك وقالت : لقد حملت لنا الأيام الأخيرة نغمة خيانة جديدة سماها أصحابها واقعية سياسية ، ما هي في الحقيقة إلا سياسة الأمر الواقع التي عملت الصهيونية جاهدة ـــ يسندها الاستعمار العالمي ـــ على تكريسها .

إن القيادة العامة لقوات العاصفة ، التي كرست فكرة الكفاح المسلح طريقًا لاجتثاث الكيان الصهيوني من وطننا السليب ، والتي باشرت أعمالها الفدائية في

ربوع أرضنا الحبيبة ، لا يسعها أمام هذا التهريج الخائن إلا أن تعلن بأن هذه الدعوة المدسوسة كانت طعنة في ظهور جميع العاملين في سبيل تحرير فلسطين ، وفي طليعتهم فدائيو العاصفة » .

وكما أوضحنا سابقًا أن فتح كانت تتصور أن العمليات الفدائية ستجعل إسرائيل ترد بعنف وتشتبك مع الدول العربية التي ستبادر بالرد ، وبالتالي بتحرير فلسطين ، فماذا كانت النتيجة ؟ انهزام الدول العربية واحتلال إسرائيل لكل فلسطين وأراض عربية جديدة ، وذلك لأن الجيوش العربية لم تكن مستعدة لمعركة ، بل أجبرت على خوضها ، وبالتالي ازدادت المشكلة صعوبة .

وكانت فتح تعتقد أن الشعوب العربية ستحميها من أي صدام مع الأنظمة العربية ، فماذا حدث ؟ قام النظام الأردني بتصفية الفدائيين وسوريا والعراق ومصر بالتضييق عليهم ولبنان بتحديد تحركاتهم .

وتدخلت الأنظمة العربية في الثورة الفلسطينية التي أصبحت تمثل الأنظمة العربية أكثر من الفلسطينيين أنفسهم .

ولذلك أعتقد أن موقف الإخوان الفلسطينيين كان صائبًا لعدم الانخراط في فتح ، وأن نظرتهم كانت متزنة وعاقلة واستراتيجية أكثر من باقي فصائل الإخوان التي لامت الإخوان الفلسطينيين لعدم تبنيهم لمشروع فتح .

وخطأ نظرة فصائل الإخوان خصوصًا في مصر أو الأردن نابع من أن الإخوان المصريين كانوا يظنون فتح حركة إخوانية استنادًا لمشاركة ياسر عرفات لهم في حرب القناة عام 1951 م ، وإلى أن معظم قيادييها كانوا من الإخوان ، والحركة لم تكن كذلك ولكن كان الإطار إخوانيًا سابقًا فقط ، أما ما بداخله فكوكتيل أيديولوجي ، وحاول مؤسسو فتح ذوو الأصول الإخوانية إثبات خروجهم عن الإخوان لسادتهم الجدد في العراق والاتحاد السوفييتي ومصر ، ولذلك كانت مواقفهم من الإخوان متشددة وولوغهم في الظلم قاسيًا ، ولا يمكن أن نقتنع أن أجهزة مخابرات تلك الدول

كانت ستسمح لفتح بالعمل إلا بعد تأكدها من أن هذه المنظمة الجديدة لا صلة لها مطلقًا بأي فكرة إسلامية ، وليسمعنى هذا أن الإخوان الفلسطينيين كانوا على صواب لأنهم عجزوا عن إحراز أي تقدم خلال تلك السنوات الطوال إلا أن الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت عام 1988 م في الأراضي المحتلة ومازالت مستمرة حتى الآن ترفع عنهم العتب لما لهم من دور هام ومؤثر فيها حيث ظلوا طوال سنوات السكون يمارسون التربية داخل الأراضي المحتلة حتى أنبتت شخصيات إسلامية سوية تتفجر بالجهاد .

وما حذر منه إخوان فلسطين تحقق ، فلقد انشقت عدة انشقاقات أبرزها انشقاق أبو نضال وانشقاق أبو موسى والحركة التصحيحية لأبو الزعيم وغير ذلك من الخلافات التي سنراها في الفصول القادمة .

وبالطبع إذا لم تكن لهذه الانشقاقات جذور وبيئة صالحة ما حدثت ولا يمكننا إلقاء المسئولية على أحد في هذه الانشقاقات إلا ياسر عرفات الذي يغذي تلك الانشقاقات ويشجعها حتى يتمكن من السيطرة على المنظمة ، وهكذا تحولت فتح إلى دويلات عربية وساهم عرفات بقيادته الخاطئة في تفتيت العمل الوطني مما يؤدي إلى تجميد النضال ووأد حلم العودة من جديد .

وحتى نفهم أسباب تراجع العمل الفدائي الفلسطيني وتبني أسلوب التفاوض من جديد لحل المشكلة الفلسطينية والذي أثبتت التجربة فشله سنقوم في الفصل الثالث بدراسة خاصة لشخصية ياسر عرفات الذي بدأ حياته يمثل الفدائية ، وانتهى إلى المقامرة السياسية مثل الساسة الفلسطينيين الذين كانوا سببًا في ضياع القضية الفلسطينية ، بل وتراجع عن كل مبادىء فتح ونسف أسسها وأصبح يتسول جزءًا من أرضه لإقامة دولة يكون رئيسها وبالتالي أضاع ياسر عرفات جهاد الشعب الفلسطيني ودماء الشهداء ليتوج رئيسًا على الهواء وصفحات الجرائد .

مصادر الفصل الثالث

1 ــ هيرست (دافيد) : مصدر سابق ص 286 .

2 ــ فلسطيننا ، يناير سنة 1964 م ، ص 7 .

3 ــ المرجع السابق ، سبتمبر سنة 1964 م ، ص 3 .

4 ــ المرجع السابق ، يونيو سنة 1959 م ، ص 26 .

5 ــ المرجع السابق ، مايو سنة 1961 م ، ص 5 .

6 ــ المرجع السابق ، مارس سنة 1961 م ، ص 5 .

7 ــ هيرست (دافيد) : مصدر سابق ، ص 296 .

8 ــ علام (حسن) : حوار مع أبو الزعيم ، أسرار الخلاف مع عرفات ، القاهرة سنة 1988 م ، ص 106 ، 107 .

9 ــ جريدة الحياة ، لندن ، عدد 5 - 6 نوفمبر سنة 1988 م .

10 ــ علام (حسن) ، مصدر سابق ، صفحات 106 - 111 .

11 ــ أبو عزة (عبد الله) دكتور : مع الحركة الإسلامية في الدول العربية ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الأولى سنة 1986 ، ص 18 ، 19 .

12 ــ المصدر السابق ، ص 26 ، 27 .

13 ــ المصدر السابق ، ص 43 ، 44 .

14 ــ المصدر السابق ، ص 59 ، 60 .

15 ــ المصدر السابق ، ص 71 - 75 .

16 ــ المصدر السابق ، ص 79 - 80 .

17 ــ سلمان (طلال) ، مع فتح والفدائيين ، دار العودة سنة 1969 م ، بيروت ، ص 11 ، 12 .

18 ــ أبو عزة (عبد الله) مصدر سابق ، ص 81 .

19 ــ المصدر السابق ، ص 91 ، 92 .

20 ــ الجزائري ، (سعيد) ، أوراق سرية ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1990 م ، ص 135 ، 140 .

21 ــ هيرست (دافيد) : مصدر سابق ، ص 297 .

22 ــ فلسطيننا ، عدد سبتمبر سنة 1964 م .

23 ــ الأنوار ، 2 يناير سنة 1965 م .

24 ــ دراسات وتجارب ثورية ، مطبوعات فتح ، ص 42 .

25 ــ هيرست (دافيد) ، مصدر سابق ، ص 297 .

26 ــ أحود (يعاري) ، اضربوا الإرهاب ، قصة فتح ، كتب الصابرا ، نيويورك سنة 1970 م ، ص 108 ، 112 .

27 ــ هيرست (دافيد) : مصدر سابق ، ص 300 .

28 ــ خطاب جمال عبد الناصر يوم 31 يونيو سنة 1965 م أمام المجلس الوطني الفلسطيني .

29 ــ أبوعزة (عبد الله) ، مصدر سابق ، ص 27 ، 28 ، 33 .

30 ــ هيرست (دافيد) : مصدر سابق ، ص 301 .

31 ــ مجلة فلسطين ، 24 فبراير سنة 1966 م .

32 ــ هيرست (دافيد) : مصدر سابق ، ص 302 .

33 ، 34 ــ بوصير (صالح مسعود) ، مصدر سابق ، ص 575 .

35 ــ المصدر السابق ، ص 577 .

36 ــ المصدر السابق ، ص 578 .

37 ــ المصدر السابق ، ص 588 .

38 ــ الشرقاوي (فواز) ، مرجع سابق ، ص 437 .

39 ــ الكتاب السنوي الفلسطيني ، معهد الدراسات الفلسطينية ، بيروت سنة 1968 م ، ص 109 .

40 ــ عزام « عبد الله » ، مصدر سابق ، ص 84 - 88 .

41 ، 42 ، 43 ، 44 ، 45 ، 46 ، 47 ــ انظر الجزائري (سعيد) ، مصدر سابق من صفحة 133 - 26 .

48 ــ عزام (عبد الله) ، مصدر سابق ، ص 91 .

49 ــ المصدر السابق ، ص 90 - 91 .

50 ــ المصدر السابق ، ص 91 - 92 .

51 ــ فلسطيننا ، العدد 13 ، يناير سنة 1961 م .

الفصل الثالث

عرفات .. الجذور .. التسلق .. الاستسلام

يقوم أتباع ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الحالي ببث مقولة خبيثة وخطيرة في وجدان الشعب الفلسطيني والشعوب العربية والإسلامية ، وهي أن ياسر عرفات هو القضية الفلسطينية ، وأي مساس به هو مساس بالوطن ومعارضته خيانة كبرى ، وأصبح الأمن القومي لفلسطين والأمن الشخصي لعرفات متداخلين لدرجة أنهما أصبحا كيانًا واحدًا ، مما جعل أي معارض لعرفات أو مهاجم له يدخل في زمرة الخونة للوطن ، ووصلت المغالطات البشعة إلى اعتباره « الثورة لأنها تستمد استمراريتها من وجوده » طبقًا لمقولة الدكتورة رشيدة مهران في كتابها « ياسر عرفات الرقم الصعب » ، وهو الرواية الرسمية لحياة ياسر عرفات ، وتصفه بأنه أسطورة وليس معجزة ، كما قال مؤلف كتاب « عرفات إرهابي أم صانع سلام » ، لأن المعجزة تحدث وتنتهي في وقتها ، ولكن الأسطورة تبقى ويتناقلها الناس ، ويطمحون لتمثل خطاها ومثالها ، وبدون شخص « ياسر عرفات » ، ما كان يمكن أن تتجسد الأسطورة الفلسطينية ، وتفرض وجودها من بين جدار المستحيل الذي فُرض على هذا الوجود »[1] .

ووصل غي رشيدة مهران إلى اعتبار عرفات دينًا سماويًا أو فكرًا وأيديولوجيا جديدة له معتنقون !! ويتضح ذلك من قولها لعرفات أنها تقدم تعريفًا له كتبته ما أسمته إحدى معتنقات « عرفات » تقول فيه : طالما تساءلت عنك ، أنت من أنت ؟ وما أنت ؟ و لم أجد إجابة عن تساؤلي ، إلا أنك أنت هو أنت ! رجل بكل رجال العالم »[2] .

وهكذا تحول عرفات إلى كل العالم ورجاله وليس فقط فلسطين وشعبها ، وهذه الترهات الخطيرة تصيب القضية الفلسطينية في مقتل ، خصوصًا عندما ترتبط بشخص ، بموته تموت القضية ، ومن حياته تحيا القضية !! ، لذلك قررنا مواجهة تلك الترهات دفاعًا وحبًا في القضية الفلسطينية ، قضية المسلمين المركزية وليست قضية الفلسطينيين أو العرفاتيين فقط ، مرحبين بتهمة الخيانة العظمى للعرفاتية .

وهكذا يتحتم علينا دراسة شخصية عرفات بدقة ، وتتبع جذوره واستقصاء أصوله واتجاهاته وأفكاره ومسيرته منذ البداية وحتى نهاية عام 1990 م ، وذلك لهدفين : الأول تحطيم صنم ياسر عرفات الذي خلقه بعض المرتزقة من الكتاب والصحفيين ، من العجوة ، والثاني لفهم دوره الخبيث في عملية إدارة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وتمثيله للشعب الفلسطيني وقيامه بالمساومة لبيع القضية مقابل وعد دولة في الهواء وعلى الورق ومعاملته بروتوكوليًا كرئيس دولة .

وسنعتمد في هذا الفصل على عدة روايات حول حياة ياسر عرفات وشخصيته ، منها الرواية الرسمية لرشيدة مهران ، والثانية الرواية الأجنبية التي كتبها توماس كيرنان ، بالإضافة إلى بعض الوثائق الأمريكية ، وكذلك رواية القائد الفلسطيني أبو الزعيم أحد رفاق عرفات السابقين ومعارضيه الحاليين ، وروايتي هاني الحسن وأبو إياد رجلي عرفات .

التاريخ الأسري لعرفات

يقول توماس كيرنان في كتابه « ياسر عرفات » والمطبوع في بريطانيا عام 1976 م : هناك شيئان يفضل ياسر عرفات عدم الحديث عنهما هما : تاريخ ومكان ميلاده ، وصلته العائلية بمفتي القدس الحاج أمين الحسيني .

هناك قصتان حول تاريخ ومحل ميلاده ، والقصة الأكثر شيوعًا بين المؤرخين

العرب تجمع على أن مولده كان عام 1930 م في القدس ، ولذلك يتفاخر عرفات حتى اليوم بأن منزله كان على مقربة من حائط المبكى في القدس ، ويقول : إن اليهود هدموا منزله بعد حرب سنة 1967 م ، إلا أن الحقائق التاريخية الصادرة عن بعض أفراد أسرته تشير إلى مكانين وتاريخين مختلفين ، الأولى تشير إلى أنه ولد في القاهرة عام 1929 م ، أما الثانية فتقول إنه ولد في غزة عام 1929 م ، لكن لا توجد أي وثائق تاريخية أو شهادات ميلاد تؤكد أي ادعاء مما سبق ذكره ، ويقال إنه أمر في عام 1966 م بتدمير كل الأوراق الرسمية الدالة على مولده بالقاهرة حتى تظل فكرة أنه ولد في القدس شائعة وتمنحه هالة من القوة والتأييد ، وهو يتشابه في ذلك مع عدد كبير من أعضاء المنظمة الذين ولدوا خارج فلسطين ، ولكنهم يرغبون في إعطاء أنفسهم هالة قومية .

لكن هذا لا ينفي صلة عرفات بالقدس ، فوالدته هي حميدة خليفة الحسيني ، وكانت ابنة تاجر من القدس ، وإحدى بنات خال الحاج أمين الحسيني .

وشجرة عائلة والد أم ياسر عرفات تعود إلى رجل يدعى محمد البدري الذي كان قد استقر في القدس عام 1380 م ، وقبل انتقال عائلة البدري إلى القدس عاشت عائلته لمدة مائتي سنة في قرية وادي النسور غربي القدس ، وكانت أسرة البدري قد جاءت إلى فلسطين من شبه الجزيرة العربية ، وقد ذكر محمد البدري أنه ينتمي من جانب والده إلى سيدنا الحسين بن علي الابن الثاني للسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنهم .

وعلى أية حال ، فإن المؤرخين يبدون تصديقًا لادعاءات الحاج أمين الحسيني بانتسابه للبيت النبوي ، وإذا صح ذلك فإن عرفات عن طريق أسلاف أمه ينتمي إلى أسرة عريقة ، أما والد عرفات فكان يدعى عبد الرءوف القدوة ، وجده اسمه عبد الرحمن القدوة أحد أعضاء عائلة غنية من التجار والمهربين الذين استقروا بالقرب من غزة في القرن الثامن عشر ، واكتسبوا عادات الأوروبيين عندما حاول نابليون استعمار المنطقة في القرن الثامن عشر .

وتعود أصول عشيرة القدوة إلى شبه الجزيرة العربية ، وهي أحد أفرع قبيلة القاي المحاربة الشهيرة التي كانت في مقدمة الفتح الإسلامي للشرق الأوسط في القرن السابع ، وبعد حقبة الفتوحات انقسمت هذه القبيلة إلى عدة عائلات ، بعضها ظل يسير على طريق البداوة في شبه الجزيرة العربية ، والبعض الآخر استقر ، وعندما جاءت الحملات الصليبية كان فرع العائلة التي جاء منها عرفات قد استقر في سوريا ، وبعد أن طرد المماليك والأتراك الصليبيين استقر جزء من العائلة في الجنوب نحو مصر وتفرعت عنهم عدة عائلات أخرى ، وبحلول القرن الثامن عشر كان أحد فروع العائلة قد استقر بنجاح في غزة ، بينما استقر فرع آخر في القاهرة .

وعندما وجد محمود الحسيني ، الذي كان يعد من أحد أبناء أعرق العائلات في القدس ، تجارته متدهورة نتيجة للحرب العالمية الأولى، وكانت ابنته حميدة قد وصلت إلى سن الزواج عندما واجه المشاكل المالية ، وفي نفس الوقت كان عبد الرحمن القدوة في نجاح مالي جعله أغنى أغنياء غزة ، وفي نهاية الحرب كان من أكثر المالكين للأرض الزراعية .

وفي عام 1916 م زار القدوة القدس لتحصيل بعض ديونه ، وهناك زار منزل صديقه محمود الحسيني وقابل أبناءه وبناته ، ومن بينهن حميدة ، واختمرت في ذهنهما فكرة تزويج حميدة خليفة إلى عبد الرءوف القدوة ، وتم الزفاف في 17 مايو سنة 1917 م ، وقد استقر الزوجان في غزة ، وبعد عدة عمليات إجهاض جاء لهما ولد أسمياه بدر مطر في عام 1920 م »[3] .

التعامل مع اليهود

ويواصل كيرنان سرد قصة أسرة عرفات وتعاملها مع اليهود أثناء موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، حيث قام عبد الرحمن القدوة بتمويل محمود الحسيني لإنشاء شركة تسويقية تتاجر في المستلزمات الدينية الخاصة باليهود .

وفي عام 1922 م جاءت فاطمة الطفلة الثانية لعبد الرءوف القدوة ، بينما كانت شركة البضائع الدينية تزدهر ، وهذا ما كان يثير غضب الحاج أمين الحسيني وعائلته .

وفي عام 1923 م تلقى محمود الحسيني إنذارات لوقف نشاطاته التجارية مع المهاجرين اليهود .

وفي يوليو من نفس العام تعرض منزله ومخازنه للتدمير من مجهولين مع إنذار بأن الهدف في المرة القادمة سيكون ضده وضد صهره إذا استمرا في بيع البضائع لليهود ، وبعد عدة اعتداءات أخرى قرر القدوة مغادرة القدس والتوجه للإقامة في يافا بالقرب من شاطىء تل أبيب الذي كان في طور البناء من قبل اليهود حينئذ .

وفي عام 1925 م أنجبت حميدة طفلاً ثالثًا هو زايد عمر ، وبعد هجوم على شركته في يافا من قبل العرب أغلق عبد الرحمن القدوة شركته في يافا وانتقل إلى غزة مبتدأ مشاريع مع العرب فقط ، وكانت غزة خالية من المسيحيين واليهود على حد سواء ، وتتمتع بهدوء شديد ، وكانت سمعة القدوة بين الوطنيين سيئة لكونه كون ثروته من التجارة مع المهاجرين اليهود .

وفي عام 1927 م تعرضت منشأته ومزارعه للتخريب من قبل الوطنيين ، ولذلك قررت العائلة الانتقال إلى القاهرة للإقامة عند بعض الأقارب ، وفي أغسطس سنة 1928 م أنجبت حميدة طفلها الرابع نصر محمود .

وفي 27 أغسطس سنة 1929 م أنجبت حميدة طفلها الذكر الرابع عبد الرحمن عبد الرءوف عرفات القدوة ، وقد نما الطفل تحت اسم « ياسر عرفات » .

وفي عام 1933 م أنجبت الوالدة حميدة طفلاً آخر هو حسين ، وفي عام 1934 م أنجبت حميدة طفلة أخيرة هي حالمة .

وقد تميز الطفل عبد الرحمن (ياسر) بذاكرة قوية للغاية ، وقد تلقى تعليمه

في مدرسة يديرها أساتذة فلسطينيون في القاهرة .

وفي سنة 1939 م انضم والد ياسر عرفات إلى جماعة الإخوان المسلمين في غزة ، وبعد حرب سنة 1948 م هرب ياسر من غزة إلى القاهرة ، وكان عمره 19 عامًا عندما دخل مدرسة تعليم فني في القاهرة يشرف عليها الإخوان[4] .

لماذا صفع ياسر عرفات ديرونا الحوراني ؟

ويشير كيرنان في روايته عن ياسر عرفات إلى قصة الحب الأول في حياته ويقول إنه عندما كان في العشرين من عمره بدأ ياسر يولع بفتاة جميلة تسمى « ديرونا » وهي ابنة مجيب الحوراني أحد رجال جماعة الحاج أمين الحسيني ، وكانت هذه الفتاة قد تلقت تعليمها في لندن ، وكانت أكبر منه بعدة أعوام وتصرفاتها أوروبية للغاية ، ولكنها لم تعره انتباهًا ، وقد فسر هو ذلك بأنه قد يعود إلى فقده لشعره حيث أصبح أصلع ، ولذى ارتدى باروكة شعر في إحدى المرات ليجذب انتباه ديرونا ، إلا أنها سخرت منه ، فما كان منه إلا أن صفعها على وجهها وانتهت قصة حبه هذه بتلك الصفعة[5] .

وهذه القصة تشير إلى أن عرفات منذ البداية على استعداد لتغيير نفسه والتنازل من أجل الوصول إلى هدفه مما يؤكد أنه إنسان غير سوي ، ويهتم بالمظهر قبل الجوهر ، وتؤكد سطحية تفكيره ، فليس من المعقول أن تحب فتاة شابًا من أجل شعره ، بل إن شخصيته هي الأساس ، وهذا يدل على قصوره في التفكير وعدم فهمه للأمور بصورة صحيحة ، كما أن هذه القصة حدثت عام 1949 م ، وهي فترة المأساة الحقيقية لفلسطين بعد إعلان « إسرائيل » ، وفي فترة الجهاد المقدس لمواجهة الصهاينة مما يعني أنه لم يكن مهتمًا بالقضية بشكل حقيقي حيث إن الفتيات كن همه الأول وليست فلسطين مما يكذب ادعاءات بطولاته .

والآن نأتي إلى الوقت الذي يتردد عرفات في التحدث عنه ، وهو الوقت الذي يتزامن مع تأسيس « إسرائيل » في ربيع عام 1948 م ، وحول هذه الفترة الهامة كتبت رشيدة مهران حوالي 15 سطرًا فقط على لسان عرفات ، مما يدل على أنه يحاول إخفاء هذه الفترة في حياته لأنها فترة التخاذل والهرب من الميدان والادعاء الكاذب للبطولة يقول عرفات : « حين كنت في السابعة عشرة من عمري كتب القدر أن أكون — رغم صغر سني — أحد المناضلين الذين يقاتلون في الجيش الفلسطيني الذي تكوّن بإشراف الهيئة العربية الفلسطينية العليا وبقيادة عبد القادر الحسيني ، حيث عملت في هذا الجيش قبل أن يتحرك لميدان القتال في عدد من المهام الصعبة ، بما فيها جمع الأسلحة من الصحراء الغربية المصرية في عدة مواقع كالعلمين والحمام والسلوم ، بما فيها من مخاطر وصعوبات ، وفي نفس الوقت تحتاج إلى قدرات خاصة لأننا كنا نتعامل مع قبائل وعشائر بدوية متناثرة في الصحراء الغربية ، جمعت هذه الأسلحة بعد الحرب العالمية الثانية ، وفي نفس الوقت لم تكن هناك تسهيلات كافية من المسئولين في ذلك الحين ، وكان والدي تاجرًا في فلسطين ، وأتينا مصر قبل النكبة ، كنا نعيش في القاهرة ، وتركت دراستي وانضممت إلى الجيش ، وذهبت إلى فلسطين ! وسألت رشيدة : إذن لمْ تنشأ في فلسطين ؟ قال : نشأت في فلسطين إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، لم أكن عند والدي في النشأة الأولى ، كنت عند أخوالي عائلة أبو السعود وتربيت عندهم في القدس ، وكنا نسكن داخل الحرم بجوار باب المغاربة .

ولقد عدت إلى فلسطين كمقاتل ضمن هذا الجيش ، تركت القاهرة والتعليم وأنا في السابعة عشرة من عمري ، وتوليت مهام كبيرة رغم صغر سني ، مثل جمع الأسلحة ومطاردة العدو ومواجهة استخباراته والتي كانت متشعبة في البلاد العربية ثم .. القتال .

وأريد أن أقول : إن هذا الجيش كان يعرف في ذلك الوقت باسم « جيش المقدس » ، وهو الذي شكلته الهيئة العليا وتولى قيادته عبد القادر الحسيني .. بجانبه جيش آخر شكلته الجامعة العربية اسمه « جيش الإنقاذ » وقائده القاوقجي ، وهذا قبل أن تدخل الجيوش العربية فلسطين »[6] .

وهذه الرواية التي يقولها عرفات مليئة بالمبالغات ، ويعطي لنفسه قدرات لا يصدقها عقل ، ولم يؤكدها مصدر آخر ، فكيف يتمكن شاب مراهق من السلاح من القبائل المصرية وإرسالها لجيش عبد القادر ؟ وهل كان عبد القادر و والإخوان مثلاً لا يستطيعون ذلك ؟ ويستطيع ياسر !! كما أنه يحاول التنصل من الحسيني عندما قال إنه عاش عند أخواله من عائلة أبو السعود ، ولم يقل الحسي وكيف يمكنه مواجهة استخبارات العدو في الدول العربية ؟!! .

وإذا عدنا إلى رواية كيرنان عن تلك الفترة والتي اعتمد فيها على شه فلسطينيين أحياء ، وذكر أسماءهم في كتابه مما يعطيها مصداقية إلى حدٍ ما ، عرفات إنه كان قد حارب في شوارع القدس مع أبيه وإخوانه ضد اليهود ، ا اضطروا إلى الانسحاب لعدم وجود أسلحة لديهم مثل التي عند اليهود ، ثم ج والدهم وفروا من المدينة وتسللوا عبر الصحارى بدون شيء إلا بعض « جرا الماء ، وعبروا من خلال قرية دير ياسين ، ورأوا آثار مجازر اليهود ، ثم وصلو غزة حيث استوطنت أسرة والده ، ولذلك قرر تكريس حياته لاستعادة وط

وهكذا كان ياسر يبلغ من العمر 18 سنة ، وهو في غزة أثناء إعلان « إسرائيل » في 15 مايو سنة 1948 م ، وطبقًا لرواية طاهر الخالدي ووجيه خ الشابين اللذين كانا مع بدير شقيق عرفات في خلية تقود عصيانًا ضد الإنجليز و التقسيم ، عاد عرفات للظهور من جديد في أوائل مارس ، وكان يدعي أنه حا مع عبد القادر وأصيب في قدمه وأخذ يبالغ طوال الوقت حتى تحول إلى أضحو رفاقه ، والسبب أنه كان في غزة في مارس طبقًا لما يقوله طاهر الخالدي الذي يع

حاليًا في مخيم بغزة ، ويعاني من « العرج » لأن مجموعتهم كانت قد قامت بهجوم يوم 22 مارس في شمال غزة : « وأعتقد أنني رأيت عرفات في أحد اجتماعاتنا مع أخيه بدير الذي أحضره ليغريه بمشاركتنا في الهجوم ، وقال لنا إن ياسر عاد من القدس حيث حارب في صفوف عبد القادر ، طبعًا كنا قد سمعنا قصص إصابته لنفسه ، وضحكنا عليه ، وطلبنا منه أن يرينا جرحه ، وكان مقهورًا وسألناه عن عبد القادر فلم يستطع الحديث عنه ، ولو فعل فكان يشتمه ، ولم نفهم ذلك ، وقبل ذهابه إلى القدس كان عرفات يتجنب معسكر عبد القادر ويتحدث دائمًا عن الأفكار الفدائية الكبيرة ، والآن ينزل ويخفض من منزلة عبد القادر ولا يبدو مهتمًا بأعماله القتالية ، وأخبرنا أننا ضيعنا وقتًا في هذا الهجوم .

وياسر عرفات لم يشارك في الهجوم وتصرفاته في مواجهة الصهيونية خلال تلك الشهور النضالية كانت غريبة ، ولم يشارك في شيء ، وبقي في منزل أبيه ولم يتحرك ، وفيما بعد علمنا من أخيه ما فعله في القدس مع عبد القادر .

ويقول وجيه خلف إنه عندما جاء الجيش المصري في مايو في طريقه إلى تل أبيب تجمعنا للترحيب به ومشينا خلفهم لنشجع الجنود ، ولكن عرفات رفض مشاركتنا ، ولكنه بعد ذلك تغير وأصبح يتحدث عن التحاقه بالمصريين .

وعندما توفي عبد القادر قضى عرفات عدة أسابيع مبتهجًا لذلك ، وعلمنا فيما بعد تجربته مع عبد القادر ، وبدأ هو وبعض الأطفال اللاجئين يروون حكايات غير طيبة عن عبد القادر وبعد ذلك لم نر ياسر كثيرًا لأنه جلس في بيتهم ثم ذهب للقاهرة(7) .

ولو كان عرفات لاجئًا إلى غزة فيعتبر ذهابه إلى القاهرة هروبًا ، خاصة أنه في يوليو سنة 1948 م والحرب العربية الإسرائيلية كانت لا تزال محتدمة ، واللاجئون يتدفقون على غزة ، ولكن القدوة كان متذمرًا ويخشى سقوط غزة ، ولذلك جمع أسرته ما عدا بدير وعاد إلى القاهرة .

ويقول نصر القدوة إن هجمات اللاجئين كانت تحطم محلاتهم ، ولم تكن هناك طريقة توقف ذلك لأنه لم تكن فى غزة قوة قانونية ، لذلك أعلن والدهم أنه يجب المغادرة في تلك الليلة خاصة بعدما انسحب الجيش المصري للصحراء واتخذ مواقعه حول غزة ، واستغرقت رحلتهم إلى القاهرة حوالي 5 أيام ، وتوقفوا في العريش يومين حتى استطاع والدهم إقناع المصريين بأنهم ليسوا لاجئين ، ولكنهم مقيمون بالقاهرة واستطاعوا بعد ذلك العبور من الإسماعيلية .

ويضيف نصر أنه أثناء رحلة العودة للقاهرة كان والدهم يقص عليهم تفاصيل كثيرة عن رغبته لإعادة علاقته وروابطه مع الإخوان ، وقال : إن حسن البنا أصبح قوة في القاهرة ، ولذلك فالإخوان هم موجة المستقبل ، واعتذر وندم للوقت الذي قضاه مع عبد القادر ، وقد أرضى ذلك ياسر كثيرًا الذي كان غاضبًا لمشاركة والده في العمل مع عبد القادر وأبو خالد ، ولكن الآن وبعد اعتذار والده وقوله إنه خدع من عبد القادر كان ياسر مسرورًا لسماع ذلك ، وبدأ يتحدث مع والده من جديد ، وبعد وصولهم إلى القاهرة أراد ياسر الالتحاق بالجيش المصري ، ولكن والده رفض قائلاً : دعنا ننتظر وعليك الانتهاء من دراستك ، ولبى ياسر طلب والده الذي كان مقتنعًا بأن الجيش هو سلاح الملك ضد الإخوان[8] .

صناعة المتفجرات

في تلك الفترة التحق ياسر ونصر بمدرسة التكنولوجيا التي كان الإخوان يشرفون عليها ، واتسم في ذلك الوقت بالتعصب الديني وتعلم العمل الميكانيكي واخترع عدة طرق جديدة للطرود الملغومة ، وكان الترحيب به بسبب إجادته للحيل التفجيرية أكثر من كونه منخرطًا في الإخوان ، ويروي محمد عدوان زميل دراسة ياسر أن أحد المدرسين نظم معسكرًا لتعليم إطلاق النار وكان ياسر لا ينجح في عملية

التصويب ، وكان يردد في تلك الفترة أنه سيكون زعيم إخوان فلسطين في يوم من الأيام .

وفي نهاية سنة 1948 م كان الإخوان في قمة نفوذهم ، وفي سبتمبر أعاد الحاج أمين اللجنة العربية العليا بمساندة من الإخوان ، وشكل حكومة عموم فلسطين ، وتحرك الحاج أمين لغزة لتكوين مليشيات من مئات الآلاف من اللاجئين للقيام بتدريبهم عن طريق الإخوان ، وفي ذلك الوقت اتصل القدوة بالبنا والحاج أمين ليأخذ مكانه في تلك الحكومة ، وهكذا عاد إلى غزة في يناير سنة 1949 م مع أسرته وأصبحوا موظفين عند الحاج أمين[9] .

عندما قتل عرفات

ويواصل كيرنان روايته عن الفترات الأولى في حياة عرفات ، ويقول إنه عندما تم إعلان راغب النشاشيبي حاكمًا عسكريًا على غزة بعد ضم الملك عبد الله للضفة فقد الحاج أمين الحسيني هالته خصوصًا عندما فشل في وقف الضم ، ولذلك أطلق العنان لمجموعاته التي كان يدربها على الأعمال الفدائية في غزة على النشاشيبي ومؤيديه ، وكان ياسر وأخوه فتحي في إحدى تلك المجموعات التي من المفروض أن تعمل ضد الصهاينة ، ومن عام 1949 م إلى 1950 م لم تفعل شيئًا إلا إرهاب النشاشيبي وأتباعه في غزة .

وكان ياسر مقاتلاً طماعًا وشرها بدأ في الدرجة الدنيا للجماعة كما يقول محمد عدوان ، وذلك بسبب عدم براعته وغلظته ، ولكنه بسرعة أصبح زعيمهم ليس بسبب مواهبه ولكن ببساطة لأنه كان المفكر الأشرس والتكتيكي ، وكان هدف المفتي من استخدامنا إرهاب وتخويف آل النشاشيبي في القدس لنقض تحالفهم مع عبد الله ومقاومة الضم ، ولكن أدى ذلك إلى تأثير عكسي ، وما قمنا به ضد آل النشاشيبي في غزة جعلهم في القدس أكثر اقتناعًا بفكرة الضم والمواطنة الأردنية .

ويتذكر محمد عدوان أنهم كانوا في إحدى العمليات لحرق بعض بساتين آل النشاشيبي في ضواحي غزة ، وكان ياسر زعيمًا لهذه المجموعة ، وخطط كل العملية ولكن كان هناك عضو في المجموعة ليس موضع ثقته اسمه بورك حميد ، وكان ياسر لا يثق في أحد ، وسبب عدم الثقة في حميد أنه كان قبل التقسيم صديقًا لآل النشاشيبي ، كما كان أبوه أحد نشيطي الإخوان ، وعندما ذهبوا إلى البساتين فوجئوا بكمين من آل النشاشيبي ، مما أدى إلى إصابتهم جميعًا إلا بورك ، وظنوا أنه هو الذي أخبر آل النشاشيبي بالعملية ، لذلك بعد انسحابهم وقف ياسر والمسدس في يده خلف ظهره وقام بتصويبه إلى رأس حميد الذي ظنوا أنه هو الذي أوشى بهم ، واكتشفوا فيما بعد أن بورك حميد لم يكن هو الخائن ، ولكن أحد رجال الحاج أمين هو الذي أوشى بالخبر متعمدًا على أمل أن تقتل المجموعة مما يجعل غزة تنتفض ضد آل النشاشيبي ، وعندما علم ياسر بذلك لم ينزعج أو يتضايق ويروي محمود موجايا أن عرفات كان يحتفظ بسمات المهرج ، ولكن كان يوازن ذلك بلسانه السلس البيان ، وذكائه الحاد ، وكان هناك إغراء دائم للضحك عليه ، لكنه كان يقرأ الضحكة في العقل ويقطعها بنظرته ، وبعد قتله لحميد وضع نهاية لهذا الإغراء ، كما أنه كان يحب أبهة الشعائر والرموز الغامضة والشعارات ، وكان أولنا الذي يقتل أحدًا بالفعل ، وبعد ذلك كان نشاط مجموعتنا الفدائية أعمالاً خطيرة ومميتة بسبب حادث اغتيال بورك حميد ، وعندما طلب حميد من والد ياسر تسليمه قاتل ابنه رفض ذلك وكان حميد لا يعرف في ذلك الوقت أن ياسر هو الفاعل ، ولكنه كان يظن أحد الإخوان لأنهم كانوا يعلقون قتلاهم في الشوارع مثلما فعل بابنه ، ولذلك كوّن حميد جماعة لإرهابنا ، وقد هددنا ياسر بالقتل إذا تكلمنا ، وبعد ذلك علم والد بورك أن ياسر هو قاتل ابنه وأراد أن يقتله وبذلك بدأت حرب أسرية بين رأسي الإخوان في غزة(10) .

ياسر يتمرد على الحاج أمين

وفي سنة 1950 م أصدر الحاج أمين دعوة لتجميع الميليشيات الفلسطينية

والجماعات الفدائية تحت سلطته في جيش واحد للتحرير ويتكون من لواءين ، أولهما باسم الشيخ القسام ، والثاني باسم عبد القادر الحسيني ، وطبقًا للأوامر كان ياسر القدوة ومجموعته الصغيرة ستنضم إلى لواء عبد القادر ، ولكن ياسر رفض تنفيذ الأمر وأعلن عصيانه واحتجاجه ، وحاولت أسرته إقناعه بتنفيذ الأمر حتى لا تتعرض مكانة أسرته للاهتزاز بين جماعة الحاج أمين ، لكنه رفض ، وقامت عائلته بمساومته على أن يذهب إلى القاهرة لمواصلة تعليمه على أن يدفع والده مصاريفه ، فوافق على هذا العرض ، خصوصًا بعدما التحق الكثير من مجموعته بلواء عبد القادر رغم أنف ياسر ، وهو ما أفقده مكانته في غزة[11] .

ويقول جبل يزيد أحد رفاق ياسر : « إنه كان يحاضرهم خمس ساعات في غرفة عن الأرواح الشريرة ، ويرسم صورة لنفسه على أساس أنه المقاتل الفدائيُ العظيم في غزة ، وأخبرنا كيف أنه تسبب الحاج أمين في خيانته عندما كان يقود معركة بالقرب من عسقلان ضد الصهاينة !! ، وذلك لخشيته من شعبية ياسر بسبب تفجيراته : وأخبرنا أنه قتل المسئول عن الخيانة بمسدسه ، ولهذا جاء إلى القاهرة ، وقال إنه بدأ في تشكيل منظمة جديدة لتحرير فلسطين ، وستكون مهمتها كما أخبرنا اغتيال المفتي .

وبعد هذا الحديث قال : من يريد الالتحاق بمنظمته ؟ فقال أحدهم : لقتل المفتي ، لا لأننا لا نستطيع ذلك ، فرد ياسر أيضًا : وأنا لا أستطيع ذلك ، فنحن والمفتي من أبناء عائلة واحدة ، ولكن من يلتحق معي لتحرير فلسطين .

وقد انتقل هذا الحديث الخاص باغتيال المفتي إلى بعض الجيران ، وذات ليلة جاء إلى بيت القدوة وفد من الرجال الغاضبين ، وأمروا عم ياسر عرفات بطرده من المنزل والمنطقة رغم أن المنزل كان ملكًا لوالد ياسر ، وقد اضطر بالفعل إلى مغادرة المنزل والذهاب إلى منزل أخيه نصر الذي كان يعيش في غرفة منفردة ، وأقام معه عدة شهور إلى أن علم من أحد زملائه في الدراسة أنه بدأ في إعداد منظمة اتحاد طلاب فلسطين بجامعة فؤاد »[12] .

ويتضح مما سبق مدى كراهية ياسر لآل الحسيني دون أن يعطينا مبررًا ، إلا إذا كانوا قد اكتشفوا نقاط ضعفه وانهزاميته التي كان يحاول دائمًا إخفاءها خلف ستار ادعاء البطولة الكاذبة حيث يبدو أن مفهوم قطاع الطرق قد اختلط عنده بمفهوم البطولة ، كما أنه مارس دورًا حقيرًا لتشويه سمعة الشهيد عبد القادر الحسيني ، كما أن قتله لبورك حميد دون التأكد من اتهاماته يدل على رعونته وتسرعه ، كما يمكن أن يكون محاولة من جانب ياسر لتصفيته أصلاً لأن والده كان أحد عناصر الإخوان البارزة ، ويمكنه أن يكون هو كذلك ، وبذلك يكون عقبة في طريق ياسر لقيادة الإخوان مستقبلاً ، لذلك كان قرار تصفيته حتى يكون الطريق إلى الزعامة الوهمية خاليًا من العقبات .

ويتضح أيضًا من خلال السرد السابق أن آل الحسيني وآل النشاشيبي قد أهملا القضية في عامي 1949 و 1950 م للتفرغ لفرض الزعامة الأسرية على الفلسطينيين في الوقت الذي اندلع فيه صراع بين آل حميد وآل القدوة بسبب قتل ياسر لبورك حميد ، وهكذا انقسمت جماعة الإخوان بسبب تصرف عرفات الذي استهدف فيما بعد اغتيال المفتي حتى يستطيع العمل على قيادة الفلسطينيين وهو ما كان يخطط له منذ أمد بعيد ومهد له بتشويه صورة عبد القادر الحسيني ، ثم ادعى فيما بعد أنه كان من رجاله ، وذلك بعد فشل خطة التشويه ، كما يظهر مدى رغبته العميقة للزعامة ، وذلك من خلال قيادة إحدى الجماعات التابعة لآل الحسيني ، ثم رفضه بعد ذلك الانخراط في الجيش الموحد وتمرده على الحاج أمين وقراراته ، ثم محاولاته الخثيثة لتشكيل اتحاد طلاب فلسطين لقيادته ، وهذا يفسر تصرفاته الحالية الرعناء ، وإن كان يغلفها بأطر سياسية جذابة .

جنان العرابي ترفض الزواج من ياسر

ويواصل توماس كيرنان جمع الروايات عن حياة عرفات الأولى التي لا يحب

الحديث عنها ويتتبع إحدى قصص حبه في مصر من خلال رواية لإسماعيل رياض أحد زملاء ياسر في الكلية ، وهو مصري من مدينة الإسكندرية يقول : إن ياسر أحب فتاة قابلها في الجامعة ، وكانت من الإسكندرية واسمها جنان العرابي ، وكانت بدينة وقصيرة ، وحاول ياسر إغراءها بكل الطرق والوسائل ، ولذلك جاء إلى الإسكندرية ليكون قريبًا منها .. وفي النهاية وجد قبولاً منها ، وأراد أن يتزوجها ، وعاد إلى منزلنا يخبرني بذلك ، وقال إنه يريد أن يتجنس بالجنسية المصرية من أجل موافقة والدها على إتمام الزواج ، فقال له والدي إنه سيساعده في الحصول على الجنسية من خلال علاقاته الطيبة مع وزارة الداخلية ، وقبل أن تنتهي كل الإجراءات قررت جنان ووالدها رفض إتمام عملية الزواج ، وبذلك تم إلغاء فكرة التجنس[13] .

لماذا أراد ياسر الحصول على الجنسية المصرية ؟

وينتقل كيرنان إلى مواصلة قصة حب ياسر من خلال رواية جنان نفسها التي تزوجت فيما بعد من ناشر ، وتقيم بالقاهرة ولديها 6 أبناء ، وعن تجربتها مع ياسر تقول : « انتهت هذه القصة عام 1951 م وأنه كان رجلاً غريبًا ذا سحر معين يستخدمه لتحقيق مصالحه ، ولديه نوع من الغضب اللحظي غير العقلاني ، وتضيف إنها لا تعرف لماذا اختارها ، ولكنها تعتقد أن ذلك كان لاحتمال تشابههما ، ولم تشعر أنه رجل معها ، وهو لم يشعر أنه مع امرأة ، وتقول : إنه كان دائمًا سمجًا وأخرق ولا يحب الشباب الواثق من نفسه ، وكان غير لبق ، وظل حوالي ستة أشهر يغريني بالزواج ، وفي النهاية طلبني من أبي الذي وافق حيث رأى فيه مساعدًا لأعماله الخاصة بالمقاولات ، خصوصًا أن ياسر كان سيصبح مهندسًا ، ورغم ذلك لم يحاول ياسر الاقتراب مني ، وكان يتكلم قليلاً ، ودائمًا في الأشياء السياسية لمصر والمستقبل ، وأنه يأمل أن يكون مسئولاً مهمًا في الحكومة ، ولم يذكر فلسطين أو اليهود ، ووافق والدي على الزواج بشرط واحد هو أن يتجنس بالجنسية المصرية ، فرحب ياسر بذلك ، وبدأت الإجراءات الرسمية لذلك[14] .

هل قتل ياسر مستر هاركابي اليهودي بالإسكندرية ؟

وتواصل جنان روايتها عن علاقتها مع ياسر ، وتقول إنه حدث شيء بشع ذات مرة ، حيث إنه كان لها صديقتان يهوديتان من يهود الإسكندرية هما : راشيل ، ومريم ، وفي أحد الأيام جاء ياسر إلى منزلي ووجدهما عندي فعرفتهما به ، وعندما اكتشف أنهما يهوديتان لاحظت تغيرًا في وجهه وأصبح متوترًا ، ثم بدأ يسألهما بعض الأسئلة عندما عرف أنهما ذاهبتان لـ « إسرائيل » ، فأصبح أكثر توترًا ، وعرف منهما كل شيء عن والدهما ، وأين يسكنان ؟ لم تكن لدي أي فكرة خاصة عن مشاعره نحو اليهود أو « إسرائيل » ، وبعد يومين قُتل والدهما مستر « هاركابي » وكانت صدمة للجيران رغم أن اليهود لم يكونوا مختلطين بنا بشكل كبير ، ولكننا كنا نرفض الأذى لهم ، ولذلك كان مقتل مستر هاركابي وتعليقه في شجرة في الشارع الذي يعيش فيه صدمة للجيران .

وتضيف : لم أعتقد أن هناك ارتباطًا بين ياسر وهاركابي ، وبعد عدة أيام جاء ياسر وكنا وحدنا في بيتي وأخبرته عن مستر هاركابي وما حدث له ، وبكيت من أجل صديقتاي ، فانتاب ياسر غضب جم وعنفني لبكائي من أجل اليهود ، وقلت له إنهما صديقتاي ، فشرع يضربني ويمزق ملابسي ويلكمني ويلعنني ، وأخبرني أنه المسئول عن قتل هاركابي وأنه رتب لموته لينقذ فلسطين من استقبال يهود جدد وهدد بقتل راشيل ومريم إذا تكلمت معهما ثانية .

وبعد ذلك طلب بسرعة إتمام الزواج ، واستمر يأتي أسابيع قليلة ولكنني كنت غير قادرة على قول شيء له ، لقد كنت قد أصبت بالرعب منه وأخشى أن أقول شيئًا مما حدث لوالدي أو أي أحد آخر ، وعاد ياسر إلى طبيعته القديمة ، وكأن شيئًا لم يحدث ، وعندما لم يستطع الحديث معي بدأ يركز على والدي محاولاً أخذه في صفه .

وكان والدي مصممًا على الزواج ، ولكن عندما كنا نقوم بعمل إجراءات الجنسية له جاءت رسالة رسمية تخبرنا أنه ليس هناك اسم مسجل باسم ياسر عرفات ، وفي البداية نفى عرفات ذلك وقال : إن هناك أخطاء ولكنه في النهاية اعترف بحقيقة اسمه ، وقال إنه يكره الحاج أمين أيضًا ، وعندما سئل عرفات عن جنان العرابي ادعى عدم معرفته بها[15] .

رواية عرفات

وفي الفترة التي أعقبت النكبة يقول عرفات لرشيدة مهران في كتابها عنه « ياسر عرفات الرقم الصعب » : « كنت أفكر في الهجرة إلى أمريكا لإكمال تعليمي بها ، وقدمت طلبًا لذلك وجاءني القبول بالفعل ، ولا أعرف كيف أصف لك تلك الفترة التي كانت تتجاذبني فيها عوامل كثيرة ، هل أذهب إلى أمريكا مهاجرًا ؟ أم أبقى منغمسًا في المأساة ؟ وكنت في ذلك الحين في السنة الأولى بكلية الهندسة ، وجلست أكثر من ثلاثة شهور وأنا بين مد وجزر ، ثم قررت ألا أذهب ورأيت أنه يجب أن أبقى هنا في هذه المنطقة إلى جانب شعبي ، وكنت أشعر أن علي واجبًا نحو شعبي ووطني ، وفي مواجهة النكبة التي حلت بهذا الشعب خاصة أن الظروف التي بدأت تجد في المنطقة العربية كانت كلها تنبىء بالتغيير ، بداية الثورة في مصر ، الانقلاب في سوريا ، ظهور التيار القومي ، هذه التغيرات التي حدثت في المنطقة العربية كلها كانت تؤدي إلى العوامل التي نازعتني بين الذهاب والبقاء ، فحسمت أمري بالبقاء ، وفعلاً بقيت في مصر ونشأت لي علاقات فريدة متميزة بيني وبين المناضلين المصريين في حرب القنال ضد الإنجليز ، وانطلاقًا من خبرتي القتالية رغم أنني كنت مازلت طالبًا .

وهكذا انضممت إلى المناضلين المصريين في عامي 1951 ، 1952 م لمحاربة الإنجليز ، وأتاحت لي هذه الفترة التعرف على معظم رجال مصر ، وفي مقدمتهم

رجال ثورة 23 يوليو ، لقد تعرفت في ذلك الحين على كمال الدين حسين وخالد محيي الدين وعبد الحكيم عامر ومجدي حسنين وعبد المنعم عبد الرءوف ، وعدد آخر من مجلس قيادة الثورة ، أما « عبد الناصر » فقد قابلته وتعرفت عليه بعد ذلك ، والذي عرفني عليه هو كمال الدين حسين ومجدي حسنين .

في هذه الفترة التي قررت فيها أن أبقى في مصر قريبًا من شعبي بدأت أفكر مع إخوتي في أنه لابد أن نفعل شيئًا من أجل فلسطين ، وكانت رابطة الطلاب الفلسطينيين التي استطعنا أن نشكلها ونعطيها هذا الدفع القوي والمكانة الهامة ، والتي لم تكن رابطة للطلاب الفلسطينيين فقط ، وإنما كانت هي بؤرة من بؤر النضال الفلسطيني والعربي ، وعلى سبيل المثال كانت هي بؤرة يتجمع فيها كل الطلاب العرب المقيمين في مصر ، وهذه المعرفة والعلاقة التي قامت بيني وبين القيادات المصرية التي تولت الحكم بعد قيام الثورة المصرية قد أتاحت لي التمكن من تقديم الكثير من الخدمات لهذا الشعب المعذب الذي واجهته النكبة الساحقة ، فقد أقنعت الإخوة في مجلس قيادة الثورة أن يقبلوا أول دفعة من الضباط الفلسطينيين في الكلية الحربية المصرية من قطاع غزة ، وهؤلاء الآن من دعائم جيش التحرير الفلسطيني من قائد قوات عين جالوت منصور الشريف إلى مساعد رئيس الأركان عبد الرزاق المجايدة وفخري شقورة وغيرهم »(16) .

ويواصل عرفات روايته قائلاً : « لقد تلقيت تدريبي على أيدي بعض الضباط والخبراء الأصدقاء الذين التحقوا بصفوف المجاهدين الفلسطينيين ! واستطعنا أن نتصل بمختلف القيادات الفلسطينية في أماكن وجودها خلال النشاطات الطلابية للشباب الفلسطيني ، وتشكلت أول نواة فلسطينية في عام 1954 م في غزة تحارب العدو الإسرائيلي ، وكان فيها أخي خليل الوزير ، كذلك حصل بيننا نحن الطلاب الفلسطينيين وبين الفلسطينيين في غزة ما سمي بثورة المعلمين في قطاع غزة الذين شكلوا لمدة تسعة أيام حكومة فلسطينية في غزة ، ثم ألقي القبض عليهم وأودعوهم السجون مدة طويلة ، وكانت غزة تابعة للحكم المصري في نفس الوقت الذي كانت الضفة الغربية

تعيش أبأس حالاتها من ناحية القهر والظلم والعنف الذي وقع على الفلسطينيين ، وفي نفس الوقت كان التيه في اللجوء الفلسطيني . من خلال هذه المحن والخطوب تشكلت البدايات الأولى للصورة الفلسطينية المعاصرة ، وبعد تخرجي عملت سنتين كمهندس في المحلة الكبرى في مصر ، وبعدها ذهبت إلى الكويت واتصلت بالفلسطينيين الموجودين في الكويت وقطر والسعودية ، وهكذا بدأت اتصالاتي الثورية الفلسطينية الجدية ، وشُكلت لجنة اسمها لجنة الخريجين الفلسطينيين في القاهرة ، ومن خلالها تابعت الاتصالات ، وكنت قبل ذلك قد انتخبت رئيسًا لاتحاد الطلاب الفلسطينيين مدة خمس سنوات ، أي رئيس اتحاد طلبة فلسطين ، وفي الكويت وفي الخليج ، أُعلنت فتح ، قبل ذلك لم يكن اسمها « فتح » وإنما كنا نطلق اسمًا لنضع ولنجمع النضال الفلسطيني تحت أسماء مختلفة في غزة وسوريا والضفة الغربية وفي مصر ، ولكن أول ما اتفق على اسم فتح كان في الكويت ، وكان الاسم « حركة تحرير وطني فلسطين ح . ت . و . ف » ، وحذفت الواو وقلبت لتكون « فتح » ، وبدأنا بعد ذلك في تجميع الأسلحة والتدريب لإعداد الثورة التي انطلقت ليلة 31 / 12 / 1964 م »[17] .

تفنيد الرواية

ورواية عرفات مليئة بالمبالغات والمغالطات فهو لم يحدد المناضلين المصريين الذين حارب معهم في القنال وعممهم رغم أنه حارب مع الإخوان حيث كان قد تدرب في مراكزهم ، وحارب على أساس أنه إخواني ، أما علاقاته مع مجلس قيادة الثورة فمشكوك فيها لعدة أسباب أنه إذا كان الأمر كذلك ، فلماذا لم يدعمه عبد الناصر عندما أسس « فتح » مثلاً ؟ ، ولماذا ساعدته سوريا ؟ ، ألم يكن ذلك نكاية في عبد الناصر ؟ ولماذا لم تدخله مصر في منظمة التحرير الفلسطينية أو توظفه لمصالحها السياسية كما فعلت مع الشقيري مثلاً ؟ ، ولماذا ألقي القبض عليه ذات مرة في مطار القاهرة بتهمة انتماءاته السابقة للإخوان ؟ .

كما أن عبد الناصر هو صاحب اقتراح تدريب الفلسطينيين في الجيوش العربية ليكونوا نواة لجيش تحرير فلسطين ، كما أوضحنا ذلك في الفصل السابق ، فلماذا يدعي عرفات ذلك ؟ وكم كان عمره آنذاك ليقوم بذلك ؟!!

كما أن الدكتور عبد الله أبو عزة عندما تحدث عن الحركة الإسلامية والعمليات الفدائية في غزة لم يشر لدور ياسر عرفات المزعوم في تلك العمليات التي كان الإخوان يقودونها في القطاع ضد « إسرائيل » ، وإن كان تحدث عن دور خليل الوزير ، فلماذا يقحم عرفات نفسه في هذه العمليات ؟ ويرجع لنفسه تدبيرها ؟ ألا يعتبر ذلك الادعاء دليلاً على سرقته للثورة ودماء الشهداء ؟ .

عرفات عمل لحساب المخابرات المصرية

كما أن كيرنان يؤكد أن عرفات لم يحسم أمره وتردده إلا عام 1955 م عندما ازداد النشاط الفدائيُّ في غزة ، وقيام « إسرائيل » بتوجيه ضربة قوية للقطاع ، قتل في هذه الهجمة بدير شقيق عرفات ، مما جعله ينهي تردده خصوصًا بعدما قام النظام الناصري بالدعوة إلى الحرب المقدسة ضد « إسرائيل » ، وتم توجيه الدعوة للفلسطينيين من كل الأعمار للالتحاق بقوات الفدائيين ، والتحق ياسر عرفات معهم وتدرب في معسكر بالقرب من المنصورة في أكتوبر عام 1955 م ، وكان الآخرون يعجبون به عندما يقص عليهم قصص الحرب في القدس عام 1948 م ، وكان عرفات أفضل من الجميع في عمليات التفجير ، وتم تجنيده آنذاك لخدمة المخابرات حيث جاء من القاهرة ذات يوم رجل مخابرات وطلب 3 أو 4 أشخاص من المتدربين للمخابرات وتقابل مع ياسر ، وبعد عدة أيام عُلم أن عرفات عاد إلى الجامعة بعد تدريبه لتنظيم وإقامة تجمع فلسطيني لاستخدامه سياسيًا من قبل عبد الناصر ، وقال لرفاقه إنه فور عودته للقاهرة سيقابل عبد الناصر ، ولكنه لم يلتق به ، والتقى مع ضابط مخابرات يدعى ماهر تقي الدين الذي أعطى عرفات بضع مئات من

الجنيهات المصرية لإقامة مكتب بالقرب من الجامعة ووعده بمده بكل المصادر التي يحتاج إليها التنظيم الجديد .

وأثناء حرب سنة 1956 م تم استدعاء ياسر عرفات وكان معسكره في مدينة السويس ، ورواية كيرنان تكذب عرفات وتؤكد أنه تم اختياره من قبل ضابط مخابرات فقط ، وليس من قبل ضباط مجلس قيادة الثورة ، وهذا يعني أيضًا أنه في تلك الأثناء كان قد انسلخ تمامًا من الإخوان ، وإلا لما تم اختياره والتعامل معه ، خصوصًا أن الإخوان كانوا قد ضربوا عام 1954 م ، وهذا يعني ثقة المخابرات المصرية بعدم وجود أي صلة بين عرفات والإخوان ، وأنه لم يكن مخلصًا لتلك الجماعة وفكرها ، وإنما كان يوظف انخراطه فيها لتحقيق أهداف على المستوى الشخصي .

الملف السري لحركة فتح

تذكر رشيدة مهران في كتابها « ياسر عرفات الرقم الصعب » أن فتح ولدت من رحم الناصرية ، وأنه كان لا يمكن لفتح أن تسبق أبدًا وجود عبد الناصر ، وأن صورتها التنظيمية الأولى كانت في النصف الثاني من عام 1957 م وتكونت الخلية السرية الأولى في التنظيم عام 1958 م .

وتحاول رشيدة هنا لي عنق الحقيقة ، حيث أن الإخوان هم أول من أسس تلك الحركة وليس عبد الناصر ، وإن كان النظام الناصري قد سرقها وغسل مخها ووظفها لمصلحته بعد أن فعلت سوريا ذلك من قبل .

أما « هيلينا كوبان » فترى أنه بعد قيام « إسرائيل » بوقت قصير غادر ياسر عرفات غزة إلى مصر حيث درس الهندسة في الجامعات المصرية وكان في طليعة المؤسسين لاتحاد طلبة فلسطين ، ومن هنا تعرف على صلاح خلف « أبو إياد »

سنة 1951 م ، وكان من يافا ، وكان هناك خليل الوزير « أبو جهاد » وأصله من الرملة ، والذي كان يقوم بطريقته في تنظيم غارات فدائية وراء الخطوط الإسرائيلية انطلاقًا من سيناء ، وعندما قبضت عليه المخابرات المصرية متلبسًا طُرد من مصر وعمل مدرسًا في السعودية ، ثم انتقل إلى الكويت ، وكان هناك « خالد الحسن » وهو من حيفا أصلاً ، وكان يعمل في بلدية الكويت ، وكان يبني تنظيمات للفلسطينيين ومؤيديهم في أنحاء الخليج(18) .

ويقول أبو جهاد : في النصف الأخير من عام 1957 م كان اللقاء الأول لحركة فتح ، لقاء مجموعة من المناضلين في الوقت الذي لم يكن فيه عدد أعضاء المجموعة الأولى يزيد على خمسة مناضلين جاءوا من مناطق فلسطينية مختلفة ، ومن مناطق تشرد متعددة ، فقد كان كل منهم يحمل تراث تجربة نضالية في ميدان من الميادين ، وكل منهم يحمل معه حلقة وتنظيمًا قطع شوطًا على هذا الدرب ، وكانت الكويت على الخليج هي موقع اللقاء الأول(19) .

وهذه الشهادات تؤكد على حقيقة واحدة هي أن ياسر عرفات لم يكن مؤسس فتح وحده ، ولكن مجموعة من الشباب هو أحدهم وهذه نقطة هامة جدًا .

وهكذا بدأت انطلاقة الثورة ، ومضى عام 1965 م ، ولا شك أن البعثيين في دمشق كانوا قد احتضنوا ولادة الثورة الفلسطينية ، ولكنهم فعلوا ذلك للمزايدة على جمال عبد الناصر من أجل أخذ مكان المنافسة على الدور العربي الأول ، لذلك حين جاء عام 1966 م بدأ السوريون يدركون خطورة ما تبنوا ، ويدركون أن هؤلاء كبروا مع الزمن ، وليس من السهل القضاء عليهم ، وأنه لا يمكنهم استيعابهم ، وأن الاستراتيجية التي ينادون بها ستنقلب عليهم بعد أن قامت « إسرائيل » بقصف معسكر الهامة قرب دمشق ، وبدأ الخلاف بين الحركة وسوريا ، وبدأت أول الاتصالات بين الحركة والسعودية مع الملك فيصل ، وعرض الملك على الحركة أموالاً ، ولكنها رفضت ـــ كما يقول هاني الحسن ـــ لا لشيء إلا لأننا كنا لا نريد أن نبدأ بالتبعية ، وكان طلبهم الأساسي الاعتراف السياسي .

ويواصل هاني الحسن كلامه : وهنا بدأ السوريون يدبرون عملية للضغط ، فبدأوا يقترحون تشكيل قيادة مشتركة تعرف باسم مجلس الطوارىء ، فعرضوا علينا أن نقبل « أحمد جبريل » وهو في الأصل ضابط استخبارات في الجيش السوري ، وكان علينا أن نقبله عضوًا في مجلس الطوارىء ، ونقبل آخرين معه مثل يوسف عرابي .

قبلوا كل ما أملته سوريا مقابل استمرار الجبهة والقتال ، وكان السوريون يرتبون أيضًا لانتقال القيادة إلى أحمد جبريل فرتبوا فتنة داخل التنظيم وداخل العمل العسكري ، ففي أحد البيوت دخل يوسف عرابي وقتل ضابطًا من « فتح » اسمه « أبو حشمة » ، وكان في نفس الوقت يوجد أخ فلسطيني من الحركة اسمه « زغموت » لفقت له تهمة القتل ، وقد أدت هذه الفتنة إلى إخراج القيادة الفلسطينية من سوريا ، هذه هي رواية هاني الحسن[20] .

ما هو سر الحقيبة السوداء وطرد عرفات من سوريا ؟

وطبقًا للرواية السورية التي تناولتها الصحف السورية حول الفتنة الداخلية في الحركة الفلسطينية الوليدة قامت السلطات السورية باعتقال جميع القيادات الفلسطينية الموجودة في دمشق ، وكان عددهم ثلاثة عشر مسئولاً ، وتم وضعهم في السجن بتهمة العمالة لجهات أجنبية ، وتساءلت الصحف آنذاك عن سر الحقيبة السوداء التي أحضر بها أموال الحلف الإسلامي ؟ وعن الأموال التي أخذتها التنظيمات الفلسطينية لإقامة التكتلات .

وحاول بعض الفلسطينيين المقيمين بالكويت التدخل للإفراج عن المسجونين وقام أبو إياد وأبو اللطف بالسفر إلى دمشق وقابلا حافظ الأسد الذي كان وزيرًا للدفاع آنذاك للرئيس نور الدين الأتاسي ، وتم الاتفاق على الإفراج عن الجميع على

أن يخرج ياسر عرفات من سوريا ولا يعود إليها ، بينما يبقى الجميع لمتابعة العمل في الثورة .

وهذا الموقف السوري المبكر من عرفات يوضح العداء المتبادل بين الجانبين ، ويبدو أن سوريا على اقتناع تام بموقف عرفات المخادع ، وهكذا يكون عرفات قد سجن في مصر وسوريا وكذلك في لبنان عندما كان عائدًا من دورية فلسطينية عبرت الأراضي اللبنانية إلى « إسرائيل » للقيام بقصف ضد « إسرائيل » حيث تم اعتقال أفراد الدورية وقضوا في السجن خمسين يومًا وكان بينهم ياسر عرفات .

ويعرض « أبو إياد » في كتابه « فلسطيني بلا هوية » أسباب مشاركة فتح في أعمال المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في القدس في 18 مايو سنة 1964 م رغم معارضة فتح لتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية « .. كانت هناك أسباب تدعونا للاشتراك في هذا المجلس ، منها ضرورة عدم انقطاعنا عن الحياة السياسية الفلسطينية ، ومنها الضرورة الأخرى الأكثر إلحاحًا وهي ضرورة التسرب إلى داخل منظمة غنية وقوية للإفادة من الوسائل التي تتمتع بها ، فقد كان يسعها فعلاً أن تستخدم استخدامًا مفيدًا كواجهة لنشاطاتنا السرية !.

وما لبثت الانتقادات أن بدأت توجه إلى الشقيري بسبب قيادته الانفرادية للمنظمة ، والذي يعترف هو نفسه ، وفي مذكراته بأنه كان يتخذ بعض القرارات دون الرجوع إلى اللجنة التنفيذية أو المجلس الوطني ، وتطورت الانتقادات حتى وصلت إلى حد الموقف العلني ضده من قيادة المنظمة ، وتعالت الأصوات بإقصائه عنها ، فقد كانت المنظمات الفلسطينية تكاد تسيطر عليها ، وعلى رأسها بالطبع فتح »(21) .

وفي اجتماع للجنة التنفيذية تقول رشيدة مهران : تم تنحية الشقيري واستولت المنظمات الفدائية على قيادة المنظمة من خلال توزيع عضوية المجلس الوطني الفلسطيني على كل التنظيمات تمهيدًا لدخولها اللجنة التنفيذية وسيطرتها على قيادة

المنظمة ، وكان النصيب الأكبر فيها لفتح ، وكان ياسر عرفات قد ظهر قبل ذلك كناطق رسمي بلسان « فتح » فانتخب رئيسًا للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وهذا الكلام يتعارض مع ما سبق ذكره بأن الشقيري هو الذي استقال بعد هزيمة سنة 1967 م ، وتولى بدلاً منه يحيى حمودة ، ولم تحصل فتح إلا على 20 ٪ من مقاعد المجلس الوطني ، واحتفظ المستقلون بالباقي فأيدوا عرفات واختاروه رئيسًا للمنظمة عام 1969 م !! .

فتح ودعم الانشقاقات

وتقول هيلينا كوبان في كتابها « المنظمة تحت المجهر » : « ربما لم تقدر « فتح » حق التقدير ـــ باعتبارها أكبر وأقوى المنظمات ـــ الأخطار الكامنة في تضاعف وتعدد المنظمات المنافسة ، ذلك أن بعض الأعضاء كانوا يميلون بالتأكيد إلى الفكرة القائلة بأن المطلوب للحركة الفدائية في تلك المرحلة هو مجرد تكاثر الأعداد ، بصرف النظر عن هوية الانتماء ، و « فتح » نفسها تلبست بجرم إحداث انشقاق جديد واحد على الأقل في الثورة عندما سهلت لمجموعة نايف حواتمة الخروج من الجبهة الشعبية وتشكيل منظمته الخاصة باسم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في مطلع عام 1969 م »[22] .

إلا أن رشيدة مهران تبرر ذلك بأن الدول العربية كانت وراء التعدد الكبير للتنظيمات التي لبست الثوب الفلسطيني .

الملابس الكويتية والشيخ سعد العبد الله أنقذ عرفات

عندما اندلعت أحداث أيلول الأسود عام 1970 م في الأردن وقام الجيش

الأردني بتصفية الفدائيين الفلسطينيين ، وكان الرئيس عبد الناصر قد تمكن من الوساطة لإطلاق سراح أبو إياد وأبو اللطف وإبراهيم بكر والعقيد سمير الخطيب ، وعندما التقى أبو إياد بعبد الناصر كان مطلبه الأول سرعة التحرك لإخراج ياسر عرفات من عمان لأن الملك لن يوقف المعارك طالما أن رئيس المنظمة في الأردن ، واقترح عودة نميري إلى عمان لإخراج عرفات .

وذهب الوفد إلى عمان مرة أخرى ، وكان من بين أفراده الفريق محمد صادق الذي كان هدفه إخراج « عرفات » سالمًا حتى يتمكن من حضور مؤتمر القمة الذي دعا إليه الرئيس عبد الناصر .

وكان خروج عرفات من عمان مغامرة خطرة اعتمد فيها عرفات على الحظ الذي أعمى بصيرة القوات والحراس والمخابرات عن هذا الذي يلبس الزي البدوي ويسير باتجاه السفارة المصرية ، ليغادرها بسرعة إلى الطائرة التي أقلته إلى القاهرة ، وقد لبس ملابس كويتية باعتباره أحد المرافقين مع الشيخ سعد العبد الله ولي العهد الكويتي حاليًا الذي أصر آنذاك على مصاحبة أبو عمار ، ورغم أن الأجهزة كلها كانت قد التقطت المكالمة التي دارت بين السفارة وبين مخبأ عرفات والتي تحدد موعد وصوله وطريقة الوصول إلى السفارة ، وبخدعة بسيطة جرت في التوقيت وصل عرفات إلى السفارة تحت الأسنة المشرعة !![23] .

وأدى ظهور « ياسر عرفات » في مؤتمر القاهرة إلى إسراع ملك الأردن إلى المؤتمر الذي كان يماطل من قبل في حضوره ، ليتفق مع « ياسر عرفات » على وقف إطلاق النار بين الطرفين .

ويبدو أن ياسر عرفات نسي هذا الموقف الذي وقفه معه الشيخ سعد العبد الله وساهم في إنقاذ حياته ، ولذلك كان من الغريب أن يقف ياسر مع صدام ويؤيده في غزو الكويت التي شهدت انطلاقة « فتح » وساعد أهلها عرفات من الإفلات من الموت في الأردن ، نعم وقف عرفات مع صدام الذي حاول اغتياله عدة مرات

وهذا يدفعنا إلى أن نقول اتق شر من أحسنت إليه .

العنف الثوري ضد الجميع

وكان مؤتمر « فتح » الذي انعقد في أكتوبر سنة 1971 م أحد أهم المؤتمرات التي شهدتها المنظمة إبان وجودها كله ، وجاء التعطش للانتقام نتيجة طبيعية لليأس وخيبة الأمل ، وقد أصبحت كلمة القائد الفدائي « أبو علي إياد » التي قالها قبل أن يدمر جهاز الإرسال الموجه إلى القيادة والتي قال فيها : « نموت واقفين ولا نركع » دستورًا بين شباب « فتح » كلهم ، وأصبحوا حريصين على ممارسة عنف ثوري من نوع جديد ، فكانوا لا يريدون مهاجمة العدو الصهيوني فحسب ، وإنما القتلة والخونة العرب الذين جعلوا أنفسهم مساعدي « إسرائيل »[24] .

نقاط ضعف عرفات كانت سب أحداث الأردن

وإن كانت معظم الكتابات حول أحداث أيلول سنة 1970 م قد ألقت بالتبعية كاملة على الملك حسين وطمست بعض التفاصيل التي كانت وراء هذه النهاية المأساوية ، إلا أن أخطاء القيادة الفلسطينية وعلى رأسها ياسر عرفات شاركت في تلك النهاية ولو تدخلت في الوقت المناسب ومارست دورها بكل تجرد لكانت الخسارة أقل .

وفي لحظة صفاء داخلي واعتراف بالخطأ يقول هاني الحسن : خروجنا من الأردن بهذه السرعة لم يكن بالمصادفة ، وليس بسبب الهجمة الشرسة التي يحاول رجال المنظمات اليسرويون ــ وليس « اليساريون » ــ أن يتذرعوا بها !

فعندما ندرس المشكلة فسنجد عديدًا من الأخطاء أدت إلى اكتمال المأساة ، سنجد أولاً انشقاقًا في الجبهة الشعبية ، وقد أدى إلى صراعات في الشوارع ، وإلى

أن يقتل بعضهم بعضًا ، وقد حدث قبل أيلول « سبتمبر » بأسابيع قليلة أن قامت قوات الجبهة الشعبية بقصف أماكن تجمعات للجبهة في وسط مخيم الحسين بمدافع الهاون ، وفي الوقت نفسه وقع جورج حبش ضحية مخطط ذكي وضعته المخابرات الأردنية لم يتكشفه هو وقتها ، فقد أرسل له « عطا الله غاصب » قائد اللواء الأربعين الذي أخبره أن إذا وقعت قلاقل في عمان فسيتدخل هو ليقمعها كما هو مفروض ، فاتفق معه على أن تحدث قلاقل بالفعل في عمان ليأتي هو ، وبدل أن يقوم بالقمع ، ينضم للمقاومة ! ولم يبلغ حبش أحد بهذا الاتفاق ، واتفقوا جميعًا أن يخفوا الموضوع عن « فتح » وعن القيادة لأنهم أرادوا أن يأخذوا السلطة من « فتح » ومن يد ياسر عرفات .

وقد بدأت الاعتداءات منذ شهر نيسان « أبريل » حتى شهر أيلول « سبتمبر » ، وخلال خمسة شهور كانت البادية وكل الريف ضدنا لأننا نعتدي على أبنائهم ، والحقيقة لم يكن هناك اعتداء من الثورة الفلسطينية ، بل كانت هناك خطة تنفذها الجبهة الشعبية لاستدراج اللواء الأربعين للدخول إلى المدينة ، والذي لم يتدخل ولكنه اشتبك مع السوريين الذين أرادوا مساعدتنا في إربد .

والسؤال هنا ، لماذا لم يجر قمع الجبهة الشعبية ؟ سيسجل التاريخ أن فقدان الانضباط الفلسطيني في السيطرة على الأمور في عام السبعين كان مسئولاً عن إنجاح المخطط المضاد لنا ، هكذا يقول هاني الحسن .

ويضيف أن أولى المشاكل في حركة « فتح » بدأت حينما أخذ فريق يحاول تمرير أفكار داخل « فتح » فيستعينون بالتحالف مع المنظمات اليسارية الفلسطينية والأخرى التي لها علاقات مع بعض الدول العربية من أجل فرض آرائهم داخل « فتح » محتمين بموضوع الوحدة الوطنية .

صحيح أنني ضد الاقتتال الفلسطيني ولا يمكن أن أقبل بحرب أهلية فلسطينية ، ولكن هذا لا يعني بأي صورة من الصور أننا إذا كنا على ظهر باخرة وأتى من

يريد أن يحفر في مكانه ثقبًا في الباخرة ألا نقمعه بحجة رفض الاقتتال الفلسطيني .

والذي حدث أن البعض بشكل أساسي ـــ كما هو دائمًا في كل عمل ـــ وحتى في لبنان أيضًا ـــ يرفض ممارسة عملية الانضباط على المنظمات ، حتى عندما ترتكب أخطاء تفقدنا الوحدة الشعبية ، فالوحدة عنده مع الجبهة الشعبية والمنظمات اليسروية أهم من رأي عام شعبي على الأرض لأنها حليفته !!

ويضيف هاني الحسن : عندما نتكلم للأجيال القادمة فيما قصرنا لا نقتصر على ذكر الأحداث فقط ، هنا لا بد أن نسأل من المسئول ؟ من الذي لم يحل دون ذلك ؟ كل منا كان يعلم أن الاعتداء العشوائيَ على الجيش الأردني يجعل الجيش بيد النظام وقوة النظام إذا تكتل الجيش حوله ، فكيف إذا تكتل الجيش وانقسم المجتمع إلى فلسطينيين مع الثورة وأردنيين مع النظام ؟ خاصة والأردنيون يعيشون في القرى والريف والبادية ، وبالتالي تصبح المدن محاصرة .

وما كان يحدث ضد هذه البديهيات ، فمثلاً عندما أتت الذكرى السنوية للينين ، قامت الجبهة الديمقراطية برفع العلم الشيوعي على مسجد مدينة السلط ، وفرضت إجراء احتفال لمدة أسبوعين ، وكان النظام ذكيًا عندما ترك هذا العرض يجري على التليفزيون ، وعندما ذهب الجميع يحتجون قال لهم الملك : ماذا أفعل مادام الفدائيون مسيطرين على الإذاعة والتليفزيون ؟ .

وقتها ناقشنا موضوع خطورة هذا العمل واستفزاز مشاعر الناس ، خاصة ونحن في وسطهم ، ناقشنا في تنظيم « فتح » ولكننا وجدنا أن اتخاذ أي إجراء مضاد لهؤلاء الناس يعني عدم وحدة « فتح » ، وهنا تدخلت رشيدة مهران مستفسرة من هاني الحسن : هل معنى هذا أن الأمر كله كان بيد قائد واحد وحده ؟ .. هل كان الوحيد الذي يستطيع أن يكبح جماح المتمردين ؟ ، ويرد هاني الحسن : بدون شك ياسر عرفات أيضًا كان يستطيع أن يكبح ، لكنه إذا فعل ذلك فسيؤدي به الأمر إلى مشكلة داخل فتح .

وفي رأيي أن هذا كان خطأ كبيرًا ، فقد كان يجب أن ننقذ الوضع لأن إنقاذ الوضع لا يقل أهمية عن الوحدة الوطنية ، واستمرت سلسلة الأخطاء إلى أن قادتنا إلى الكارثة النهائية سنة 1971 م ، إذ بعد أن توقف القتال في أيلول / سبتمبر سنة 1970 م .. جاء قتال مايو سنة 1971 م ، كان أبو إياد في عمان ، بينما كان ياسر عرفات وأبو جهاد في الأحراش حيث أحاطت القوات الملكية بالأحراش تريد القضاء على ياسر عرفات أولاً اعتقادًا منهم أن نهايته تنهي المقاومة ، فكان علينا أولاً إخراج ياسر عرفات من هذا الحصار(25) .

وهكذا يتضح من خلال كلام هاني الحسن نفسه أحد رجال عرفات أن هزيمة القوات الفلسطينية يسأل عنها عرفات لأنه كان يمكنه السيطرة على الموقف الفلسطيني بالتضحية بالمتمردين الفلسطينيين ، أما موضوع الانشقاق في الجبهة الشعبية نفسها فهو المسئول عنه أيضًا طبقًا لما أقالته هيلينا كوبان في كتابها المنظمة تحت المجهر ، فهو مثل الملك حسين تمامًا ويتحمل كذلك جانبًا كبيرًا من المسئولية الجنائية ضد المقاومة الفلسطينية بغض النظر عن مسئولية الملك حسين ، وهذا الموقف اللامسئول منه يؤكد عدم قدرته القيادية للثورة الفلسطينية ، وكان يجب محاكمته أو استقالته كأي قائد مهزوم ، ولكنه بقي ليتكرر ما حدث في الأردن في لبنان بعد ذلك .

الملك فيصل أنقذ عرفات من الموت في الأحراش

وإذا كان عبد الناصر والأمير سعد العبد الله قد أنقذا عرفات من الموت عام 1970 م عندما أخرجاه من الأردن ، فإن الملك السعودي فيصل قد ساعد في إخراجه من معركة الأحراش التي كان الفلسطينيون فيها يقفزون من مغارة إلى مغارة كالفئران على حد وصف هاني الحسن الذي اتصل بالملك فيصل لإخراج أبو عمار من الأحراش واشترط أن يخرج عرفات بسيارة السفير السعودي محتميًا بالجيش الأردني حتى لا يُقتل في الطريق ، وأقنع الملك فيصل الملك حسين بذلك ، وتم

الاتفاق على أن يقود السفير السعودي بالأردن ــ وكان يدعى الجحيمي ــ السيارة ، وبالفعل تم إخراج عرفات بنجاح إلى الرمثا ، ثم تم إخراج عرفات[26] .

ورغم ذلك فقد نسي عرفات ذلك في غمرة الأحداث ، فهو دائمًا ينسى الجميل ويطعن من أحسن إليه في الخلف ، وهذا ما اتضح عندما وقف مع صدام حسين ضد الكويت والسعودية ، ويبدو أن هذه سمة رئيسية في تكوينه الشخصي .

ملامح شخصية عرفات

وحتى نفهم عرفات لابد من دراسة شخصيته وأبعادها ، وسنعتمد هنا على بعض الآراء المؤيدة والأخرى المعارضة ، وسنعتمد أولاً على الرواية المعارضة التي يتبناها « أبو الزعيم » ، ولذلك علينا معرفة كيف بدأت علاقتهما ، يقول أبو الزعيم إن أحد أقربائه هو الذي عرفه بياسر عرفات الذي كان مجهولاً آنذاك ، وكان يقيم في الهامة في دمشق وحركة فتح كانت صغيرة ومحدودة قبل عام 1967 م ، وجاءني صلاح خلف في الزيارة الأول إلى منزلي وتداولنا وتعارفنا ، وكنت وقتها في إربد ، وهي مدينة في شمال الأردن ، ووحدتي العسكرية كانت هناك ، وكنت رئيس أركان لواء الملك طلال في ذلك الوقت ، وقلنا له « إننا مستعدون أن نساعدكم في كل ما تحتاجون إليه ، وبالفعل كنا نتعاون معهم في كل شيء ، ننقلهم من الحدود السورية إلى الحدود الفلسطينية عبر الأردن ، ونمدهم بالذخيرة والأسلحة ، وكنا دائمًا نرى فيهم وهج المستقبل ونعرف جميعًا أن أنظمة الجيوش تمنع الانتساب إلى هذه المنظمات ، ومع هذا فإن التعاون معها استمر وقتها ، وكان هناك وهج للعمل الفدائي ، والكل كان مع العمل الفدائي ، وانتسبت إليه رسميًا فتم اعتقالي في الأردن ، ولولا أن تدخلت قيادة فتح مع القيادة الأردنية عقب معركة الكرامة سنة 1968 م وأخرجوني وذهبت إلى بغداد لمعالجة الخلل في العمل الفدائي ، وقمت بالفعل بتدريب مجموعات فدائية وأسست قوة جيدة أسميتها القوة الضاربة ، ثم تم طردي من العراق ، وتوجهت

للأردن ونفذنا أول عملية في « الحمة » ، وكان لهذه العملية دوي هائل في العمل الفدائي ، وبعدها نفذنا عملية الحزام الأخضر ، هاجمنا فيها ستة أهداف مجتمعة وشاركت فيها كل فصائل المقاومة ، وتلاها عمليات الأرض الطيبة ، وحراب فتح ، وفرحان السعدي ، وعز الدين القسام ، وقد غيرت هذه العمليات وجه المعادلة الفلسطينية في ذلك الوقت ، وبدأ الناس على ضوئها يرون صورة جديدة للفدائي[27] .

وحول انطباعه عن شخصية ياسر عرفات يقول أبو الزعيم : في الحقيقة لا تستطيع أن تكون محايدًا في تقييم شخصية ياسر عرفات ، فإما أن تكون عليه أو أن تكون معه ، يعني هناك من يرفض تصرفاته ، مثلاً ياسر عرفات يرى في الكذب متعة وفهلوة وطريقة لإدارة الصراع ، وأن الرجل الصادق لا يستطيع أن يتحرك مترين في هذا الخضم الفلسطيني فهو يرى أن الكذب عامل أساسي في إدارة الصراع ، بينما يرى الناس الذين لا يكذبون هذا عيبًا ولا يليق بقائد أن يكذب ، بغض النظر عن أي شيء ، خاصة أنه ليس بالكذب الأبيض .

والحقيقة أنني واجهت أول صدمة بعد معركة الحمة ، التي تعتبر ناجحة بكل المقاييس والتي يعلم كل المقاتلين أنني كنت القائد المسئول عنها تخطيطًا وتنفيذًا ، فعندما عدنا من تنفيذ العملية ، وكان ذلك عام 1969 م ، كنت متعبًا وأشعر بالإنهاك ، وقد استغل أبو عمار غيابنا وبمعاونة ضابط ، رفض رغم موقعه كمسئول أن يشترك في القتال ، وأخذ يشرح العملية بصورة مشوهة مضخمًا الأمر ، وقد أيد الضابط أكاذيب عرفات ، وبعد ذلك ، عندما قدمت له كشفًا بخسائر العدو ضرب الأرقام في عشرة ، وعندما اعترضت قائلاً إنه لا يجوز أن تكذب على الناس ، رد علي بقوله إن عملية كهذه لم يقم بمثلها لا دولة ولا جيش عربي ، وعلينا أن نبرزها ونبرز دورنا ، وكتب البيان الكاذب عن العملية بخط يده ، ولكن الأمر لم يقف عند ذلك ، فقد خرجت بملاحظتين مهمتين حول شخصية الرجل ، وهاتان الملاحظتان شكلتا صدمة ، فبالنسبة للملاحظة الأولى أذكر أن صحفيًا ذكيًا من مجلة

المصور ، قال لأبو عمار بعد أن استمع لروايته ، إنني رأيت أبو الزعيم وهو « طالع من الجبهة » ، ولم يرد أبو عمار ، وعندما أجرى صحفيون من مجلتي المصور وآخر ساعة عدة لقاءات صحفية معي ، تبينت بعدها أن ياسر عرفات يتخوف من أي شخص له حضور أو وجود ، ويحاول دائمًا التقليل من شأنه ، وقد قادني ذلك إلى ملاحظة مهمة هي أنه يفعل ذلك مع كل إنسان له شعبية .

الأكاذيب الإعلامية

أما بالنسبة للملاحظة الثانية ، فقد كشفت لي المسلكية الإعلامية الكاذبة وغير الشريفة أو الأمينة التي يتمسك بها أبو عمار ، والتي تقوم على المبالغة وعلى تصوير الفدائيين على غير حقيقتهم ، مما جعل الناس تنظر للفدائيّ وكأنه ملاك رغم أنه في حقيقته إنسان مثل بقية الناس يمكن أن يصيب ويخطيء وينهزم ، ويمكن أن يهرب ، مثلما يمكن أن ينتصر ، يعني هو في النهاية إنسان من هذه الأمة لا أكثر ولا أقل ، ومثل هذه الصورة المبالغ فيها كنا نحن العسكريين ندفع ثمنها ، فالناس يتصورون أننا قوة كبيرة لا تتزحزح أو تتراجع أو تخلي مكانها ، والحقيقة البسيطة أننا كنا قلة من الناس يمكن أن تصاب بخسائر في الأرواح وأن تخسر بعض المعارك ، وأن تفشل في بعض العمليات .

بعد ذلك لاحظنا أن الحملة الإعلامية تنصب على شخصه فقط ، ثم لاحظنا أنه يتعمد تمزيق التنظيمات الفلسطينية ، بما في ذلك فتح ، فتتحول إلى أفراد أو مجموعات صغيرةحتى يسهل عليه السيطرة عليها ، ومع الزمن صار لا يستطيع اتخاذ القرار لأنه غير قادر على السيطرة على المجموعات المقسمة والتي فرقها بيده ، وبدأت أشعر أن هذا كلام لا يليق بإنسان يريد أن يحافظ على قضية شعب وعلى قيمه الأخلاقية ، ولو جلست لياسر عرفات فلا يمكنك أن تشعر بالارتياح ، دائمًا تشعر أنك مع إنسان تملؤه الشكوك ، بغض النظر عن الثياب التي يزركش بها

انفعالاته ، وأذكر أنني سمعت حديثًا في أمريكا عن أن ياسر عرفات لم يتزوج حتى لا يشاركه أحد المخدة التي ينام عليها ، والتعبير مضحك ، ولكن هذه هي الحقيقة ، فياسر عرفات من الأنانية بحيث يغار من أبو عمار ، وأبو عمار يغار من ياسر عرفات ، بجانب أنه متردد عندما يسترخي في الحديث ، ويغوص في جوانب القضية والمشكلة ، لا تشعر أبدًا أنك أمام رجل دولة ، أو أنك أمام قائد مسيرة ، بل تشعر أنك تجلس إلى مشعوذ يحاول أن يخدعك أو يزيف الحقيقة ، أو يحاول أن ينقلك من جو إلى آخر ، ولا يمكن أن تشعر أنك تجلس إلى قائد ، تملأ نفسه العزيمة والإرادة ، ويملأ عقله النور والوعي بالقضية والإيمان بالشعب ، أما الواقع فيقول إن لديه الأموال يوزعها بالشمال واليمين ويعامل زوجات الأسرى أو المعقدين بسبب الإصابة بشعارات « حرام عليكم » و « مال الثورة » أي بالتقتير الحقيقي على المناضلين الحقيقيين ، هذا المقتر الحريص على مال الثورة نجده ينفق بسخاء على الدعاية الشخصية لنفسه ، وينفق الكثير على الوسائل الإعلامية ، وبشكل خاص على بعض القيادات ، التي ليس لها من هم إلا أن تملأ جيوبها على حساب الشعب والقضية ، ومنهم الفلسطينيون وغير الفلسطينيين ، يعني الرشوة عنده قائمة للفلسطيني سواء أكان في موقع قيادي أم لا ، ولغير الفلسطيني ، أي لكل من يتقبل هذه الأساليب المنحطة المخجلة أو المنافية لأخلاق شعبنا وأمتنا العربية ، ويواصل أبو الزعيم وصف شخصية ياسر عرفات قائلاً : هناك حقيقة أخرى عن « أبوعمار » يعرفها عدد قليل من الناس الذين أتيحت لهم فرصة الاقتراب منه لفترة طويلة ، وهذه الحقيقة هي أنه في أعماقه إنسان جبان ، ولاحظت وتحققت من هذه الصفة خلال كثير من المعارك العسكرية ، فهو كقائد عام يجب أن يكون في هذا الموقع أو ذاك ، وهنا يستخدم الشجاعة العقلية ليوهم نفسه بالثبات ، وعند المفاجأة لا تشعر أنك أمام قائد عام أو قائد عسكري ، بل تشعر أنك أمام إنسان خائف ، وسرعان ما يحاول أن يغطي ذلك بأي شكل ، وهذا جانب سيئ في شخصية عرفات وليس أقل منه سوءًا مسلكه في لحظات النصر ، حينئذ تنقطع العلاقة بينك وبينه ، وإذا كانت له

مصلحة مع إنسان ، فلا كرامة له حتى تتحقق تلك المصلحة ، يعني إذا كان بحاجة لموقف ما فإنه يتناسى كل شيء ويذل ويسحق نفسه في سبيل تحقيق مطلبه ، ولو سمع كلمات مهينة أو أمر بمواقف سيئة تجده يتحمل ويضحك ويتناسى هذا الموقف في سبيل أن يحصل على ما يريد ..

وإنه قائد متردد ، ولا أذكر أنني شاهدته يتخذ قرارًا ، وإذا ما اتخذ قرارًا ، ولو في أمر بسيط يتراجع عنه بعد يوم أو يومين ، سواء نتيجة ضغط هذه الجهة أو تلك ، أو من أجل خاطر هذا القائد أو ذاك ، وهذا طبعًا يجعل اتخاذ القرارات عنده تخبطًا في تخبط .

قيادة الثورة بالمال والإعلام

وأؤكد أن ياسر عرفات يقود الثورة الآن بالمال وبوسائل الإعلام والفهلوة ، وأنت تعرف أن عشرين أو خمسًا وعشرين سنة تعلم أي إنسان نتيجة الممارسات اليومية . وجانب آخر من شخصية عرفات يبدو خلال زياراته لبعض الدول ، حيث يتصرف مثلما يتصرف أي ملك أو إمبراطور بالنسبة للهدايا والعطايا للحراس الذين يرافقونه ، يعني أنه يحيط نفسه بأبهة القيادة والزعامة ، علمًا بأنه كقائد ثوري من المفروض أن يكون قائدًا من الشعب وإلى الشعب ، ويصرفه هذا عن قضايا الوطن ، لأنها تجعل منه دائمًا وأبدًا إنسانًا يبحث عن « النفخة » والمراسيم ، ولا يبحث عن الدقة والواقع الحقيقي للشعب الفلسطيني .

وهو يهتم بتمجيد شخصه ونفسه وأنه هو الثورة وهو القضية ، ودائمًا تجده لا يربط مصير الشعب الفلسطيني بكفاح الشعب الفلسطيني بقدر ما يربط مصير الشعب الفلسطيني بمقدار كرم وعظم به ، وهذا يعني أنك تستطيع أن تكرمه بشيء وتشعره بأهميته وتنفخه لتحصل منه على تنازلات كثيرة في العمل السياسي ، ويرتبط عمق الذات بالغيرة ، فهو يغار جدًا من أي إنسان أو صوت يشعر أنه ناجح أو يمكن

أن يكون ناجحًا في المستقبل ، فيحاول قتله والقضاء عليه ، بالإضافة إلى أنه يخضع بسهولة لخصومه وليس لديه القدرة على العمل للحفاظ على متانة موقفه .

والجانب المثير للدهشة هو حب أبو عمار للاتصال بالأعداء ، هذه الناحية لمستها خلال عملي كمسئول للاستخبارات ، وكلمة الأعداء هنا تعني الأعداء الشخصيين والأعداء الوطنيين ، يعني لو قيل له إن مبعوثًا إسرائيليًا يطلب أن يقابله ، فإنه يرحب بهذا اللقاء بغض النظر عن النتائج ، وإذا كانت هناك لقاءات أعلن عنها فإن هناك لقاءات تمت في سرية وبعيدة عن العيون ، وهذا المناخ السري يفتح لنا الطريق لنقول إن عرفات يعشق الجواسيس وأعمال الجاسوسية ، ويقضي ساعات طويلة يسمع للجواسيس ويحاورهم .

التردد في اتخاذ القرار

ويضيف أبو الزعيم أن معظم الخلافات مع عرفات كانت تدور دائمًا وأبدًا حول تردده في اتخاذ القرار ، وعدم قدرته على الحسم ولجوئه الدائم إلى أساليب المناورة والالتفاف ، وفي معظم الحالات كان يؤكد بأنه مقتنع بما يقال له مائة في المائة ، وعندما نكون في موقف من المواقف يتطلب قرارًا فيه شيء من الاعتدال كان يتحدث ساعتين في الاعتدال ، ونشعر أنه مقتنع بما يقول ، ثم تجده في قراره يتخذ مسارًا عكسيًا . هذا هو العجز ، وعندما تسأله عن سبب ذلك ، يواجهنا بالأعذار ، « إخوانك ومش إخوانك وأعمل إيه والجبهات والمنظمات ومش عارف إيه » ، وكنا نتبين أنه لا يستطيع أن يدافع عن رأيه أو يحمي موقفه وقراره ، وينطبق ذلك على القرارات المصيرية أيضًا ، مثل قرار فاس الأول الذي أرسل إلى الملك فهد وقدم للسعودية كمشروع فلسطيني ، وبعدها توقف ، وحين جاء إلى الأردن وتم التوصل إلى صيغة اتفاق أردني فلسطيني واعتبروه انتصارًا عالميًا ، ولم تمض سنوات حتى قرروا إلغاءه في الدورة الثامنة عشرة للمجلس الفلسطيني بالجزائر سنة 1987 م ، وكثيرًا ما كان

يتراجع عن قراراته ، وفقًا لمنطق الخضوع للأكثرية ، مما أدى إلى انقسام التنظيمات على نفسها ، وهكذا أصبح التنظيم الواحد تسعة تنظيمات وهي كلها لا تساوي شيئًا بدون فتح ، ومع هذا كان يخضع لها أو يخضع لأبو اللطف أو لأبو إياد ، ودائمًا ما تجده يهمل أقرب الناس إليه ، وهنا لا أقصد أهله ، فهو وفي لهم ، ودائمًا يعمل على تحسين أحوالهم ، ولكن أقصد الناس السياسيين العاملين معه ، فإذا ضمن صوت واحد منهم ، فلا وزن له عنده لأنه أصبح محسوبًا عليه وسيؤيده على طول الخط ، وذلك بدلاً من الاهتمام بهذه الأصوات التي تدعمه وتدعم موقفه[28] .

رفض أي نقد صحفي

ويقول عرفان نظام الدين رئيس تحرير جريدة الشرق الأوسط السابق في كتابه حوارات على مستوى القمة : إن عرفات بارع في التعامل مع الصحفيين ورجال الإعلام ، بل يكاد يكون الوحيد الذي استطاع أن يبني ماكينة إعلامية لا تخرق بفضل أسلوبه وتفهمه لأهمية الإعلام في أي عمل ناجح ، وقد أخبرني أحد مساعديه مرة أنه حاول تنظيم المقابلات الصحفية مع أبو عمار بحيث تحصر مع رؤساء التحرير فقط وعلى فترات متباعدة ، وبعد فترة استدعاه أبو عمار وقال له : فين الصحفيين ، بقالي زمان ما شفتش حد منهم ، وعندما أخبره بالتنظيم الجديد غضب وقال له : أنتم لا تفهمون بالإعلام ، فأنا لا أغلق بابي أمام أحد ، دع أي صحفي يطلب مقابلتي أن يأتي إليَّ ، ولا تضعوا أي شروط أو قيود .

واعترف هنا أن هذه العلاقة الحميمة لم تكن كلها « سمن وعسل » ، بل مرت بهزات وخضات وعتب ، ولا أذكر كم هي عدد المرات التي اتصل بها عرفات وهو غاضب على خبر أو تحليل أو تحقيق ، من بينها مقال كتبه دخيل على الصحافة ومر على قلم التحرير خلال غيابي ، وكان مليئًا بالدس على الثورة الفلسطينية ، مما سبب إحداث قطيعة بيني وبين أبو عمار ، سرعان ما انتهت عندما عرف الحقيقة ،

والغضب السريع هو أحد الملامح الرئيسية في شخصية عرفات ، وهو غضب ناري يظهر واضحًا في تعابير وجهه وحركات يديه وطريقة كلامه إذ أنه ما إن يغضب حتى ينسى لهجته الفلسطينية ويتحدث اللهجة المصرية التي يتقنها من خلال سني حياته الأولى التي عاشها في مصر مع والده ، ومع هذا يبقى غضبًا فوّارًا ينتهي في لحظة ولا يترك جروحًا ولا آثارًا لأن من طبيعة أبو عمار ألا يحمل حقدًا أو ضغينة لأحد في قلبه الذي يلمس طيبته كل من عاشره من إخوان وأصدقاء ورفاق ومساعدين ، وهو حاد إلى أقصى الدرجات في بعض الأحيان ، وهادىء ببرود غريب في أحيان أخرى ، تارة يلوح بالاستقالة وتارة يصدر قرارًا بعزل مشاكس ، وتارة أخرى يصاب بدوخة ويجلس على كرسيه غائبًا عن الوعي وسط دموع وقلق المؤيدين والمعارضين على حد سواء حتى قال فيه الدكتور جورج حبش أمين عام الجبهة الشعبية كلمته الشهيرة وهو يهاجمه ثم يدافع عنه كرمز للثورة الفلسطينية « ويلي منك ، وويلي عليك » .

الأسلوب التمثيلي لعرفات

وأسلوب أبو عمار في العناق وتوزيع القبلات لا شبيه له ، إذ إنه يحل فيه كل المشاكل والعقد ويقطع الطريق أمام أي طلب ، وقد حاولت في غمرة أعمال المجلس أن أحصل منه على موعد لحوار صحفي طويل ، فاقترب مني وعانقني وقال لي مازحًا : هذا يكفي الآن واترك الحديث إلى ما بعد الاجتماعات ، كما أن أسلوبه في التعامل مع الأشخاص يطغى عليه طابع الإثارة والمبالغة ، ففي أحد أيام المؤتمر كان التعب قد تملك منا نتيجة للجهد الكبير الذي كنا نقوم به لتغطية أعماله ، فخرجت أنا ومجموعة من الصحفيين إلى الباص المخصوص لنقلنا من قصر الصنوبر (مقر المؤتمر) ، إلى فندق أوراسي الذي يبعد حوالي 20 كيلو مترًا ، وجلست أنا والصحفي البريطاني المعروف باتريك سيل في مقعد واحد نتبادل أطراف الحديث ، فإذا بهرج ومرج ورجال يركضون هنا وهناك ، ولمحنا عرفات يهرول من حوله

حراسه ويستقل سيارته المرسيدس السوداء التي انطلقت بسرعة مذهلة تتبعها عدة سيارات ، وانتفضنا جميعًا من مقاعدنا وتدافعنا لمغادرة الباص ظنًا منا أن حدثًا خطيرًا قد وقع ، وانتظرنا لحظات ليتكرر أمامنا نفس المشهد بطريقة معكوسة : السيارات المسرعة تعود وسط هرج ومرج ، وأبو عمار يهرول عائدًا إلى قاعة المؤتمر الرئيسية ومن حوله حراسه ومرافقوه ، ووجدنا أنفسنا نركض وراءهم ونحن نمني النفس بسبق صحفي كبير ، ولكن سرعان ما تبددت الأمنية ، وأخبرنا بأن عرفات ذهب ليحضر الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش ليلقي قصيدة شعرية جديدة عن القضية الفلسطينية .

كما أطلق ياسر عرفات لأول مرة تعبيرًا جديدًا في السياسة عندما قال : « كما واجهنا مؤامرة جنيف في السابق ، يجب أن نواجه المبادرات الجديدة بقولنا : لعم أي بين اللا والنعم ، أين الحكمة ؟ أين المسئولية تجاه شعبنا وقضيتنا ؟ ، يجب أن نناور وألا نغلق أي باب يمكن أن يفتح أمامنا »[29] .

التخطيط المتقن لاستكمال صورة الزعيم الأسطوري !

أما رشيدة مهران صاحبة كتاب « ياسر عرفات الرقم الصعب » فتقول عن شخصية عرفات : بكل ما سمعت عنه لم توح لي بالبساطة ! وأعني بالبساطة هنا بساطة التركيب ! فالرجل رغم كل ما سمعت ليس بسيطًا ولا هينًا ، بل هو مركب تركيبة خاصة جدًا ، وخطيرة جدًا في الوقت نفسه ! ومعظم ما يبديه من هدوء وتسامح وبساطة لا يلعب الجزء الأكبر فيه التكوين الطبعي وحده ، ولكنه يأتي ضمن تخطيط متقن منه لاستكمال صورة الزعيم الأسطوري ، حقيقة هو طيب ودود متفاهم ، ولكن لا يقف خلف كل هذه التلقائية وحدها ، كأي رسام ماهر يضيف إلى خطوطه الألوان الجذابة الزاهية لتبدو الصورة في قمة تألقها ! ولا شك أن هذا يعد أيضًا مهارة منه يقتضيها موقعه في وسط واقعه الصعب ، وأذكر حين اقترابي

منه وفي أيامه الأولى ، كنا نتحدث أنا والمؤلف الإنجليزي « آلان هارت » صاحب كتاب : « عرفات إرهابي أم صانع سلام ؟ » ، وأثناء حديثنا عن شخص « عرفات المميز إن قال شيئًا أغاظني وأغضبني لقد قال انتبهي ، فرغم أن الرجل معجزة حقيقية . وأهم شخصية سياسية بالشرق الأوسط كله ، إلا أنه أيضًا ممثل كبير » ، وهذه الكلمة هي التي أغضبتني ، والعجيب أن « آلان هارت » قابل ثورتي بالابتسام والهدوء وأضاف : ردًا على كل ما قلت ستكتشفين بنفسك ذلك ، وسنرى ! ويبدو أن هذا المؤلف الإنجليزي كان قد اقترب أكثر مني في ذلك الوقت من شخص رئيس منظمة التحرير ! فقد أثبتت الأيام وملاحظة تصرفاته أن رأي « آلان هارت » كان به شيء من الصحة .

وتضيف رشيدة مهران : على أني ما زلت ألتمس للرئيس العذر في كثير من هذا المظهر ، فالظروف التي يعيشها غير عادية مما يضطره إلى كل وسيلة للوصول إلى النتائج التي يبغيها ، أو حتى إلى جزء منها ، إلا أني آخذ عليه أنه يترك السياسة تدمغ شخصيته إلى هذا الحد ، بحيث يطبق منهجها على كل الأشياء حتى تصرفاته الشخصية ! فهو مشهور بحبه وإتقانه للمناورة في كل خططه السياسية ، الأمر الذي وصفه « هاني الحسن » بأنه يعبد المناورة في السياسة ، وذلك لافتقاره دائمًا إلى تملك القوة[30] .

وتنقل رشيدة مهران في موضع آخر من كتابها مقولة لهاني الحسن تلخص عرفات في كلمات مركزة : « عرفات تكتيكي عجيب ! ، يجيد شد الخيوط أكثر من البناء ، يفضل المناورة الذكية على المواجهة والصدام ! ، يعبد المخاتلة في السياسة وذلك لافتقاره دائمًا إلى تملك القوة في مواجهة الخصوم المتعددين ، لذلك يحل الحيلة مكان القوة في مواجهة هؤلاء الأعداء الكثر وعلى أكثر من صعيد عربي ودولي ! وهذا يدل على تمكن عرفات من مفردات السياسة ، فالسياسة والنجاح فيها يعتمد أكثر ما يعتمد على القدرة في استخدام المفردات ، أو بالأحرى تطويعها »[31] .

اتفاق جنتلمان لضمان حياة عرفات

وبالنسبة لمحاولات اغتيال ياسر عرفات طوال حياته فإنها بلغت العشرات ، وتم توظيفها إعلاميًا لرفعه إلى درجة البطولة والأسطورة ، فهو دائمًا يستطيع الإفلات قبل الموت بدقيقة ، وهنا يثار تساؤل هام : هل حقيقة لا تستطيع المخابرات الإسرائيلية اغتياله بالفعل ؟ خصوصًا وقد نجحت في اغتيال معظم الرموز الفلسطينية المناضلة والتي تهدد أمن « إسرائيل » بشكل جدي ، أم أن هناك اتفاق جنتلمان للإبقاء على حياة عرفات .

ويجيب على هذا السؤال الصحفي الإسرائيلي « إيتان هير » في صحيفة « يديعوت وأحرونوت » في مقال له تحت عنوان المطاردة خلف عرفات جاء فيه : « إن هالة من الغموض والسرية منسوبة بحكم الطبيعة إلى رأس كل زعيم منظمة إرهابية سرية ، وإلى رأس ياسر عرفات ، أضيفت هذا الأسبوع قصة درامية أن زعيم منظمة التحرير الفلسطينية نجا من الموت في غارة سلاح الجو الإسرائيلي على تونس ، وسواء أكان ذلك حقيقة أم لا فإن الأساطير تتطاير الآن في السماء وزعيم أي تنظيم سري وليس عرفات فقط محتاج لها كاحتياجه للهواء من أجل التنفس .

إن حياة عرفات وموته الممكن كزعيم للمنظمة كانت مادة لكتاب من كتب الإثارة والروايات والمقالات وللسياسيين ورجال الجيش ليس في الشرق الأوسط فقط ، والمطاردة التي تستهدف رأس هذا الرجل تكسر كل حدود للخيال أحيانًا .

وليس من المبالغة الاستدلال وبدون المعرفة بالضبط أيضًا بأن قضية حياة وموت زعيم منظمة التحرير الفلسطينية قد درست أكثر من مرة لدى الأوساط الأمنية المختلفة في دولة « إسرائيل » أن يدي ياسر عرفات ملطخة بدماء كثيرة ، وإلى درجة ما أقل منه كذلك من يتلونه في المرتبة السياسية والعسكرية في منظمته ، وفي العقدين الأخيرين نشر عدة مرات بأن خطوة واحدة فقط كانت بين عرفات وبين نهايته ،

ويمكن الاعتقاد بأنه لو قصدت الأوساط الأمنية بحق وحقيقة فقد كانت تستطيع وضع حد لحياته منذ زمن ، إن المشكلة ليست قدرتهم بل إرادتهم ، هل يريدون حقيقة ذلك ؟ .

إن الإجابة على ذلك ليست قاطعة ، حيث إنه على من يعطي الأمر للمس بزعيم منظمة التحرير الفلسطينية أن يدرس ويضع في حساباته عدة أمور لا تخطر على بال رجل الشارع البسيط الراغب في الانتقام من المعنى البسيط للكلمة ولا يفكر فيها مثل أن عرفات نموذج معروف ومشهور ومن يأمر بالمس به عليه أن يعرف أيضًا من سيأتي مكانه ، هل هو أصلب منه ، أو أسوأ منه ؟ وربما سيكون أكثر اعتدالاً ، وهل سيتجه لطريق الدم والإرهاب ؟ أم ربما سيمد يده للسلام ؟ وأي شخصية ستكون لزعيم منظمة التحرير الفلسطينية بعد ذهاب عرفات وإلى أين ستذهب بالفلسطينيين ؟! .

وهناك حساب آخر ، فعلى مدى سنوات جيل كامل يمتنع الطرفان العربي الفلسطيني والإسرائيلي عن المس الواحد بزعامة الآخر ، عدا محاولة واحدة من المس بديفيد بن جوريون في كوبنهاجن ، ومن الممكن القول بأنه يوجد شبه اتفاق جنتلمان في هذا الموضوع ، والحقائق تتحدث عن نفسها ، فإن المس بحياة عرفات قد يؤدي إلى حمام دماء في أوساط قادة الدول والأمم ، وهذا لا يعني أن عرفات لم ير الموت بعينيه ، وأن قوات الأمن الإسرائيلية لم تكن في أعقابه ، فقد كانت في أعقابه سواء عن سبق إصرار أو بالصدفة .

إن أكثرية الخوف على حياة عرفات كانت في بداية سنوات السبعينيات بعد مقتل الرياضيين الإسرائيليين في ميونخ ، حيث وقعت عدة عمليات اغتيال لرجال منظمة التحرير الفلسطينية في أوروبا والشرق الأوسط ، وقد أشارت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بإصبع الاتهام إلى الموساد الإسرائيلي الذي قالوا بأن مندوبيه هم الذين ضغطوا الزناد ، وفي كتاب « مطاردة الأمير الأحمر » بقلم الدكتور ميخائيل بارزوهر

نقل عن لسان مصادر أجنبية بأنه قد أقيمت في تلك الفترة المشبعة بالدم شبه محكمة على المستوى السياسي الرفيع في دولة إسرائيل ، وهذه المحكمة هي التي ناقشت ضرورة وضع حد لحياة كل واحد من رجال. منظمة التحرير الفلسطينية ، وتقول نفس المصادر بأن الحكام في تلك المحكمة قد كانوا كلاً من رئيس الحكومة جولدا مائير ووزير الدفاع موشى ديان ووزير الخارجية إيجال آلون ، وقد قيل إنه كان مطلوبًا إيجاد ثلاثة أدلة قاطعة تثبت بأن المرشح للموت جدير بذلك بعد نشاطه في إطار منظمات « التخريب » ، وكما هي العادة فقد رفضت أوساط إسرائيلية تأييد هذه الأقوال .

وبصورة أو بأخرى فقد كان عرفات يتخذ في تلك الفترة وسائل حذر متطرفة فقد أحاط نفسه بمجموعة من الحراس المحترفين وأطلق على هؤلاء الاسم الشفري (القوة 17) وهو على ما يبدو نسبة إلى رقم التليفون الداخلي الخاص بالقوة في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

في وسط أبريل سنة 1973 م كان عرفات أقرب من أي وقت للموت ، فقد عملت قوة مشتركة من المظليين في وسط بيروت في إطار عملية (ربيع الشهاب) فقد فجرت إحدى هذه القوات بقيادة اللواء منوث شاهاك قائد الجبهة الوسطى حاليًا ، فجرت قيادة جيش الجبهة الديمقراطية في شارع الخرطوم ، وقامت قوة أخرى بقيادة اللواء أهودبراك قائد سلاح الاستخبارات الآن بتصفية ثلاثة من زعماء منظمة التحرير الفلسطينية في أسرتهم بمنازلهم في شارع الفردان .

وطبقًا لشهادة أبو إياد نائب عرفات فقد غادر عرفات القادة الثلاثة قبل وصول القوة الإسرائيلية بقليل ، وقال إنه حذرهم من إهمال حراسة البيت ، وإن عرفات قال لهم إنه قد تهبط هنا غواصة إسرائيلية وتخطفكم ، وإن الثلاثة قد ضحكوا ، وفي نهاية الأمر نزل المظليون الإسرائيليون في سيارات مستأجرة ، وبالمناسبة فقد تنكروا في زي نساء ، فقد كان قائد العملية متنكرًا في زي امرأة سمراء في حين تنكر نائبه كشقراء .

وقال أبو إياد إنه في نفس الساعة كان عرفات متواجدًا في جيش مجاور لقيادة الجبهة الديمقراطية في شارع الخرطوم ، ففي الوقت الذي هاجمت فيه القوة الإسرائيلية بقيادة منوث شاهاك عمارة الجبهة ذات الطوابق السبع لتفجيرها على سكانها كان أبو إياد يزور واحدًا من قتلة الرياضيين الإسرائيليين في أولمبياد ميونخ ، والذين عادوا قبل ذلك بفترة قصيرة من المعتقل الألماني في أعقاب خطف طائرة لوفتهانزا ، وقد كان عرفات يزور بيتًا مجاورًا ، وتقول الروايات إنه قد صعد إلى السطح ومسدسه بيده وراقب ما يحدث تحته ، وضرب الإسرائيليات البناء وسكانه وغادرا المكان مع جرحاهم بعد قتال مرير وهما ماجي معيان واقيلاع سور واللذان كانا في خرقة الاقتحام بملابس مدنية .

وفي المرة الأخيرة كانت حياة عرفات على كف الميزان في أيام حصار بيروت الغربية خلال حرب لبنان ، وخلال القتال دارت حرب على حياته في المدينة المحاصرة ، ولكن عرفات ــ ويجب الاعتراف بذلك ــ استطاع تفادي القذائف والقنابل التي ألقيت عليه ، وقد اقترب أكثر من مرة من نهاية عمره ، وقامت الطائرات الإسرائيلية بقصف بنايات كان عرفات وحراسه قد غادروها قبل نصف ساعة من ذلك .

وآخر فرصة للمس به كانت يوم الخروج من بيروت ، ولكن بعكس ما نشر في الصحف الإسرائيلية ، فإن حياة عرفات قد ضمنت من قبل الأمريكيين والآخرين الذين كانوا مشاركين في المفاوضات للإخلاء ، وهكذا كان عرفات يستطيع الظهور في وسط الميادين ووسط رجاله في الطريق إلى السفن ثم البحر ثم البر ، وقد تابع صحفيون إسرائيليون ، وربما قناصة أيضًا رأس عرفات الملفوف بالكوفية الحمراء ، لكنهم لم يضغطوا على الزناد لأن ذلك كان عملاً غير ممكن من الوجهة السياسية .

وقد تباهى عرفات مرة أخرى في نجاحه بالإفلات من الموت ، عندما قصفت الطائرات الإسرائيلية قواعد المخربين في تونس وقال بأنه هو نفسه قد كان قريبًا جدًا من المكان ، وفي اللحظة الأخيرة قرر الانحراف عن طريقه[32] .

وهكذا يتضح من هذا المقال أن عرفات استطاع الإفلات من محاولات اغتياله في بعض الأوقات وأحيانًا أخرى أبقيت حياته كضرورة سياسية في إطار اتفاق جنتلمان لعدم الثقة في الذي سيأتي بعده ، وهذا يعني أن عرفات يمثل أفضل صمام أمن لـ « إسرائيل » ، سواء بوعي منه أو بدون وعي ، ولذلك فإن خيرة عناصر فتح وباقي المنظمات الفلسطينية تم اغتيالهم على أيدي الموساد الإسرائيلي .

الزعيم انتهازي !!

ويشير أحد تقارير المخابرات الأمريكية إلى أن عرفات استطاع التخلص من قبضة الموت بمواهبه الدبلوماسية والسياسية على أنه زعيم الكفاح الفلسطيني ، وأن تعامله مع السياسة الخارجية منوط بنوع تعامل البلدان مع الثورة الفلسطينية ، والحق أنه لا عقيدة لعرفات ، إن هو إلا انتهازي يريد أن تكون له علاقات حسنة بجميع البلدان العربية معتدلة كانت أم تقدمية كيما يكسب منها الأموال والدعم العسكري والمعنوي .

وعرفات هو ابن بطوطة الطائر البادي كأنه الهارب من المشكلات العميقة ، إن التأييد الذي حصلت عليه المنظمة آتٍ من مهارته في العلاقات العامة[33] .

مصادر الفصل الثالث

1 ــ مهران « رشيدة » دكتورة : ياسر عرفات الرقم الصعب ، صدر من مؤسسة الديار للطباعة بالتعاون مع دار بروسفيتا اليوغسلافية ، الطبْعة الأولى ، بدون تاريخ ، ص 11 ، 12 .

2 ــ المصدر السابق ، ص 12 .

3 ــ كيرنان « توماس » ، ياسر عرفات ، بريطانيا سنة 1976 م .

4 ــ المصدر السابق .

5 ــ المصدر السابق .

6 ــ مهران (رشيدة) : مصدر سابق ، ص 14 ، 15 .

7 ، 8 ، 9 ، 10 ــ كيرنان « توماس » .

11 ، 12 ــ المصدر السابق .

13 ، 14 ، 15 ــ المصدر السابق .

16 ، 17 ــ مهران (رشيدة) : مصدر سابق ، ص 15 ، 16 ، 17 .

18 ــ كوبان « هيلينا » ، المنظمة تحت الجهر ، الطبعة الأولى ، لندن سنة 1984 م .

19 ــ مهران (رشيدة) ، مصدر سابق ، ص 130 .

20 ــ المصدر السابق ، ص 133 ، 134 .

21 ــ خلف (صلاح) : فلسطيني بلا هوية ، مؤسسة صيام .

22 ــ كوبان « هيلينا » ، مصدر سابق .

23 ــ مهران (رشيدة) : مصدر سابق ، ص 168 .

24 ــ المصدر السابق ، ص 170 .

25 ــ المصدر السابق ، ص 171 - 174 .

26 ــ المصدر السابق ، ص 175 .

27 ــ علام (حسن) ، حوار مع أبو الزعيم ، مصدر سابق ، ص 65 - 69 .

28 ــ المصدر السابق ، ص 75 - 85 .

29 ــ نظام الدين (عرفان) ، حوارات على مستوى القمة ، منشورات المؤسسة العربية الأوروبية للصحافة والنشر ، ص 265 - 271 .

30 ــ مهران (رشيدة) مصدر سابق ، ص 60 - 62 .

31 ــ المصدر السابق ، ص 65 - 66 .

32 ــ هير (إيتان) : المطاردة خلف عرفات ، يديعوت أحرونوت ، 6 / 10 / 1985 م .

33 ــ الجزائري (سعيد) ، أوراق سرية ، مصدر سابق ، ص 138 .

الفصـــل الرابـع

دور عرفات في إشعال
الحرب الأهلية الفلسطينية

على الرغم من براعة عرفات في الإمساك بخيوط مسرح العرائس الفلسطينية على الساحة الدولية وقدرته على تحريكها بدقة متناهية لتؤدي دورها في صالحه دائمًا ، فإنه في كثير من الأحيان تضطره الظروف إلى قطع بعض الخيوط المستعصية عليه حتى يظل أبدًا هو صاحب القرار الفلسطيني ، وإن كان يغلفه بمكياج الديمقراطية والتعددية .

وإن كانت القضية الفلسطينية تشكل أحد اللوغاريتمات السياسية في الوقت الحالي ، فإن ياسر عرفات نفسه وبقاءه على قمة صناعة القرار الفلسطيني حتى الآن يكون لغز الألغاز ، خصوصًا رغم تباهيه بالعمل على وحدة الصف الفلسطيني مهما كانت التضحيات ، فإن مسار الأحداث أثبتت دوره الخبيث في إشعال الحرب الأهلية الفلسطينية والتي سقط فيها ضحايا أكثر من ضحايا الثورة الفلسطينية ضد « إسرائيل » !!! ، وبذلك قدم خدمات مباشرة للمخطط الصهيوني العالمي سواء بوعي منه أو بدون وعي ، فما يهمنا هنا هو النتائج المتمخضة عن إدارته للصراع سواء على المستوى الفلسطيني أو العربي أو الدولي مما يجعل وجوده وبقاءه على المسرح السياسي طوال هذه المدة مثار شكوك واتهامات .

وفي هذا الفصل سنرصد دور عرفات في الانشقاقات الفلسطينية التي بدأت في السبعينيات والثمانينيات ومرشحة للازدياد في التسعينيات ، وسنتقصى حقائق هذا الدور والأسباب الحقيقية لهذه الانشقاقات ، معتمدين على ثلاث وجهات للنظر حول

هذا الدور ، فإن كان هاني الحسن أحد رفاق عرفات يعتبر أن أحد أخطاء ياسر عرفات عدم قيامه بتصفية من أسماهم غير المنضبطين فلسطينيًا تحت دعوى المحافظة على الوحدة الفلسطينية ، فإن الأحداث أثبتت أن الأسباب الحقيقية لكل الانشقاقات التي حدثت كانت بسبب تنازلات ياسر عرفات المتعددة والمساومة بالحقوق الوطنية الفلسطينية وخرقه لميثاق المجلس الوطني الفلسطيني ومبادئ الكفاح المسلح وتنازله عن الأراضي الفلسطينية التي احتلت عام 1948 م ، ورضاه بإقامة دولة فلسطينية محتملة على 17 ٪ فقط من الأراضي الفلسطينية .

كما أشارت هيلينا كوبان في كتابها « المنظمة تحت المجهر » أن عرفات ساهم أيضًا في انشقاقات الجبهة الشعبية والتي تسببت في خروج نايف حواتمة وجماعته ، وكان هذا الانشقاق أحد أسباب الحرب الأهلية الأردنية الفلسطينية والتي انتهت بإخراج قوات الثورة الفلسطينية من الأردن ، وإعادة تمركزها في لبنان ، مما أدى أيضًا إلى حرب لبنانية فلسطينية بسبب أخطاء المنظمة حيث حدثت انشقاقات جديدة أيضًا في صفوف تنظيم فتح بسبب مناورات عرفات السياسية ، والتي أدت إلى خروج الثورة الفلسطينية إلى التيه السياسي الجديد مبتعدة عن فلسطين ، وتشتتت في الجزائر وتونس واليمن والعراق ، وهذا يعني نزع السلاح من أيدي أصحاب القضية الذين أصبحوا مقيدين ، ولم يعد أمامهم إلا النضال السياسي ، والذي لن يقدم لهم شيئًا ، مثلما حدث في الثلاثينيات والأربعينيات ، فالسياسة كما أسلفنا كانت وراء ضياع فلسطين ، ويجب عدم إعادة التجربة ، فالبندقية هي الطريق الوحيد لتحرير فلسطين كل فلسطين ، فليس من حق إنسان كائنًا من كان التنازل عن شبر واحد من فلسطين ، فهي أرض إسلامية قبل أن تكون فلسطينية ، وتحريرها واجب على كل المسلمين جميعًا .

لذلك ، فإن ياسر عرفات قد ارتكب الخيانة العظمى في حق قضية المسلمين المركزية ، ويجب محاكمته قبل أن يوجه الرصاصة الأخيرة في قلب القضية .

منظمة حزيران الأسود تخرج من فتح

ويمكننا رصد أول انشقاق حقيقي ومؤثر داخل تنظيم فتح القوي ، الذي يتزعمه ياسر عرفات ، في عام 1974 م وقاده آنذاك وحتى الآن صبري خليل البنا (أبو نضال) المولود بيافا في سنة 1938 م ونزحت أسرته إلى الأردن عام 1948 م وتخرج من كليات إنجلترا ، وفي أوائل الستينيات التحق بالقوات الفلسطينية بالأردن وأصبح عضوًا في المجلس الثوري لفتح ، وبعد ضرب المقاومة الفلسطينية في الأردن بدأ يطالب بامتداد العمليات الحربية ضد الأهداف العربية والأجنبية ، وبعد أن اتخذ المجلس الوطني الفلسطيني في يونيو سنة 1974 م سياسة الاعتدال التي دعا إليها ياسر عرفات انشق أبو نضال وانضم إليه المئات من الشباب الفلسطيني أعضاء فتح التي تخلت عن الكفاح المسلح وماتت فيها أشواق الثورة كما يقولون .

وفي نوفمبر سنة 1974 م حكمت عليه محكمة فتح الثورية بالإعدام غيابيًا لخلقه اضطرابات مسلحة في المنظمة وقتله مسئولين كبارًا في فتح .

وفي سبتمبر سنة 1974 م انتقل أنصار أحمد عبد الغفور ـــ الرافض لعرفات والذي قُتل ـــ إلى أبو نضال ، وفي عام 1976 م التحقت بعض وحدات القادسية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني المقيمة ببغداد بجماعة أبو نضال ، وهكذا استطاع أبو نضال بسبب سياسة عرفات المعتدلة وانتهاجه النضال السياسي لحل القضية بدلاً من الكفاح المسلح فقط إحداث شرخ داخل « فتح » والحركة الفلسطينية خصوصًا أن المخابرات العراقية قد التقطت هذا التنظيم الجديد لتدعمه ويكون حصان طروادة على الساحة الفلسطينية ، خصوصًا بعد أن أقام أبو نضال في بغداد بصفة دائمة ، وأصبحت هذه المنظمة هراوة العراق ويدها الباطشة على الساحة الدولية حيث تمارس الإرهاب الدولي لي من خلالها ، وهكذا فقدت الثورة الفلسطينية عدة آلاف من الشباب المتعطش للكفاح المسلح لاستعادة فلسطين ، وتم فيما بعد التغرير ببعضهم وغسل مخهم ، وأصبح عدوهم الرئيسي ليس « إسرائيل » فقط بل كل الأنظمة العربية

ودول العالم خصوصًا مصر والأردن والكويت ولبنان والسعودية والإمارات وقطر والبحرين وعُمان .

وترى هذه المنظمة أن « فتح » غير شرعية لأنها امتنعت منذ عام 1971 م عن إجراء انتخابات اللجنة المركزية وترى أنه لابد من إعدام عرفات لأنه ضد الكفاح المسلح ، وتستعمل جماعة أبو نضال اسم « فتح » ، ويرى أبو نضال أن منظمة التحرير الفلسطينية غير شرعية بسبب دخول قادة فتح فيها .

وعلى الرغم من قيام العراق بتجميد أعمال أبو نضال عام 1977 م بسبب العلاقات التي تحسنت مع ياسر عرفات فإن أنصار أبو نضال ازدادوا .

وفي سنة 1974 م اختطفت جماعة أبو نضال طائرة ، وأعلن بعدها عدم جدوى هذه العمليات وأخذت منظمته تقتل المسئولين الفلسطينيين والعرب[1] .

عمليات أبو نضال

وأهم العمليات التي قامت بها هذه المنظمة هي : اختطاف طائرة بريطانية بين دبي وتونس عام 1974 م وطالب الخاطفون بإطلاق سراح ثمانية محبوسين في مصر بسبب قضية مقتل السفير الأمريكي ومعاون السفارة بالسودان في مارس سنة 1973 م ، وإطلاق سراح خمسة آخرين كانوا قد أحرقوا طائرة أمريكية بروما في ديسمبر سنة 1973 م وإطلاق سراح اثنين من رفاقهم في هولندا ، ولكن مصر رفضت طلبهم ، أما إيطاليا وهولندا فقد استجابتا لمطالبهم ، وقد نجح الخاطفون في مغادرة الطائرة والذهاب إلى تونس وبعدها غادروها إلى مكان غير معلوم ، وفي سبتمبر سنة 1976 م احتلوا فندقًا بدمشق واحتجزوا 90 شخصًا وطالبوا بتحرير 35 سجينًا من رفاقهم في السجون السورية ، إلا أن الأمن السوري رفض الخضوع لهم وهاجم الفندق وقتل أحدهم واعتقل الثلاثة الآخرين الذين أعدموا فيما بعد وقتل 4 من الرهائن وجرح 34 آخرين .

وفي أكتوبر سنة 1976 م هجموا على سفارتي سوريا بروما وإسلام آباد في يوم واحد ، وفي نوفمبر سنة 1976 م هجموا على فندق عمان الدولي ، وفي ديسمبر سنة 1976 م حاولوا اغتيال عبد الحليم خدام ، وفي أكتوبر سنة 1977 م أعلنوا مسئوليتهم عن مقتل وزير خارجية الإمارات سيف غباش عندما كانوا يحاولون اغتيال عبد الحليم خدام ، وفي يناير سنة 1978 م اغتالوا سعيد حمامي ممثل منظمة التحرير في لندن ، وفي فبراير سنة 1978 م قتلوا يوسف السباعي وزير الثقافة المصري بنيقوسيا ، وقد تسبب هذا الحادث فيما بعد في مقتل 15 جنديًا مصريًا وجرح ستة عشر آخرون واحتراق الطائرة المصرية سي 130 عندما حاولت مصر تحرير الرهائن في الطائرة التي اختطفها الفلسطينيون فيما بعد واحتجزوا بها رهائن مقابل خروجهم من قبرص ، وفي يونيو سنة 1978 م قتلوا علي ناصر ياسين ممثل المنظمة في الكويت ، وفي سنة 1978 م قتلوا عز الدين قلق ممثل المنظمة في باريس .

كما هاجموا مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بإسلام آباد إذ اقتحم 4 مسلحين مكتب المنظمة فقتلوا موظفًا في الإذاعة وطالبين فلسطينيين وشرطيًا باكستانيًا .

وهكذا نلاحظ أن المنظمة تحولت إلى الإرهاب الدولي ولم نرصد عملية واحدة ضد « إسرائيل » ، وبذلك فقدنا قوة كان يمكن استخدامها في الكفاح المسلح ضد إسرائيل[2] ، وأصبحت المعركة كما يتضح ضد المسئولين العرب وضد الرعايا الغربيين مما يشوه القضية وتتحول بذلك قضية الشعب الفلسطيني إلى قضية حفنة من المجرمين بسبب تصرفات عرفات غير المسئولة وعدم مراعاته للنفوس الفلسطينية المتعطشة للكفاح والتي استخدمها العراق فيما بعد لمصالحه .

وفي أبريل سنة 1978 م نجحت مصر في اعتقال أفراد منظمة أخرى تدعى « طريق فتح الصحيح » وهي جزء من منظمة حزيران الأسود استهدفت التخريب والقتل لتشويه اتفاقية السلام بين مصر و « إسرائيل » وكان أكثر أعضاء المنظمة من الطلاب الفلسطينيين والأردنيين[3] .

انشقاق أبو داود

وبعد زيارة أنور السادات للقدس التي تسببت في بعض الخلافات بين قادة المنظمة من حيث التعامل مع مصر بعد ذلك ، إلا أن « ياسر عرفات » ومن دمشق أعلن في بيان مشترك بينه وبين الأسد استنكار الزيارة وحث الشعب المصري على رفض الخيانة(4) ، وكان الفلسطينيون آنذاك ومنذ بدايات سنة 1977 م قد حصنوا وعززوا وحداتهم بالجنوب وعادوا إلى نفس القوة التي كانوا قد سحبوها من الجنوب في سنة 1976 م .

وفي مطلع عام 1978 م نشبت معركة ضارية في الجنوب اللبناني ، واستمرت هذه المعركة اثني عشر يومًا وعرفت باسم معركة الخيام ، وامتدت من رأس الناقورة وشمع والبياضة مرورًا بينت جبيل حتى بلدة الخيام واستطاع خلالها الفدائيون وقف كل محاولات التقدم للمواقع الفلسطينية .

وفي مارس سنة 1978 م ، قامت الشهيدة دلال المغربي بعمليتها الفدائية الشهيرة التي قادت فيها مجموعة انتحارية واختطفت حافلة ركاب إسرائيلية ودارت معركة عنيفة مع القوات الإسرائيلية استشهد فيها ستة من الفدائيين وقتل أكثر من ثلاثين إسرائيليًا .

وبعد هذا الحادث بثلاثة أيام اجتاحت « إسرائيل » الجنوب اللبناني ، حتى نهر الليطاني ما عدا مدينة صور وما حولها من المخيمات الفلسطينية ، وسقط ما لا يقل عن سبعمائة قتيل من الفلسطينيين واللبنانيين أكثرهم من المدنيين .

وفي 19 مارس اتخذ مجلس الأمن القرار 425 مطالبًا بالانسحاب الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية وتشكيل قوات للطوارئ الدولية في الجنوب ، ووافقت « إسرائيل » على القرار يوم 21 مارس ، إلا أن ياسر عرفات لم يأمر بوقف إطلاق النار إلا بعد أن طلب منه قائد قوات الطوارئ ذلك ويبرر ذلك بأن لقائه بمندوبي الأمم المتحدة

كان هو الاعتراف العلني بنا[5] .

لم يهتم عرفات كثيرًا بالمعارضة التي ثارت نتيجة قبوله باتفاق وقف إطلاق النار ، فقد كان يعتبره مكسبًا حيث أتاح له الحصول على نقطة في مجال الاعتراف ، لذلك ضرب بيد من حديد كل من حاول خرق الاتفاق ــ كما تقول رشيدة مهران ــ وقد كانت هذه الأطراف المعارضة مدعومة من بعض الأنظمة التي تعارض وجود أية تسوية مع « إسرائيل » ، وبعد وقف إطلاق النار وإعلان بعض القياديين معارضته انشق ضابط اسمه محمد داود عودة ــ أبو داود ــ عن فتح ، وأعد تمردًا عسكريًا صغيرًا الهدف منه نسف وقف إطلاق النار الذي ينفذ تحت إشراف الأمم المتحدة[6] ، فقد تجاهل أبو داود ومعه 120 عنصرًا من فتح اتفاق عرفات ، وقرروا مهاجمة « إسرائيل » فأمر عرفات بإلقاء القبض عليهم مما أدى إلى معارك شرسة بين الفلسطينيين ، ولقد أيد أبو صالح ومجيد أبو شرار وصلاح خلف (أبو إياد) أبو داود وناجي علوش ، أما عرفات فقد أيده خليل الوزير « أبو جهاد » وهايل عبد الحميد ، وقاد الوزير الحملة على أبو داود ، واستمر عرفات في جهوده الرامية إلى الانضباط في فتح وفي المنظمة ، ففي مارس سنة 1978 م أراد أن يعزل القادة الموالين لصالح وخلف ، وفي يونيو أمر عرفات باجتماع ثوري حكموا فيه على فلسطينيين بالموت بتهمة خيانة الأسرار ، ولقد أدان أبو داود ذلك الاجتماع وأعلن أن الشهيدين من الذين أوقفوا في أبريل بتهمة خرق أوامر عرفات وقيامهم بمحاولة ضرب إسرائيل[7] .

وهكذا نرى أن صلاح خلف الرجل الثاني في فتح كان من معارضي عرفات في ربيع سنة 1978 م بسبب تعاون الأول مع قوات الأمم المتحدة وموافقته على عدم الاعتداء على « إسرائيل » ، ولذلك حينما اصطدم عرفات ومؤيدوه باليساريين في « فتح » عاد خلف لتأييد المعتدلين المتحكمين بدلاً من معارضتهم عازيًا مشاكل « فتح » إلى العراقيين المخربين فسافر عن لبنان زمنًا ثم عاد إليه ، ولأنه ذو قواعد خاصة به في « فتح » وذو أموال خاصة به أيضًا فعرفات يسعى إلى محاصرته[8] .

وتقول التقارير إن تمرد أبو داود وجماعته كان إطاعة لأوامر أبو نضال لتقوية الجناح اليساري في فتح مما يجعلهم قادرين على إزالة عرفات وإسقاطه .

ورغم أن المحاولة فشلت ، فإن هذا التمرد ربط بالمنشق صبري البنا ــ أبو نضال ــ الذي انشق عن فتح منذ عام 1974 م ، ويهاجم قادة فتح بتوجيه ودعم بعض العرب ويتهم قيادة المنظمة بالسعي لعقد تسوية سلمية مع « إسرائيل » .

ويقول هاني الحسن : لقد كان إذن على عرفات أن يعمل في كل الاتجاهات وأن يكون يقظًا لكل التيارات ، فكثيرًا ما كانت تأتيه المشاكل من داخله واستطاع عرفات أن يلغي خطة تفجير الموقف في جنوب لبنان بعد وقف إطلاق النار مع « إسرائيل » ، ولم يشهد المراقبون إلا بعض الحوادث القليلة جدًا والمتفرقة بحيث شهدوا أن القوات الفلسطينية وحلفاءها كانوا أكثر مرونة في التعامل من الطرف الإسرائيلي والموالين له ، وقد اكتسب هذا الموقف الفلسطيني بعض التعاطف الغربي خاصة أن الطرف الإسرائيلي هو الذي أخذ يماطل في تنفيذ قرار مجلس الأمن ، إلا أنها انسحبت في 6 أبريل سنة 1978 م وأنهته في 13 يونيو ، وعلى مراحل وصلت قوات الطوارئ مكان القوات الإسرائيلية التي رفضت الانسحاب من الشريط الحدودي وعمقه حوالي عشرة كيلو مترات[9] .

وهكذا يتضح أن ياسر عرفات أراد اعترافًا سياسيًا به بغض النظر عما يتمخض عنه موقفه على الساحة الفلسطينية فأدى ذلك إلى حدوث شرخ في « فتح » مهما حاول ترميمه فإنه كان مرشحًا للانهيار وهو ما حدث كما سنرى في هذا الفصل ، بالإضافة إلى أنه ضمن لـ « إسرائيل » المتعنتة عدم الاعتداء على قواتها التي لم تنسحب من كل الأراضي اللبنانية وكل الذي حصل عليه عرفات كما يعتقد وكما قال هاني الحسن بعض التعاطف الغربي فقط الذي لم يترجم إلى شيء ملموس إلا أنه فقد في الوقت نفسه مئات من المقاتلين الذين انضموا إلى أبو نضال وحدث انقسام سياسي داخل فتح نفسها وعشرات القتلى الذين سقطوا في الاشتباكات بين الفلسطينيين فعرفات

ضحى بالقوى الفلسطينية مقابل بعض الكلمات المشجعة فقط ، وهكذا ازدادت فتح انقسامًا وضعفًا على أرض إالواقع وإن كانت شبه متماسكة على صفحات الجرائد .

عرفات قبض على معارضيه قبل الهجوم الإسرائيلي

وهناك نقطة جديرة بالذكر في ظل هذه الأحداث نراها في أحد تقارير المخابرات الأمريكية الذي يقول إنه « أثناء الهجوم الإسرائيلي على جنوب لبنان أخلى الفلسطينيون الذين كانوا يتوقعون مثل هذا الهجوم المنطقة من القواعد الفدائية وقد انسحبوا بانتظام وكانوا يستطيعون أن يحولوا دون تقدم « إسرائيل » إلى المناطق الاستراتيجية ، كما تمخضت الحملة الإسرائيلية عن إيجاد قوات فصل تابعة للأمم المتحدة بين الحدود الإسرائيلية والفلسطينيين في لبنان ، ولقد طلب عرفات من المنظمة تأييد جهود قوات الفصل التي شاركت في دفع الإسرائيليين إلى الانسحاب من لبنان ، ولكن الفلسطينيين أعلنوا أنه لا قرارات الأمم المتحدة ولا قوات الفصل قادرة على تغيير اتفاقية القاهرة لذلك هم عائدون إلى الجنوب ، ولقد برزت مخالفة هي متى يعودون ؟ فهاجم اليساريون في « فتح » والمجموعات الرافضة الإسرائيليين عند الانسحاب وسعوا إلى الهجوم على قوات الأمم المتحدة كيما يتلاشى التعاون بين قوات الأمم المتحدة وعرفات ، ولقد سعى عرفات قبل أسبوع من الهجوم الإسرائيلي إلى ضبط المعارضين بكل القوى العسكرية ، لقد قبضوا على العقيد علي سليم حمد (أبو سعيد) المسئول عن فرقة الموت « الثورة » بتهمة السعي إلى قتل عرفات واختطاف طائرة عربية عام 1977 م ، لقد كان أبو سعيد يقود حركة صغيرة في مواجهة المعتدلين .

هذه الخصومات الداخلية في « فتح » دفعت جبهة الرفض الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين إلى إصدار بيان مشترك أدانوا فيه التعرض لقوات أبو داود والاشتباكات بين المنظمات مُسوغين ذلك بأنه مما يرضي العدو ، ولقد اعترضوا على إجراءات عرفات في الجنوب فطلبوا أن يشارك قادة المنظمات وممثلو اللجنة المركزية

في فتح والعناصر الاشتراكية في قيادة الثورة الفلسطينية ، ولقد هزمهم عرفات بما اقترح من تكوين جيش شعبي قيادته المركزية بلبنان للإشراف على جميع فصائل المقاومة ، لقد كان عرفات يصطدم بفتح وجبهة الرفض والحكومات الحامية كالعراق ، والتي قامت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بإرسال مذكرة إليها طالبت فيها بتسليم أبو نضال وإغلاق إذاعته . وأن المنظمة كانت تود لو كان العراق قاعة لديمومة الثورة الفلسطينية لا قاعدة لخنقها ، ولأن فتح قد ضاق صدرها بالعمليات التخريبية العراقية فقد هددت العراق بالانتقام ، لذلك نفذت فتح في يوليو وأغسطس عدة عمليات ضد العراق ابتداء من بريطانيا وانتهاء بباكستان كما قاتلت المنظمات الصغيرة التي يحميها العراق كجبهة التحرير العربية وجبهة الصمود الوطني وجبهة تحرير فلسطين ، وبلغ الأمر أن فتح هاجمت مكاتب الرافضين في ليبيا »[10] .

وإذا فسرنا هذه الأحداث طبقًا لمنظور التفسير التآمري للتاريخ والذي يتبناه عرفات نفسه ويدعمه وتم استخدامه ضد السادات وحرب أكتوبر حيث اعتبروا أن الحرب كان متفقًا عليها وأن النصر كان مؤامرة تهدف إلى الصلح مع « إسرائيل » فإننا نقول إن عرفات كان متآمرًا بمثل هذا المنطق السابق وإن كانت تصرفات عرفات تؤكد ضلوعه في التآمر ضد القضية الفلسطينية ، فها هو يقوم بإلقاء القبض على المجموعة المتشددة في فتح قبل عملية الغزو الإسرائيلي ثم يخلي قواعد الفدائيين لتتقدم « إسرائيل » بسهولة ، ثم يمنع بعض الفدائيين من فتح من ضرب الإسرائيليين ويعتقلهم ويحكم بالإعدام على بعضهم مقابل انسحاب إسرائيلي مع البقاء في الشريط الحدودي مقابل أن يتفاوض معه مندوب قوات الطوارئ مما يعتبره نوعًا من الاعتراف بوجوده ، وذلك في الوقت الذي يقوم فيه بقتال الفلسطينيين الرافضين لنهجه وكأنه أصبح الوصي على القضية الفلسطينية وعلى أي فدائيٌ أو مناضل أن يقوم بعملية ضد « إسرائيل » عليه أن يأخذ إذنًا منه وكارتًا أخضر للمرور وإلا قتلته قوات « فتح » ، وبدلاً من القيام بضرب المصالح الإسرائيلية يقوم بمهاجمة المصالح العراقية والليبية ، وهكذا تحول ياسر عرفات إلى سياسي وتنازل عن لقب الفدائيٌ وأصبح يتعاطى المفردات السياسية

ويباري الآخرين بها ، وفي نفس الوقت يمارس أسلوب زعيم العصابة مع الآخرين .

وطبقًا لما تقوله تقارير المخابرات ، « فإن عرفات المعروف بأنه صاحب العروة بين العرب والفلسطينيين قد شرع في القتال كيما يقوي من هيمنته في فتح وسائر المنظمات .

إن القيادة التي استأثر بها لمهارته قد دامت له بما طوق به المعارضين من الصغار في المنظمة ، ولقد وجهوا إلى المنظمة في سنة 1978 م نقدًا جاءت به المنظمات المطالبة بالأسلوب التعاوني الديمقراطي في اتخاذ القرار ، ومع أن الناقدين لم يذكروا اسم عرفات فالواضح أنهم قد رموا إلى تذبذبه بلبنان واستبداده بالأمور ، ولأنه يرى نفسه رمز فلسطين تراه يتجاهل ناقديه »[11] .

ومن عجائب ياسر عرفات أنه عندما غير سياسته عام 1974 م وأعلن عن رغبته في المشاركة في مؤتمر جنيف للسلام أطلق على الذين عارضوه بأنهم من المرتدين ولا ندري من الذي ارتد عن فكر واستراتيجية « فتح » عند تأسيسها والتي أوضحناها آنفًا وتتلخص في أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين .

المصالحة لمواجهة كامب ديفيد

ويبدو أن التطورات السياسية التي أحدثتها معاهدة كامب ديفيد دفعت الجزائر للتوسط بين المنظمات الفلسطينية فوافق عرفات على وقف حملته الدعائية العسكرية ضد المنظمات الرافضة بلبنان والاستعداد لمحادثات مباشرة مع العراق بعد الانفجار الرهيب في قاعدة فلسطينية مشتركة ببيروت في أغسطس اجتمع ممثلو فتح وممثلوا جميع المنظمات الفدائية وعجلت كامب ديفيد في مصالحتهم وتفاهموا مع السوريين والعراقيين .

و « في يناير سنة 1979 م تم عقد المجلس الوطني الفلسطيني وكان المأمول أن

يكون بداية اتحاد ينفع الجميع ، وشاركت فتح أول مرة فيه فلم يحالفها أحد ، بل تحالفوا عليها فكان لهم في المنظمة حول وقوة ، وكانت توجيهات الرافضين ، لا سيما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، للجنة التنفيذية هي الهدف الأساسي في هذا الاجتماع ، إلا أن فتح رفضت جميع الاقتراحات الخاصة بإعادة التنظيم وسعت إلى زيادة عدد ممثليها في اللجنة التنفيذية بدلاً من ترضية الرافضين الذين يضعفون سطوتها ، وقد حافظت اللجنة التنفيذية في النهاية على التشكيلات التي كانت قبل انعقاد المجلس الوطني والتي هي من مصلحة فتح ، ومما كان من مصالح فتح السيطرة على المصادر المالية في هذه الاجتماعات »[12] .

وهكذا نرى أن اتفاقية كامب ديفيد « كانت أحد عوامل التقارب الفلسطيني المؤقت كما كانت أيضًا فيما بعد سببًا لصراع جديد عندما قرر عرفات السير في ركابها متناسيًا مواقفه السابقة منها ، وهذا ما سنراه في الصفحات المقبلة .

عرفات يقسم جبهة تحرير فلسطين رسميًا

كما قام ياسر عرفات رسميًا باتخاذ قرار في أبريل سنة 1977 م بتقسيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ــ القيادة العامة إلى قسمين : القيادة العامة وجبهة تحرير فلسطين ، وكانت قد تمت مصالحة بين أبو العباس والصاعقة في صيف عام 1976 م إلا أنها لم تكن مصالحة حقيقية ، ومع ذلك شهد سبتمبر سنة 1978 م اشتباكات بسبب الرغبة في الاستئثار بالمراكز ، وفي سنة 1978 م أدى الخلاف حول السياسة في الجنوب إلى مواجهة بين جبهة تحرير فلسطين وفتح ، فقد كان عرفات يريد فرض سياسة الاعتدال في الجنوب إلا أن الجبهة اختطفت جنودًا للأمم المتحدة فحررتهم بعد ذلك فتح بعد معارك ضارية ودامية ، وكان سبب الضراوة الخلاف بين العراق وفتح .

ولقد هجمت فتح على جميع المجموعات الموالية للعراق فمزقتها تمزيقًا ، وفي 13 أغسطس سنة 1978 م فقدت الجبهة 75 عنصرًا عندما انفجر مركز القيادة في

الفكهاني ببيروت ، وحدثت اشتباكات في نوفمبر سنة 1978 م بسبب معارضة الجبهة لمحادثات فتح ــ حسين فقتل من الجبهة واحد وجُرح أربعة وأسر ستة عشر ، وشاركت في اجتماعات المجلس الوطني في يناير سنة 1979 م ، وقرر القائد العام في يناير سنة 1978 م المناوبة في القيادة كل ستة أشهر بين أربعة ، اثنان منهم طلعت توفيق ومحمد العباس ، وذلك للتساوي في القدرة[13] ، وهذا التقسيم في القيادة يضعف الجبهة بالتأكيد خصوصًا بعدما انسلخت من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ــ القيادة العامة .

دور عرفات في تقسيم الجبهة الشعبية

انفصلت الجبهة الديمقراطية عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في فبراير سنة 1969 م ويقودها نايف حواتمة (أبو النون) المولود بالسلط في الأردن سنة 1931 م وعمر أديب (عبيد ربوح ــ أبو ياسر) المولود في سنة 1941 م ، وقد ساعد حبش في إنشاء الجبهة الشعبية عام 1967 م إلا أنه تركه هو وحواتمة ليكونا الجبهة الديمقراطية ، وكان رئيس الاستخبارات في منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي ماركسية موالية للاتحاد السوفييتي وترمي إلى ثورة العمال في الشرق الأوسط وتقبل بوطن فلسطيني على أي جزء محرر من فلسطين ، وهي تتفق في ذلك مع « فتح » ، وهذه الجبهة التي هي لا من المعتدلين ولا من الرافضين لها خط خاص في تفسير جميع الوقائع والأحداث في الشرق الأوسط ، وحينما انعقد المجلس الوطني الفلسطيني في ربيع سنة 1977 م أيدت الاتجاه المطالب بوطن فلسطيني في الأراضي المحتلة ، وكذلك أيدت رغبة المنظمة في الاشتراك في مؤتمر جنيف للسلام ، وهي بذلك متوافقة مع « فتح » ، إلا أنها ترفض المحادثات بين الأردن والمنظمة ؛ لأن المحادثات تتيح للملك حسين العمل إلى جانب المنظمة على أنه ممثل الشعب الفلسطيني ، وتعتقد أنه يريد استعادة الضفة لمنع نشاطات المنظمة بين الجماهير الفلسطينية ، وتطلب من

المنظمة أن يكون لها روابط بالقوى اليهودية التقدمية والديمقراطية المناهضة للصهيونية[14] .

وتؤكد هيلينا كوبان في كتابها « المنظمة تحت المجهر » إن « فتح تلبست بجرم إحداث انشقاق في الثورة الفلسطينية عندما سهلت لمجموعة نايف حواتمة الخروج من الجبهة الشعبية وتشكيل منظمته الخاصة باسم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في مطلع عام 1969 م »[15] ، وقد تسبب ذلك كما أوضحنا في الفصل الثالث في ازدياد التوتر في الأردن مما أدى إلى الحرب الأردنية الفلسطينية وانتهت بخروج المقاومة الفلسطينية . لذلك لم يكن من المستغرب على قيادتها السير خلف فتح في القضايا الرئيسية ، إلا أن الجبهة عارضت ياسر عرفات بعد هجوم مارس سنة 1978 م لأنه أراد ضبط الأنشطة الفدائية في الجنوب ، ويقوم بتحطيم معارضيه في فتح .

وفي شهر مايو وقعت الجبهة على بيان جبهة الرفض المعترض على قرارات المنظمة الانفرادية ، ثم شاركت في جلسة التنسيق مع الجبهة الشعبية وجبهة النضال الشعبي ، وكان ممثلوها مع ممثلي الجبهة الشعبية في لجنة تنفيذية واحدة في اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني في يناير سنة 1979 م ، ثم اشتبكت قوات فتح مع قوات الجبهة الديمقراطية في نهر البارد والبداوي وصيدا في يناير سنة 1979 م بسبب محادثات عرفات مع الأردن ، لقد دفع العراق إلى هذه الجبهة في يوليو سنة 1978 م مبلغ ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار تأييدًا لها في انضمامها إلى جبهة الرفض كيما تنقسم منظمة التحرير الفلسطينية على نفسها ، وكيما تمضي الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في ثورتها ومعارضتها لفتح[16] .

محاولة انقلاب عرفاتية في الجبهة الديمقراطية

وقد نجح ياسر عرفات فيما بعد وذلك خلال الثمانينات في دعم تيار داخل الجبهة

يقوده ياسر عبدربه وهو ما أسمته مجلة اليوم السابع بتيار التجديد والذي قدم لأول مرة في اجتماعات اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية في 15 فبراير سنة 1990 م ، والتي عقدت في الجزائر وثيقة معارضة التي قدمها الأمين العام للجبهة نايف حواتمة ، واتخذت اللجنة المركزية قرارًا علنيًا نشرته مجلة الحرية الناطقة بلسان الجبهة ، ينتقد المكتب السياسي للجبهة لأول مرة في تاريخها ، بسبب المواقف السياسية التي اتخذها ، وكان صدور هذا النقد العلني يعني بالدليل القاطع أن أغلب أعضاء اللجنة المركزية قد انحازوا بتحليلاتهم إلى الوثيقة النقدية التي قدمها ياسر عبدربه[17] .

والدليل الدامغ على أن تيار التجديد مدفوع من ياسر عرفات ما تحمله الوثيقة النقدية ضد نايف حواتمة أثناء معالجتها للحرب الأهلية الفلسطينية في لبنان حيث يقول التقرير : « إن سوء التقدير الذي عالج به مكتبنا السياسي احتمال ردة فعل سوريا على عقد دورة الوحدة الوطنية للمجلس الوطني الفلسطيني عام 1987 م في الجزائر ، وما نتج عنه من ارتباك وتشتت للهيئات القيادية وأجهزتها ، لم يستخلص منه سوى أمر واحد ، وهو كيفية السعي لإعادة هذه الهيئات وأجهزتها إلى مراكزها الأصلية ، وفي سبيل تحقيق استقرار المكتب السياسي لحزبنا وضمان بقاء هيئاته القيادية في دمشق كان المكتب يقيس الموقف من الحرب ضد مخيمات شعبنا في لبنان ، بمقياس وحيد ، هو عدم التورط في انتهاج سياسة أو تبني مواقف تقود إلى تكرار ما وقع سابقًا ، أي إلى اتخاذ سوريا تدابير وإجراءات ضد قيادة الحزب .

إن مراجعة مواقف قيادة حزبنا في تلك الفترة ، حيث استخدمت ولأول مرة تعبير « الاقتتال الداخلي » بين جناحي فتح في وصفها للعدوان على المخيمات ، واتهامها قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بافتعال « الاقتتال » لتمرير مشروع استسلامي للقضية الفلسطينية ، إن تلك المراجعة لكفيلة بأن توضح كيف صارت هذه القيادة تضع مصلحة استقرارها في المقام الأول ، وعلى حساب سلامة وتوازن سياستنا الوطنية »[18] .

ويضيف ياسر عبد ربه في تقريره : « قبل المجلس الوطني الذي أعلن قيام الدولة الفلسطينية كانت السياسة المعتمدة هي معارضة صدور برنامج سياسي واضح ومحدد ، وعند إعلان مبادرة السلام الفلسطينية جرى الصمت عليها ، وبعد ذلك انتقلنا من معارضة تطبيقه ، من خلال شن معارك كبرى ضد تصريحات تصدر عن عدد من قادة فتح والمنظمة والمبالغة المتعمدة في تصوير خطر هذه التصريحات ، إلى حد القول : إن ذلك يهدد الوحدة الوطنية ، وإنها تمثل استعدادًا للالتقاء مع المخططات والمشاريع المعادية ، إن اقتناص تصريحات قادة فتح وتضخيم مدلولها ومخاطرها ، إلى حد تصويرها على أنها ارتداد عن الخط الوطني ، لم يكن يهدف إلى لجم تلك المواقف ، بقدر ما كان يرمي إلى تبرير استمرار السياسة الانعزالية المغامرة ، ودعوات التمحور التي صرنا نتبناها »[19] .

وهذا التقرير النقدي الذي تقدم به ياسر عبدربه يشتم منه رائحة عرفات وأفكاره وبخاصة في خرق الجبهة الديمقراطية مثلما نجح من قبل في شق الجبهة الشعبية من خلال نايف حواتمة ، فها هو يقوم بنفس المخطط التقسيمي داخل المنظمات الفلسطينية ويحاول شق الجبهة من خلال ياسر عبدربه ، وإن كان ينوي هذه المرة عمل انقلاب داخلي بالجبهة لتكون على نهجه وتدعمه في المنظمة ومواقفه السياسية ويبدو أنه استفاد من نصيحة هيلينا كوبان هذه المرة ، فهو لن يدعم هذا الانشقاق ، بل سيقوم باحتواء كل الجبهة والسيطرة عليها من خلال رجاله الذين قام باحتوائهم داخل منظمة التحرير والقرب منه وإغرائهم بمختلف الوسائل لدعمه .

ولذلك كان رد نايف حواتمة على المجلة مركزًا بحددًا متهمًا إياها بتسميم أجواء التحالف الوطني ، وأنها وهي المعروفة بارتباطها بجهات نافذة في منظمة التحرير الفلسطينية قد جانبت الصواب والموضوعية ، وانزلقت إلى الانخراط في حملة من التشويه والتضليل .

فأسلوب عرفات كما لاحظنا لم يتغير رغم كل المصائب التي حلت بالقضية الفلسطينية بسبب هذا الأسلوب الخاطئ .

انشقاق أبو موسى

العقيد أبو موسى ، من مواليد عام 1927 م في قرية سلوان جنوب غرب القدس ، وكان قد عمل في الجيش الأردني كضابط منذ عام 1952 م وحتى عام 1970 م ، وكان عضو اللجنة المركزية لحركة فتح حتى مايو سنة 1983 م يوم قاد الانتفاضة على القيادة في الحركة ، وهو حاليا عضو لجنة تنسيق القوى الوطنية والإسلامية الفلسطينية واللبنانية المكونة من خمسة أعضاء هم : أبو موسى ، أحمد جبريل ، نبيه بري ، الشيخ صبحي الطفيلي ووليد جنبلاط[20] .

وتعتبر حركة الانشقاق التي قادها أبو موسى وأبو صالح أكبر ضربة وجهت إلى ياسر عرفات بعد هزيمته في لبنان وخروجه من بيروت ، حيث بدأت الأحداث صغيرة في البقاع لتمتد وتشتد لتتحول إلى حرب أهلية فلسطينية عنيفة ، وأوجدت شرخًا في العلاقات السورية ـــ الفلسطينية ، وأدت إلى إبعاد عرفات من دمشق بعد أن نقل إليها مقر قيادته السابقة في بيروت ، وكان كل ذلك بسبب انسحابه من لبنان وانتهاج الخط الاستسلامي .

ويقول عرفات في حواره مع عرفان نظام الدين : « بعد مقابلتي للرئيس حافظ الأسد بأيام رجعت إلى تونس ثم فوجئت بأن العقيد « أبو موسى » وهو مدير عملياتنا المركزية يقوم بمحاولة للاستيلاء على لواء اليرموك ، وعدت فورًا إلى المنطقة وكان الأخ أبو جهاد والأخ أبو اللطف قد شكلا لجنتين لجنة عسكرية ولجنة من الكوادر الثورية للتحقيق في الأمر ، في البداية « تحججوا » بالتنقلات العسكرية وادعوا كذبًا وزورًا أني نقلت 55 ضابطًا من البقاع إلى خارج البقاع ، أنا لم أنقل إلا ضابطًا واحدًا ، قراره صدر في 25 / 11 / 1982 م ، حتى هذه الكذبة أبلغ بهذا عدد من المسئولين العرب من بعض الإخوان السوريين ، ما عملته أنا بعد اجتماع المجلس العسكري أنني أحضرت حوالي 45 ضابطًا من الموجودين في المناطق البعيدة إلى منطقة البقاع لتدعيمها ، وادعوا أن المطلوب تحقيق إصلاحات ، إذن ، من يعارض هذه

الإصلاحات ؟ عندما اتخذ المجلس الثوري قرارات ، وهم يعرفون أنه كان هناك اتفاق في جلسة عدن التي عقدت في أواخر شهر يناير وفبراير أنه كان من المفروض أن يعقد المجلس الثوري اجتماعًا في 17 مايو في صنعاء ، كان هناك اتفاق على ذلك لبحث هذه المشاكل الداخلية والإصلاحات ؤوالقضايا التي أفرزتها حرب لبنان وكشفتها ، ومن الطبيعي أن نعيد تقييم تجربتها ، وهناك لجنة تحقيق عسكرية بقيادة العميد محمود الروسان (أبو الحكم) مدير القضاء الثوري في حركة فتح والثورة الفلسطينية ، وكان لدى اللجنة 500 شريط تسجيل لحديث كل ضباطنا و 6 آلاف صفحة فولسكاب ، إن الموضوع لم يكن يخص فتح وأزمة داخل فتح ، بل كان إنهاء الثورة الفلسطينية وضربها وإكمال ما عجزت عنه « إسرائيل » في 88 يومًا[21] .

وكانت اللجنة المركزية قد اتخذت قرارًا بتجميد أبو صالح وبذلك يكون قد تم انشقاقه رسميًا عن « فتح » ، وقامت سوريا بمناصرة حركة الانشقاق ضد عرفات واضطرته إلى خوض حرب هلك فيها الكثير من الطرفين طبقًا لما تقوله رشيدة مهران في ياسر عرفات الرقم الصعب » ويرى هاني الحسن « أن ما فعله أبو صالح وأبو موسى وغيرهما لو نوقشت وقائع حرب لبنان بدقة وبوثائق كلهم متهمون ! لذلك قفزوا على موضع القضاء لكي لا يضعهم أحد في موضع الاتهام ، المخطئ يجعل من نفسه قضايا حتى لا يحاسب »[22] .

ويقول العقيد نصر يوسف عن الانشقاق « مرحلة الانشقاق لا تنسى ولن تختفي من عمر الناس الذين عاصروها أو اشتركوا فيها لأنها مرحلة دامية وموجهة ، مرحلة قتال إخوة السلاح لا منتصر ولا مهزوم ، الكل مهزوم ، كلها خسارة فيها هزيمة قضية ، فيها إلغاء لشعب ، فيها تدمير لتضحيات شعب على مدى عشرات السنين ، الانشقاق لم يكن وليد اللحظة ، الحركة الفلسطينية خاصة حركة « فتح » بالذات ليس لها الطابع الحزبي الضيق الذي يأخذ تيارًا شعبيًا عارمًا ، لأن كل فئات الشعب لها مصلحة في تحرير الوطن ، كثير من التكتلات الحزبية الفلسطينية والعربية كانت ترى أن هذه الحركة الشعبية حظر على هذه الحركات الحزبية ، كلها كانت

تناصبها العداء في المراحل الأولى ، ووجدت عناصر فلسطينية مساعدة ــ فلا يوجد شعب كله مثالي ــ فهناك المنافقون الذين يقولون بألسنتهم ما لا تحمله قلوبهم استطاعوا أن يتسللوا إلى داخل الحركة الفلسطينية وكان هذا لا يغيب عن القادة ولكنه قانون المحبة المرفوع أبدًا بيننا ، فالتسامح والإخاء ، التجاوز عن المساوئ وإطراء الحسنات أساسيات في حركتنا ، لكنهم وجدوا في الوضع السوري والليبي ما يدعم طموحاتهم التآمرية ، الأنظمة العربية نفسها كان يريحها التطرف الفلسطيني وتزعجها الموضوعية والاعتدال ، والرفض دائمًا أسهل وكان يوفقها تمامًا ، كنا نقف في بيروت وحدنا ، لم يكن بها مشاركة سورية ، فكنا قادرين أن نحطم التآمر مثلما حدث في 1978 م ، فقد دبر نفس التآمر ونفس الانقلاب ، وانتهى بسرعة لأنه لم يأتهم دعم عربي رغم أنهم جاءوا بقوات وفكروا أن يستولوا على مواقع في الجنوب ، كانوا في وجودهم يعتمدون على قانون المحبة وعلى الديمقراطية ، كنا نستطيع أن نسحقهم وبسهولة ، لكنهم استغلوا هذه الديمقراطية ، هم أفراد لم يكن لهم تشكيلات ولا ألوية ولا وحدات ، استندوا في ذلك الوضع إلى دعم عربي باسم القوى الرافضة ، فجاءوا بوحدات من هنا وهناك ووضعوها في الجنوب وكانوا يريدون أن يستولوا على الوضع ، لكن كان وضع المنظمة قويًا ، ولم يكن في المنطقة من يعززهم عربيًا فانتهوا بسرعة وتم اعتقالهم ، لكن الوضع بعد الخروج من بيروت كان مختلفًا ، كانوا يعرفون أن جزءًا كبيرًا من القوات خرج بالتشرذم ، وكانوا يحسون أن القوات الموجودة في البقاع غير مسيطرة وحدها على الأرض ، ففيها مشاركة سورية يمكن الاحتماء بها ، وكانوا يعرفون أيضًا أن التشرذم الذي حدث في الخارج كان يمكن أن يؤدي إلى تذمر ، فكل حركة للقوات لا شك يتبعها كثير من التعب والإعياء ، وبالتالي يتبعها شيء من التذمر ، فما بالك بحركة اللجوء والنزوح ، ومن المؤكد أن يكون هناك شيء من التذمر أمام ما حدث بعد الخروج من بيروت ، ولكن طبعًا ليس هذا مبررًا للانقلاب ، لقد استغلوا مجمل هذه العوامل ليقوموا بحركتهم قبل أن تستعيد الثورة أنفاسها ، ومن هنا نفهم لماذا اغتيل سعد صايل ؟

لأنه كان القائد الميداني الموجود في البقاع بعد الخروج من بيروت لسهولة العمل بعد ذلك ، أعلنوا التمرد . العصيان المسلح بجزء من كتيبة واستولوا على موقعين آخرين بجانبهم ووضعوا حواجز ورفعوا لنا مطالب ، في حين كانت القوات كلها تابعة للقيادة الشرعية ، ولكن القيادة كانت ترفض القتال الداخلي ، ولو أرادت لسحقتهم في ساعة ، ولكن القيادة ليس من السهل عليها قتال الإخوة ، وهنا لم أستطع إلا التدخل ، فلي شخصيًا رأي مخالف في هذا الموقف ، فإني أعتقد أنه إذا شرع عليك أحد القتال فلابد أن تقاتله ، وفي هذه الحال لن يكون قتال إخوة ، إنما هو اعتداء ودفاع عن النفس ، فكيف يترك الإنسان مصير حركة في يد جماعة ستبذر الشقاق بين أفرادها بحجة لا يصح أن يكون هناك قتال بين الإخوة ، ورغم أنهم أعلنوا التمرد فإنهم رفعوا مطالب كنا نرى فيها جانبًا من الصحة ، ولكنها لم تكن خالصة ، قالوا هناك أخطاء وممارسات خطأ ، قلنا من يعمل يخطئ ، هناك أخطاء ولكن ليس هناك خيانات وتقويم الخطأ لا يكون بالقتال والسلاح وشكل عرفات لجنة عسكرية لحوارهم وأعطاها صلاحيات مفتوحة بالحل و لم تستطع اللجنة التوصل معهم إلى أي اتفاق وكانت هناك قوات ليبية في البقاع وضعت في صفهم وقوات فلسطينية من منظمات أخرى مثل الصاعقة وجبهة النضال والجبهة الشعبية القيادة العامة ، ووضعت تحت تصرفهم منذ اللحظات الأولى ، وفي أثناء القتال أو ما يسمى بالحرب الأهلية الفلسطينية أعطيت تعليمات لأحد قادة الألوية السورية اسمه محمد أبو حمدان لعمل فصل بيننا ، وكان لصالح الطرف الآخر ، واستمرت المواجهة من مايو إلى أكتوبر سنة 1983 م وذلك قبل الخروج من طرابلس »[22] .

وتقول رشيدة مهران إن هؤلاء الذين انشقوا هم مستخدمون وضعفاء ، لأنهم فعلاً لا يملكون سلطة على قرارهم إنهم موجهون ، ويكفي أنهم داخل الحركة الفلسطينية كانوا يعلنون انتماءاتهم وولاءهم لأجهزة الاستخبارات ، وهذا وحده ما ينقص من شرف التزامهم ، إذ إن ولاءهم الأول والأخير كان يجب أن يكون خالصًا لفلسطينيتهم ، وكانت هذه النقطة في رأيي ــ خطأ من الأخطاء التنظيمية منذ

البداية ! ، إذ كيف يُسمح بدخول انتماءات لبعض الأنظمة العربية إلى قلب العمل الفلسطيني والذي هو ثوري بالدرجة الأولى ليكونوا عينًا لمخابرات الأجهزة التي تسيرهم .

وقد أثبتت الأيام خطأ مقولة أبو عمار « دع الزهور تتفتح في بستان الثورة » .

لقد كانت بعض الزهور هي زهور الشر ، وكان يجب ألا يتفتح في بستان الثورة إلا الزهور المروية بقطر الطهارة الثورية التي لاتدين ولا تعتنق إلا الثورة[23] .

وإذا أخذنا الرواية السابقة وهي الرسمية عن الانشقاق وملابساته ، فإنها في الحقيقة تدين عرفات ويجب أن تتم محاسبته تنظيميًا ، فهو ارتكب نفس الأخطاء التي أدت إلى خروجه من الأردن في عام 1970 م ، ثم خروجه نهائيًا من لبنان عام 1983 م ولكن مع الأسف الشديد فإن رفاق عرفات يعتبرون خروجهم الثاني من طرابلس رغم كل شراسة القتال الذي دار بين رفقاء الدم والسلاح نصرًا آخر بانتصار القيادة الشرعية ونجاحًا لخطها السياسي ، وتأكيدًا على استمرارها ، ولم يهتموا بالكارثة التي نزلت على قضيتهم ، فما يهمهم هنا هو استمرار بقائهم في مراكزهم القيادية رغم أنف الجميع ورغم الهزائم المتوالية التي سببتها السياسة العرفاتية التي انخرطت في مسار التسوية السلمية التي هاجمها عندما بدأها السادات في نهايات السبعينيات ووصفها بالخيانة ، ويرفض أن يصفه أحد بها رغم أنه هو الذي رفعها أصلاً ولاكتها الألسن فيما بعد ، أليس السادات جديرًا الآن برد الشرف كما أن الرواية الرسمية تتناقض في تفاصيلها مع الأحداث التي وقعت سابقًا ، فعرفات لم يترك الخارجين عليه أو على سياسته وقام بمحاربتهم واستئصالهم — كما رأينا — وليس مهتمًا بالمحافظة على الدم الفلسطيني كما يحاول البعض من رجاله إثبات ذلك ، فحركة أبو موسى قد نجحت بدون شك في تقييد حركة عرفات على أرض العمليات وحاصرته على صفحات الصحف التي هي ميدانه الرئيسي للتحرك ، وأصبحت فتح ثلاثة تنظيمات الأول فتح عرفات الثاني فتح المجلس الثوري أبو نضال والثالث فتح

للإنتفاضة أبو موسى ، وأصبح يواجه جبهة الرفض وجبهة الإنقاذ الوطني ، وهكذا ازداد العمل الفلسطيني تشرذمًا بسبب سياسة عرفات .

مسئولية عرفات عن الانشقاق

ويرى أبو الزعيم ـــ وهو ليس من المنشقين مع أبو موسى ، ولكنه قام بحركة تصحيحية فيما بعد ضد عرفات ـــ عدم تحميل سوريا مسئولية الانشقاق لأن أي انشقاق لايمكن أن يتم لو لم يكن له جذور ويتوافر له مناخ يشجع على ذلك ، والحقيقة أن الشقاق ، الذي تزعمه أبو موسى لم يكن الأول ، فأبو نضال قام بانشقاقه على جماعة المجلس الثوري لفتح ، ثم جاءت بعد الخروج من بيروت حركة أبو موسى التي وصفها بالانتفاضة ، وممارسات عرفات وتشجيعه للانقسامات الداخلية هي المسئولة عن الانشقاق وليست سوريا ، فممارسات عرفات الرعناء والمتخبطة التي يعاني منها الفلسطينيون جميعًا ، كانت من الأسباب الرئيسية للانشقاق ، ولا شك أن أي انشقاق لابد أن يعتمد على هذه الجهة أو تلك أو على هذه الدولة أو تلك حتى يستطيع أن يتنفس ويواصل الحياة ، هذا شيء طبيعي ، لكن أسباب الانقسام الحقيقية ، داخل فتح هي شخصية ياسر عرفات وممارساته سواء اليومية ، أو المصيرية التي تتعلق بمجمل القضية ، وعندما أقول عرفات لا أعنيه وحده ، وإن كان مسئولاً مباشرة ، وبالنسبة للانشقاق داخل فتح ، فكما قلت ، ليس السوريون ولا الليبيون هم المسئولين ، بغض النظر عن أي شيء ، لأن الحقيقة هي أن فتح كانت ومازالت عبارة عن مجموعة دويلات مستقلة داخل دولة واحدة اسمها فتح ، يعني أصبحت مثل الخلافة العباسية فيما مضى ، فالخليفة يدعى له على المنابر ، ولكن كل واحد قائم بدولة ومستقل . صلاح خلف له دولة ، الأمن الموحد له دولة ، وأبو جهاد له دولة (قبل استشهاده) ، بغض النظر عن ضعفها ، وأبو صالح وأبو موسى كان لهم مجموعة نسميها اليسار داخل فتح ، وكانت لهما خصوصية واتصالات مميزة بليبيا

وسوريا ، وكان لهما أيضًا دولتهما المستقلة داخل حركة فتح ، وياسر عرفات له مجموعة ، وخالد الحسن حاول أن يجد له مجموعة و لم ينجح ، إن فتح أصلاً مقسمة إلى عدة دويلات والانقسام في فتح ليس معلنًا ، فعملية الانشقاقات والانقسامات داخل فتح في الحقيقة موجودة ، وكان ياسر عرفات يغذيها مهتديًا بالأسلوب الإنجليزي « فرق تسد » ، وكان يرفع شعار « فت تفتت » يعني « فت فلوس » أي ادفع فلوسًا وفتت البناء القائم ، ومع الأسف أن هذا التفتيت شكل في منظمة التحرير الفلسطينية دويلات صغيرة بدأت تنفصل أخيرًا واحدة إثر أخرى عنه بهذا الشكل أو ذاك[24] .

أبو موسى يهاجم تحركات عرفات

ورغم مرور سنوات على انشقاق أبو موسى فمازال يواصل قيادته لحركة فتح ــ الانتفاضة ، ويمارس دورًا سياسيًا وعسكريًا ويدلي بدلوه في كل القضايا الفلسطينية مثل ياسر عرفات ، وهذا يؤكد وجوده وبخاصة في مواجهة عرفات ، وأهم أفكاره التي نعرضها هنا حول رأيه في تحركات ياسر عرفات والاقتراح المصري الخاص بالنقاط العشر لتحريك القضية فيقول في حوار مع مجلة العالم : « خلال العام الماضي (1988 م) شكل المؤتمر الوطني الفلسطيني المنعقد في الجزائر والقرار بالدولة الفلسطينية وتبني القرارين 242 و 338 الصادرين عن مجلس الأمن الدولي ، نقطة خطيرة وجديدة في مسار القضية الفلسطينية ، فالإعلان عن الاستقلال إنما هو لتضليل الجماهير العربية والفلسطينية ، وهو غير صحيح لأن الواقع يقول غير ذلك ، فالأرض محتلة ، والعدو الصهيوني يرفض أية مشاريع ويرفض قيام وطن فلسطيني على أي جزء من أرض فلسطين ، والقرار 242 هو قرار دولي ولا يعالج القضية الفلسطينية كقضية شعب ــ كما نعلم ــ ويعالجها كقضية لاجئين ، وما تبقى يتكلم عن الدولة الصهيونية وأمنها ، وقد لاحظتم تعاطي عرفات مع القضية بعد المجلس الوطني في

الجزائر : ذهب إلى جنيف ، وأعلن هناك الاعتراف بـ « إسرائيل » مستخدمًا اصطلاح « كاوك » أي التقادم في باريس أيضًا ليشير إلى إلغاء فقرات الميثاق الوطني الفلسطيني ، هذه الحلقات المتواصلة أدت إلى أن يقدم الرئيس المصري النقاط العشر التي تمثل آلية لخطة شامير وهي نقاط إجرائية للخطة وأفضل من وصفها شيمون بيريز الذي قال : أفضل ما فيها ، المشروع الذي لم يأت فيه ، فالنقاط العشر لم تتحدث عن دولة فلسطينية ، لم تتحدث عن حق تقرير المصير ، لم تتحدث عن منظمة التحرير الفلسطينية ، وعرفات يدعو الدول الأوروبية لتبني المشروع المصري ، وفي زيارته إلى واشنطن ، حمل الرئيس المصري أسماء الوفد الفلسطيني لكي يتم عقد اللقاء الفلسطيني ـــ الإسرائيلي في القاهرة كما نشرت الصحف المصرية ، فأولاً : يتم اللقاء ، وثانيًا : تحضر أمريكا ، وثالثًا : يحضر السوفييت ، وستطلب « إسرائيل » وقف الانتفاضة ولو يومًا واحدًا ، فإن ذلك سيشكل انتكاسة خطيرة ، وارتدادًا نفسانيًا ، وهزيمة ذاتية ، ليتم لهم تقسيم الصف الفلسطيني في الداخل ، فخلافات داخلية ، وصراع ، بدايته سياسية تتطور ليصبح صراعًا دمويًا .

ومن هنا نقول إن عرفات ارتكب الخيانة الوطنية عندما بدأ يتعامل في المحافل السياسية والدولية على أساس أن فلسطين هي الضفة والقطاع ، وبذلك يكون قد أدان النضال الفلسطيني منذ بداية هذا القرن ، فلماذا قاتل الشعب الفلسطيني ؟ لأنه حتى لا تقوم الدولة الفلسطينية على كل فلسطين ، وهل قاتل شعبنا وتحمل الويلات من أجل أن يحرر الضفة والقطاع ، وقد احتلتا عام 1967 م ، أي بعد الإعلان عن تأسيس المنظمة .

ويضيف أبو موسى : لقد انتفضنا على عرفات في مايو سنة 1983 م لأن الوضع وصل إلى نقطة خطيرة لا يمكن السكوت عليها ، وهذا حالنا داخل جسم « فتح » ، أما إذا عقد المؤتمر الدولي وشاركت فيه سوريا لأنه لبى شروطها ، فسنقول لها وداعًا ، نحن نحدد علاقاتنا بأية حركة وأي نظام عربي مع مدى الانسجام مع مفهومنا

لقضيتنا ، حتى الاتحاد السوفييتي كان لنا موقف منه وهو الآن يمنع مرور أي كادر منا في أراضيه ودول المنظومة الاشتراكية .

كذلك ، سوريا ينطبق عليها ما ينطبق على الآخرين ، نحن الآن نرى سوريا تمثل حجر الزاوية ومركز استقطاب القوى الثورية الفلسطينية واللبنانية والعربية هذا الموقف ندعمه ونؤيده ، وليس بالضرورة في التحالف التطابق ، وهناك اجتهادات ، اللهم إلا في القضية المركزية والقضايا الوطنية التي لا تمس الثوابت ، والاعتراف بـ « إسرائيل » ليس قابل للاجتهاد ونكون فيه مختلفين ، فالواقع يقول إن هناك كيانًا إسرائيًا ، ولكن الحق يقول إنهم على باطل ، وقاموا بالقهر والعنف وخنوع الأنظمة ، « إسرائيل » حقيقة ، ولكنها ليست حقًا ، وفلسطين تاريخيًا حق ولن تتحول إلى باطل بالهزيمة ، فلسطين عربية ، وإسلامية ، وليس من حق الفلسطينيين ولا العرب أن يساوموا عليها »[25] .

وهكذا نجد أن حركة أبو موسى تزداد قوة على الساحتين الفلسطينية واللبنانية ، خصوصًا بعد لقاء طهران ــ دمشق والمشاركة في لجنة التنسيق بين القوى الفلسطينية والإسلامية واللبنانية ، ولذلك كان رد فعل عرفات على ذلك بأنه لقاء خطير ، ولابد أن يعرض على أول مؤتمر قمة عربي ، لقد أصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر ، هكذا يقول أبو موسى الذي أكد أنه يميل إلى القوى الإسلامية في الأرض المحتلة ، أولاً : سرايا الجهاد الإسلامي ، وثانيًا : حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ، وهكذا أصبحت فتح الانتفاضة تنسق مع الإسلاميين في مواجهة تحركات عرفات الاستسلامية مما يضعفه على الأرض، رغم الهالة الإعلامية التي تضخمه ، ويبدو أن هذا الوضع يريح بعض الأنظمة العربية والدول الأضوروبية وأمريكا حيث إنه هو الرجل المناسب لها لتفويت المؤامرات ضد القضية الفلسطينية بعدما أدمن هيروين البروتوكولات .

أبو الزعيم والحركة التصحيحية في فتح

وبعد 3 سنوات من انشقاق أبو موسى أعلن أبو الزعيم في أبريل سنة 1986 م

في العاصمة الأردنية عمان أن العسكريين في حركة فتح الفلسطينية ينفذون عملية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية تستهدف وضع حد للتجاوزات المترتبة على سوء استغلال السلطة ، وبعد هذا الإعلان صرح مصدر فلسطيني قريب من عرفات بأن مكاتب المنظمة في عمان تلقت قرارًا من القيادة بإعفاء عطا الله عطا الله أبو الزعيم ، مدير المخابرات العسكرية ونائب رئيس أركان قوات الثورة الفلسطينية وعضو المجلس الثوري لحركة فتح من جميع مناصبه ، إلا أن أبو الزعيم كان قد احتل كل مكاتب وقواعد فتح في الأردن ، ووصف ياسر عرفات حركة أبو الزعيم بأنها انشقاق ، ولكن أبو الزعيم نفى ذلك في تصريحات صحفية آنذاك ، وقال : إن محاولة تصوير حركتنا بأنها انشقاق أمر ليس صحيحًا ، لا يوجد انشقاق ولن يكون ، لأن العسكريين الذين حموا هذه المسيرة على مدى 20 عامًا ، لا يمكن إلا أن يكونوا أكثر الناس حرصًا على الشعب والقضية ، وعلى المنظمة ممثلاً شرعيًا وحيدًا للشعب الفلسطيني ، وعلى فتح قائدة للنضال » .

وقال أبو الزعيم إن حركة التصحيح التي يقودها قد استقطبت حوالي 800 ضابط من كوادر المنظمة ، وعددًا كبيرًا من المقاتلين ، ولكنهم لا يريدون الانشقاق ، وإنما ينادون بالإصلاح .

ورفض أبو الزعيم الوساطة التي قام بها مبعوثو عرفات إليه وقال : « إن الخلاف ليس بيني وبين عرفات ، إنها قصة خلاف داخلي يشمل الحركة كلها وعلى رأسها الموقف السياسي والإجراءات التنظيمية ، وإنما من خلال المؤتمر العام في مثل هذا الإطار الشامل نتفق على منهاجية عمل ، وننتخب قيادتنا التي تواصل المسيرة ، هذا المؤتمر لم ينعقد منذ خمس سنوات رغم المتغيرات السياسية الخطيرة التي حدثت منذ خروجنا من لبنان ... » وأضاف : « إن القيادة الحالية لا تريد انعقاد المؤتمر العام لحركة فتح ، لأنها لا تريد أن تقدم استقالتها ، واعتقد أن هذا هو السبب الوحيد » .

واتهم أبو الزعيم في حديثه القيادة بأنها تريد استمرار الديكتاتورية ، كما نفى

أية علاقة للحركة مع أي دولة عربية ، وقال : « حتى الآن ليس لنا علاقة بأي طرف عربي ، نحن لسنا حركة انفصالية ، نحن جزء من فتح ، وفتح هي التي تقيم العلاقة أولاً ، نحن لم نعلن أنفسنا حركة انفصالية وليس لنا امتداد عربي حتى الآن »[26] .

أسباب الحركة التصحيحية

يقول أبو الزعيم « إن بوادر حركته بدأت عام 1981 م مع مؤتمر فاس الأول الذي كان يهدف إلى علاج نتائج حربنا على الحدود اللبنانية ، وبعد مداولات مع كالاهان قائد قوات الطوارىء تم وقف إطلاق النار ، وعندما بدأنا التحرك السياسي المطلوب ، كان هناك اقتراح بتقديم مشروع فلسطيني مكتوب يقدمه الملك فهد بن عبد العزيز ولي العهد السعوي آنذاك إلى مؤتمر القمة العربي لتتبناه الدول العربية مجتمعة ، وتم تقديم المشروع باسم السعوديين غير أنه كان فلسطينيًا حقيقة ، وفي فاس أسقط ذلك المشروع وشعرنا بأن هذه القيادة تتخبط ولا تتقبل شيئًا .

وبعد خروجنا من بيروت حدثت أشياء كثيرة ، منها تبديد الأموال دون تفكير في إنفاقها ، على حساب الشعب الفلسطيني وتكديس الأموال كلها باسم ياسر عرفات في البنوك ، والتي تبلغ من 12 إلى 16 مليارًا حسب الإحصاءات العالمية ، وشعبنا في الأرض المحتلة وفي لبنان وفي المخيمات يتضور جوعًا ويدفع الثمن ، ولم ينل أي تعويضات أو أي شيء يمكنه من الصمود ومن مجابهة الواقع .

أضف إلى ذلك الانقسام المستمر في الصفوف الفلسطينية والتناقض في القيادات الذي يدل على التخبط واللامسئولية ، وصاحب القضية وهو الشعب غائب ، ولا دور له في قضيته الوطنية .

وكان يتم استبعاد الشخصيات الوطنية الفلسطينية المرموقة والنظيفة عن منظمة التحرير الفلسطينية وعن المجلس الوطني الفلسطيني ، في الوقت الذي يتم فيه التركيز

على عناصر ذات ماض مشبوه ، وعناصر ليس لها جذور في الأرض المحتلة ، لدرجة الشعور بأن القضية الفلسطينية أصبحت في قبضة 4 أو 5 أشخاص أو 10 شراذم لديهم عصابات مسلحة ، تستطيع فرض رأيها بالسلاح على الآخرين وعلى ياسر عرفات ، الذي كان يرغب في أن تتواجه هذه الأطراف لكي يستعدي طرفًا على آخر ، وعندما تجتمع هذه القيادات يختلف بعضها مع البعض الآخر ، وياسر عرفات هو الوحيد الرابح من هذه الخلافات حيث ينصب نفسه حكمًا بينها ، ويجامل هذا على حساب ذلك ، الأمر الذي جعل منظمة التحرير تتحول إلى دويلات وحكومات محلية تسيطر عليها مجموعة من التنظيمات المسلحة ، ذات العلاقة بهذا الطرف العربي أو الدولي أو ذاك ، وذات الارتباط بالأطراف والمنظمات الإرهابية الدولية ، مما جعل الثورة الفلسطينية تجنح إلى مجال الإرهاب ، كما أن ياسر عرفات في كثير من الأحيان كان يفتعل الخلافات السياسية مع هذه الجبهة أو تلك ، والنتيجة سفك الدم الفلسطيني .

وبدأنا نتساءل عن الأسباب التي كانت تجرنا إلى هذه الاحتكاكات الجانبية ، وعما إذا كانت هذه التناقضات رئيسية تفوق تناقضنا مع العدو ، أم أنها تخبطات ياسر عرفات والتي تسببت في المذبحة التي جرت مع الجيش الأردني عام 1970 م ، وبعدها القتال مع الجيش السوري والموارنة ومع الشيعة ، بل إن جميع القوى الوطنية اللبنانية قاتلت معنا ضد الكتائب ، ليعود عرفات ويتحالف مع الكتائب في قتال ضد القوى الوطنية اللبنانية ، ولست أتحدث هنا عن ياسر عرفات الفرد ، بل عن ياسر عرفات القيادة ، أي هو ومن حوله في قيادة المنظمة الذين تصرفوا بقضيته ومقدراته دون أن يكون لهم هم سوى تحقيق المزيد من المكاسب والأمجاد الشخصية على حساب الشعب فرأينا الأموال توزع هنا وهناك في الكونغو برازفيل ، وفي الهند وتنزانيا والمالديف ، والشعب الفلسطيني حافي الأقدام يقتله الجوع والعري في مخيمات الضفة والقطاع .

ورأينا المذابح الكثيرة التي تعرض لها الشعبان الفلسطيني واللبناني نتيجة للسياسة

العرجاء التي ينتهجها ياسر عرفات ومغرقًا شعبه في دوامة الصراع الطائفي اللبناني وزاجًا به في مستنقع القتال ضد الشيعة الذين قاتلوا معنا 17 سنة والتزموا معنا مثل الشعب اللبناني كله ، فلماذا التفرقة وتسميم الأجواء والأفكار وخلق العداءات والبغضاء بين أبناء البلد الواحد .

من المسئول عن كل هذا ؟ المسئول عن ذلك هي قيادة ياسر عرفات ، وفي مقابل ذلك ، ما الإنجاز الدولي الذي حققناه ؟؟

وعندما رفعنا أصواتنا ننادي بتصويب مسار النضال الوطني الفلسطيني وتصحيح المسيرة وجدنا شعبنا يقول : لماذا تأخرتم ؟ وأين كنتم ؟ وقد شكلنا الآن قوات عسكرية وأمنًا وإعلامًا ورعاية الشباب والمالية وأجهزة تعبئة وتنظيم ، وعملاً شعبيًا .

وقد أعلنا يوم 24 أبريل في خطاباتنا إلى الشعب الفلسطيني أن لا شرعية سوى شرعية هذا الشعب وأن لا سلطة سوى سلطته ، التي يمثلها مؤتمره العام ، وسنقوم بمشيئة الله بعقد مؤتمرنا الشعبي العام الذي يضم أبناء شعبنا في كل مكان .

وأضاف أبو الزعيم : الرفاق الموجودون معنا في الحركة هم القواعد العسكرية الأساسية وهم القاعدة الثورية القوات العاصفة لحركة فتح ، والمجلس العسكري الأعلى الذي عقد في 28 أبريل ، وهو يوم الحركة التصحيحية ، وقد حضره 41 من 52 عضوًا في المجلس العسكري الأعلى ، وفي أول يونيو عقد اجتماع للمجلس العسكري العام بناء على دعوة من المجلس العسكري الأعلى حضره 409 من أصل 500 ضابط هم مجموع أعضاء المنظمة ، وبعد ذلك بدأ إخواننا المناضلون ينضمون إلينا ، وأصبحت الحركة قائمة بذاتها ، كما بدأنا في تنظيم شعبنا من خلال التنظيم الشعبي الواحد للشعب المنظم في إطار منظمة التحرير الفلسطينية ، فنحن نرى أن الضرر قد لحق بكل شرائح وقطاعات شعبنا ، وأن جميع هذه الشرائح هي صاحبة المصلحة في إقامة الكيان الوطني الفلسطيني ، ولذلك علينا أن نوحد جهودنا وعملنا

في أداة تنظيمية واحدة تستقطب كل أبناء الشعب الفلسطيني ، في سبيل هدف واحد ومصير واحد ، ونحن هنا نستفيد من تجربة الثورة الجزائرية ، ويضيف أبو الزعيم أن المجلس العسكري العام كلفه بالقيام بدور القائد العام لحين انعقاد المؤتمر ، وجمدوا صلاحيات ياسر عرفات وخليل الوزير ، والذين يؤيدون أبو الزعيم يشكلون 55 ٪ من مجموع المؤتمر العام لحركة فتح ، مما جعل عرفات يشكل مجلسًا عسكريًا جديدًا من أناس ليسوا من فتح ، بعضهم متقاعدون من هذا الجيش أو ذاك ، وقد بقيت اللجنة المركزية على حالها لأنها لن تترك الأموال التي لدى عرفات لأنها تعيش بها ، فلم يعد عنده سوى هذه القيادات الهيكلية .

وفي تقدير أبو الزعيم أن الذين انضموا لحركته هم الجزء الأكبر لقوات العاصفة وفتح ، ولم يبق مع عرفات أعضاء . إنه لم يعقد مؤتمر فتح ، الأمر الذي جعله يخضع لحبش وحواتمة والنجاب »[27] .

عرفات يواصل غيه

وبعد كل تلك الانشقاقات التي قوضت بنيان القضية الفلسطينية فإن ياسر عرفات واصل غيه متحديًا الثوابت الفلسطينية وقام بنسفها في خطاب اعترافه بإسرائيل في الأمم المتحدة بجنيف ، حيث كانت قد انتقلت إليها لمناقشة بند « فلسطين » في جدول أعمالها والاستماع إلى كلمة ياسر عرفات بعد رفض الولايات المتحدة منحه تأشيرة دخول ، فأعلن خلال شهر ديسمبر سنة 1988 م الاعتراف بوجود « إسرائيل » صراحة لا تلميحًا والقبول بالقرارين 242 و 338 دون شروط كأساس للدعوة للمؤتمر الدولي ورفض الإرهاب الدولي بكل أشكاله .

وبعد هذه التنازلات المهينة وافقت الولايات المتحدة على استعدادها للتحدث إلى الفلسطينيين .

وهكذا تكون منظمة التحرير الفلسطينية هي الطرف الثاني بعد السادات الذي اعترف بـ « إسرائيل » ، وعلى استعداد لتوقيع اتفاقية صلح معها ، على الرغم من أنه كان من المتوقع أن تكون آخر طرف عربي قد يقدم على ذلك ، وهكذا يقوم عرفات بدور السادات ، ولكن بعد عشر سنوات من توقيع كامب ديفيد .

ولكن « إسرائيل » صفعت الجميع عندما أعربت عن أسفها لقبول واشنطن بالاجتماع مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وأكدت أن أمنها لا يقرره أحد بالنيابة عنها ، وأردفت كلامها بخطوات عملية تجب وترفض كل ما حدث ، فقد ازدادت مقاومتها للانتفاضة ، وأعلنت عن بناء مستوطنات جديدة في الضفة الغربية وغزة وبدأت في استقبال موجات من المهاجرين اليهود السوفييت .

وقد أدى موقف عرفات هذا إلى ردود فعل فلسطينية على الساحة الإسلامية ، فأعلن الشيخ أسعد بيوض التميمي مفتي القدس السابق في 15 / 11 / 1988 م : إن الاعتراف بدولة اليهود وقبول قراري مجلس الأمن هو تسليم ومباركة لليهود بكل الأرض المباركة فلسطين ، وهذه الأرض هي موضع الصراع الأبدي بين الكفار والمسلمين ، ذهبت في التاريخ مرة ، ولكن المسلمين لم يعترفوا بدولة الصليبيين ، فسرعان ما ولت أوروبا الصليبية الأدبار وعدنا أصحاب الديار ، فما بال الثوار قد تعبوا من طول المشوار ، فأرادوا أن يعترفوا لليهود بحق البقاء والاستقرار في أرض هي جوهرة الدنيا وهي للمسلمين المنار[28] .

وأصدر حزب التحرير الإسلامي بيانًا في 13 / 11 / 1988 م أعلن فيه أن الاعتراف بقرار 242 حرام شرعًا وخيانة ، وكذلك الاعتراف بـ « إسرائيل » والإعلان عن إقامة ما يسمى بالدولة الفلسطينية حرام شرعًا وخيانة لأن كل ذلك مناقض لأحكام الإسلام وتكريس لوجود اليهود ولدولة « إسرائيل » في أقدس بلاد المسلمين بعد مكة والمدينة المنورة ، وإن منظمة التحرير الفلسطينية تتحمل وزر ذلك ويشاركها في الإثم كل من وافق على هذه القرارات في المجلس الوطني[29] ، ورفضت حركة المقاومة

الإسلامية « حماس » كل تلك القرارات ووصفتها بالاستسلام ، وأكدت أحقية المسلمين بكل فلسطين من البحر إلى النهر ودعت للجهاد في سبيل الله لتخليصها[30] .

أما حركة الجهاد الإسلامي فاعتبرت في بيان لها صدر يوم 13 / 11 / 1988 م هذا السلام مدنسًا ، وأن هذا العقد باطل وحرام وقالت في بيانها : فبعد سبعين عامًا على وعد بلفور الذي جسد إرادة معادلة القوى الدولية في مطلع هذا القرن ، وبعد أربعين عامًا على قيام دولة الكيان العبري الذي جسد معادلة القوى الدولية في منتصف هذا القرن ، يتداعى من يعتبرون أنفسهم ممثلين عن الشعب الفلسطيني ليعترفوا بهذه الإرادة المزيفة اللعينة ويقروها ، وليعطوا للوعد شرعية القانون وللدولة شرعية الوجود ، وليحولوا أرضنا المباركة وشعبنا العظيم إلى جسر يعبر عليه بنو إسرائيل إلى كل العواصم ، أين ذهبت الدماء والثورات والهجرات ؟ ماذا سنقول للقسام وعبد القادر الحسيني وآلاف الشهداء »[31] .

بالإضافة إلى ذلك أصدرت المنظمات اليسارية بيانات خجلى ترفض فيه بحياء خطوات عرفات ، وهكذا يضرب ياسر عرفات بالجميع عرض الحائط وينتقم من عبد القادر الحسيني ويشوه ثورة القسام غير مهتم بدم الشهداء أو حدوث انقسامات لأن هذا هو دوره المرسوم ، وهكذا كان الإخوان على حق عندما رفضوا التعامل معه منذ البداية .

مصادر الفصل الرابع

1 ، 2 ، 3 ــ الجزائري (سعيد) ، مصدر سابق ، ص 252 - 262 .

4 ــ مهران (رشيدة) ، مصدر سابق ، ص 237 .

5 ــ المصدر السابق ، ص 240 .

6 ــ المصدر السابق ، ص 241 .

7 ــ الجزائري (سعيد) : مصدر سابق ، ص 148 .

8 ــ المصدر السابق ، ص 144 .

9 ــ مهران (رشيدة) : مصدر سابق ، ص 241 .

10 ــ الجزائري (سعيد) ، مصدر سابق ص 147 - 149 .

11 ــ المصدر السابق ، ص 141 .

12 ــ المصدر السابق ، 149 - 150 .

13 ــ المصدر السابق ، ص 238 .

14 ــ المصدر السابق ، ص 190 .

15 ـــ (كوبان) هلينا : مصدر سابق .

16 ـــ الجزائري (سعيد) : مصدر سابق ، ص 187 - 194 .

17 ـــ الحسن (بلال) ، نايف حواتمة يهاجم اليوم السابع ، وثائق الجبهة الديمقراطية ترد على اليوم السابع ، 30 / 4 / 1980 ، ص 18 .

18 ، 19 ـــ المصدر السابق ، ص 19 - 20 .

20 ـــ حوار مع العقيد أبو موسى ، مجلة العالم ، لندن ، 14 أكتوبر سنة 1989 م ، العدد 296 ، ص 14 .

21 ـــ نظام الدين (عرفان) ، مصدر سابق ، ص 276 - 278 .

22 ـــ مهران (رشيدة) ، مصدر سابق ، ص 294 - 298 .

23 ـــ المصدر السابق ، ص 210 ، 211 .

24 ـــ علام (حسن) ، مصدر سابق ، ص 103 - 105 .

25 ـــ حوار مع العقيد أبو موسى ، مصدر سابق ، ص 14 - 15 .

26 ـــ علام (حسن) ، مصدر سابق ، ص 39 - 40 .

27 ـــ المصدر السابق ، ص 119 - 137 .

28 ، 29 ، 30 ، 31 ـــ مجلة العالم ، 24 ديسمبر سنة 1988 م ، ص 10 - 13 .

الفصل الخامس

أسرار الاتصالات السرية بين منظمة التحرير الفلسطينية و « إسرائيل »

فكرة الحوار الفلسطيني الإسرائيلي التي ظهرت على السطح أخيرًا وتبلورت في عدة لقاءات علنية بين مسئولين من منظمة التحرير الفلسطينية وبعض الرموز من اليسار الإسرائيلي لها جذورها العميقة حيث ظهرت بوادرها على يد فئات اليسار الإسرائيلي في مرحلة مبكرة من حياة الكيان الصهيوني ، إلا أن الكفاح المسلح الذي انطلق في الستينيات بشكل منتظم وخصوصًا عام 1964 م كان الرد العملي على هذا الاتجاه الذي كان يستهدف تدجين الفلسطينيين واحتواء أفكار الكفاح والنضال من أجل استعادة دولة فلسطين .

وفي عام 1974 م انتهج ياسر عرفات خطًا سياسيًا جديدًا لحل القضية الفلسطينية حيث تبنى فكرة النضال السياسي والتي كانت سببًا في تمزيق الصفوف الفلسطينية الرافضة لخط عرفات الاستسلامي خصوصًا أنه جاء بعد أول انتصار عربي على « إسرائيل » مما يشتم منه رائحة غريبة ومريبة ، ولذلك ظهرت فكرة الحوار الفلسطيني مع القوى اليسارية الإسرائيلية سواء المعادية للصهيونية أو المؤيدة لها ، بهدف إيجاد الوسائل المثلى لتأييد فكرة المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط ، مما أدى إلى تمزيق الثورة الفلسطينية وتدمير وحدتها التي كانت قائمة على أساس أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين وأي طريق غير ذلك يعتبر خيانة كبرى في حق القضية الفلسطينية ، كما كان أي توجه رسمي من أي نوع يشير إلى إمكانية التحاور مع أي قوى إسرائيلية أيًا كانت توجهاتها يعتبر خيانة لا تحتمل التأويل .

فاجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني التي عقدت في يوليو سنة 1968 م قررت بالإجماع اعتبار النضال المسلح طريقًا وحيدًا للتحرير ، ورفضت كل المشروعات المشبوهة التي تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية ، وكل المشروعات التي لا تنطلق من فكرة الكفاح المسلح ، كما أكدت خطة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والتي قدمتها للمجلس الوطني الفلسطيني في سبتمبر سنة 1969 م على رفض الحلول الاستسلامية والتصفوية وانتهاج الكفاح المسلح طريقًا وحيدًا حتميًا لتحرير فلسطين[1] .

تعاطف فلسطيني مع الحركات الإسرائيلية المعارضة

وحتى يمكننا رصد حركة الاتصالات التي تمت بين الفلسطينيين والإسرائيليين يمكن أن نحددها بشكل منهجي مع مطلع السبعينيات وإن كانت تدخل في مرحلة التعاطف مع بعض الحركات الإسرائيلية المناهضة للحكومة الصهيونية مثل حركة الفهود السود التي قادها السفارديم « يهود الشرق » احتجاجًا على استئثار الاشكيناز « يهود الغرب » بكل المراكز السياسية والاقتصادية والاجتماعية ووضع السفارديم في الطبقة الدنيا ، كما تعاطفت المنظمة مع جماعة ناطوري كارتا ــ حراس المدينة ــ وهي حركة دينية ترفض الاعتراف بوجود الدولة اليهودية وترفض التعامل معها وتسعى للقضاء عليها من رؤية دينية[2] .

وهكذا نرى أن المنظمة تعاطفت مع الحركات الإسرائيلية التي تستهدف أصلاً القضاء على « إسرائيل » مثلها تمامًا ، مما يعني تطابقًا في التفكير بين الجانبين ، أو على الأقل تتعاطف مع القوى التي تتحدى النظام الصهيوني وتشوه وجهه القبيح وتظهر عيوبه ، وهذا التعاطف يدخل في نطاق العمل السياسي الإيجابي الذي يخدم القضية وإن كان يعني أيضًا تأييد شرائح يهودية تعيش على أرض فلسطين السليبة ، ولولا اقتناع هذه القوى بفكرة الهجرة اليهودية إلى فلسطين على أقل تقدير ما جاءت وما عاشت وما احتجت على ممارسات الدولة الصهيونية ، فالتعاطف كان بداية الضعف

في الوجدان الفلسطيني الذي أدى إلى حالة الاستسلام الحالية .

الدويلة الفلسطينية وبداية التراجعات

وبعد أن كانت « فتح » لا تؤمن بغير البندقية لتحرير فلسطين من النهر إلى البحر ، بدأت أولى الخطوات إلى الخلف عام 1973 م ، والذي تم فيه أول نصر عربي على « إسرائيل » حيث تقدم فاروق القدومي بتقرير لمنظمة التحرير الفلسطينية يعرض فكرة الدويلة الفلسطينية كحل واقعي ممكن لحل القضية بدلاً من فكرة « فلسطين الديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني » حيث إن الكل يعرف من خلال استقراء تاريخ الحركات السياسية في العالم ، بما في ذلك الحركة الصهيونية ذاتها ، إنها تبدأ بالممكن ثم بالتدرج تنتقل إلى الهدف النهائي ، فالصهاينة مثلاً جعلوا هدفهم أولاً مجرد فتح باب الهجرة إلى فلسطين ، ثم بعد الاحتلال البريطاني تنامت الأهداف إلى تشكيل هيئات سياسية وإدارة ذاتية خاصة بهم ، إلى تبني فكرة تقسيم فلسطين ، وأخيرًا إلى كل ما حققه العدوان من احتلال يعتبر جزءًا من دولتهم ، بمعنى أن مشروع « إسرائيل » الكبرى أرجئ حتى تتوافر شروط تنفيذه .

ويضيف القدومي : إلا أننا ــ مع الأسف ــ بدأنا بالهدف الأكبر لننتهي إلى الأصغر ، وحتى هذا الهدف الصغير : تأسيس دولة فلسطينية في الضفة وقطاع غزة والقدس الشرقية معرض للتحجيم والمساومة[3] .

وهذا الاتجاه الانهزامي التبريري لفاروق قدومي يخلط القضايا حيث إن المرحلية ضرورة ومبدأ صحيح لتحقيق الأهداف ولكن على أساس صاعد لا هابط .

تحويل المناضلين إلى سياسيين

وقرر عرفات اتخاذ خطوات عملية تحت غطاء تجميل وجه الثورة الفلسطينية

أمام الرأي العام ، فبدأ يحوّل الفدائيين أمثال محمود صالح وسعيد حمامي « من الكادر العسكري في فتح » وعصام السرطاوي (المخطط لعملية ميونخ سنة 1972 م) إلى سياسيين يدعون للتفاوض والسلام مع « إسرائيل » ، وكان محمود صالح هو أول قتيل من رسل السلام الفلسطينيين ، وقالت مجلة شئون فلسطينية حول اغتياله « الجريمة وقعت في وقت تراجعت فيه حرب العمليات الخارجية أو حرب الظل كما تسميها « إسرائيل » ، تراجعًا كبيرًا ، ومنذ ثلاث سنوات ــ تقريبًا ــ بدل المناضلون الفلسطينيون تكتيكاتهم في الساحة الدولية ، فبدلاً من العمليات العسكرية الخارجية التي كانت تستهدف المراكز والمؤسسات الصهيونية ، وسعوا دائرة نشاطهم السياسي والإعلامي في العواصم والمدن الأوروبية ، وهو نشاط بدأ يعطي مردودًا أكبر بكثير » ثم تساءلت المجلة « فهل اغتيال المناضل محمود صالح كان محاولة لاغتيال هذا النشاط قبل أن يتبلور ودفع النضال الفلسطيني في الساحة الدولية إلى دائرة العنف الخارجي مجددًا ؟ »[3] .

وهنا تتضح معالم سياسة عرفات الجديدة بالنسبة لحل القضية الفلسطينية ، ولكن ليس الإسرائيليون هم الذين كانوا وراء هذا النشاط في بداياته لأن مردوده على الساحة الفلسطينية ، عندئذ سيكون سلبيًا للغاية بما يفيد « إسرائيل » حيث ستحدث انشقاقات ومعارك فلسطينية / فلسطينية ، ولذلك فإن الفلسطينيين أيضًا وربما مخابرات الدول العربية كانت وراء اغتيال رموز التفاوض والاستسلام .

دور سعيد حمامي

عندما حل سعيد حمامي في لندن سنة 1973 م كممثل لمنظمة التحرير هناك ، اعترضت طريقه صعوبات الساحة الأوروبية ، خاصة أن الرأي العام الأوروبي يعتبر ــ بفضل التضليل الإعلامي ــ الفلسطينيين إرهابيين .

ولما كان حمامي يحمل في جيبه ورقة جديدة ، لذا جعل همه كسب الرأي العام

البريطاني إلى جانب الفلسطينيين ، ابتداء بالمثقفين منهم ، فراح يكتب في التايمز سلسلة مقالات يعرض فيها الوجه « المعتدل » لمنظمة التحرير ، ومن ذلك مقاله : « الطريق الفلسطيني للسلام في الشرق الأوسط » .

ساعدت مقالات حمامي على تمهيد أرضية الساحة البريطانية للقيام بدوره الجديد كرائد للسلام في المنطقة العربية .

وكان لآراء سعيد حمامي صدى واسع في الساحتين الأوروبية والإسرائيلية ، فقد كسب لوجهة نظره شخصيات لامعة في الصحافة البريطانية ، منهم مايكل ادامز بالجارديان ، وإدوارد مويتمور بالتايمز ، فضلاً عن بعض الإسرائيليين مثل موشيه ماكوفر (أحد مؤسسي منظمة الماتزين الإسرائيلية والموجود في لندن بسبب انتقاداته — كما يقول — للسياسة التوسعية الصهيونية) ومن اليهود العرب مثل هنري كوريل ، أحد مؤسسي الحزب الشيوعي المصري الذي كان يعيش في باريس ، وشالوم كوهين البغدادي المولد والمصري النشأة ، وأحد المشاركين في عصابات الهاجانا والجيش الإسرائيلي في القتال ضد العرب في فلسطين ، ثم يتخلى على حد قوله عن عنصريته ليصدر جريدة بالعربية باسم الحوادث عام 1970 م ، وليصبح فيما بعد ناطقًا باسم حركة الفهود السود التي قام بها اليهود الشرقيون ، ويتخلى عنهم فيما بعد ، هذا بالإضافة إلى شخصيات أخرى ذات مكانة سياسية بارزة ، مثل ماتي بيليد ، الجنرال الاحتياطي في « إسرائيل » ومنديس فرانس رئيس وزراء فرنسا في فترة 1954 - 1955 م المنحدر من أصل يهودي وبرونوكرايسكي مستشار النمسا السابق وغيرهم[5] .

وكانت منظمة التحرير قد استخدمت مصر وبعض الدول العربية لتكون وسيطًا في التعامل مع « إسرائيل » والولايات المتحدة ، كما فعلت مرارًا وتكرارًا من عام 1973 م إلى عام 1977 م ، وكانت كامب ديفيد هي البداية لعملية إكراه المنظمة على الكف عن هذا الاستخدام ، وقد تعلمت المنظمة هذا الدرس بكثير من التردد وبكثير

أيضًا من التورط في الخطأ ، وحدث في بعض الأحيان أن كان اعتماد منظمة التحرير الفلسطينية على وسطاء عرب إجراءً فرضه عليها أعداؤها الذين رفضوا التعامل معها مباشرة[6] ، أي أن المنظمة كانت تحاول التعامل في تلك الفترات ولكن من خلال وسطاء وفي نفس الوقت أرادت أن تستكشف الطريق بنفسها فاستخدمت سعيد حمامي كفأر تجارب بحيث لو فشلت التجربة تكون المنظمة غير مسئولة عنه ، وإذا استطاع التأثير على الساحتين الدولية والفلسطينية فمن الممكن تبني اتجاهه ، لذلك يجب أن نأخذ ردود الفعل السلبية التي واجهت أفكار حمامي في مقر المنظمة ببيروت في خانة المناورة من البعض ، أو يمكن أن يكون هذا هو موقفهم لعدم معرفتهم بخطة عرفات لأنه ليس من الممكن أن يتكلم حمامي ويتبنى هذه الأفكار دون أن يكون موجهًا من ياسر عرفات ، ولكن بعد ذلك قرر المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في 14 يوليو سنة 1974 م الموافقة على صيغة المرحلية الانتقالية لتنفيذ برنامج منظمة التحرير .

ودور سعيد حمامي لم يكن يتعدى التبشير بهذه السياسة على الصعيد الأوروبي ، ريثما يتم تطبيع الرأي العام الفلسطيني والعربي على فكرة إمكانية التفاوض مع العدو حول الدويلة الفلسطينية المقترحة ، وعام 1974 م فيما يبدو كان مخصصًا لهذا التوجه لا بالنسبة للمقاومة الفلسطينية فحسب ، بل بالنسبة لمصر ودول المواجهة الأخرى حيث جرت محاولة إعلامية مماثلة لتطبيع فكرة المصالحة بين مصر و « إسرائيل » ، يرى البعض أن هناك شبهًا كبيرًا بين دور المثقفة المصرية سناء حسن ومحاوراتها مع أموس أيلون ودور حمامي ومفاوضاته مع ما يسمى بمجلس السلام الإسرائيلي[6] .

وفي باريس أصدر صحفي إسرائيلي يدعى مكسيم غيلان مجلة باسم « إسرائيل وفلسطين » بعد أن ترك « إسرائيل » ، وغيلان كأكثر أعضاء « مجلس السلام الإسرائيلي » له ماض حافل في خدمة العدوانية الصهيونية ، فقد ساهم في منظمة

الهاجانا ومجموعة الشتيرن الإرهابية ، ولكنه انحاز بعدئذ إلى أوساط اليسار الإسرائيلي وعمل بالصحافة .

وكان دوره تجاه حمامي يتلخص في التهيئة النفسية للأجواء الإسرائيلية والغربية لتقبل فكرة الحوار الإسرائيلي ـــ الفلسطيني ، وساهمت مجلته في نشر أفكار الحوار الدائر بين الطرفين وسهلت عدة لقاءات شارك فيها نفسه ، وقد تم تعرف حمامي على غيلان عندما كتب له يوضح ملاحظاته حول بعض ما نشر في مجلة « إسرائيل وفلسطين » ، كذلك عن طريقه تحقق أول لقاء غير رسمي مع الشخصيات الإسرائيلية التي ساهمت بعدئذ بتأسيس مجلس السلام الإسرائيلي وهم : شالوم كوهين ويوري افنيري الذي أسس صحيفة « هاعولام » ، وهو يمثل فريقًا من الإسرائيليين الذين تجاوزوا الصهيونية بخلاف الجالية اليهودية الدولية ويعتبر أهم محاور في الجانب الإسرائيلي ودانيال أبيت وعضو الكنيست شارلي بيتون .

استدراج بالوعود الكاذبة

وتم أول لقاء عملي بين حمامي وغيلان في لندن في مارس سنة 1974 م عندما اقترح حمامي على غيلان أن يسهل له الاجتماع بوزير الإعلام الإسرائيلي « هارون يارليف » الذي أبدى استعداده للتفاوض المباشر ـــ نيابة عن حكومة « إسرائيل » ـــ مع منظمة التحرير الفلسطينية ، إلا أن غيلان أعرب لحمامي بعد مدة طويلة قلقه بأن الوزير المشار إليه سيتراجع قريبًا عن تصريحاته ، وهو ما حدث فعلاً عندما عزلته حكومة إسحاق رابين عن منصبه ، ثم اقترح غيلان الاتصال مباشرة بناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي باعتباره أفضل طرف يمكن للفلسطينيين إجراء الحوار معه بسبب عدائه ـــ على حد قول غيلان ـــ لموقف الحكومة الإسرائيلية ، فيوافق حمامي ، ويصله رد جولدان باستعداده لمقابلة ياسر عرفات شخصيًا ، ولكنه يشترط مقابل ذلك إيقاف العمليات الفدائية لفترة ثلاثة أشهر وفعلاً لاحظ الإسرائيليون

أن عمليات المقاومة قد خفت كثيرًا طوال هذه المدة ، لكن جولدمان لم يكن ــ كما هو متوقع ــ حريصًا على الوفاء بوعده ، إذ سرعان ما أبلغ حمامي عن طريق غيلان ، أنه لا يستطيع الالتزام بشيء قبل استشارة رئيس الوزراء الذي رفض الفكرة وهدد جولدمان بالتشهير به أمام اليهود إن هو أصر على الاجتماع بعرفات ، وأدى رفض فكرة الحوار بين الجانب الإسرائيلي الرسمي والفلسطيني إلى ردود فعل عنيفة في قيادة منظمة التحرير[8] ، ففي 5 مارس سنة 1975 م ، أي بعد ثلاثة أسابيع من اجتماع رابين وجولدمان قامت قوات فتح بالهجوم على فندق سافاي بتل أبيب ففجروه ، حيث قام 8 فدائيين بالتسلل في زورقين مطاطيين إلى الساحل الإسرائيلي وكانوا يرتدون الملابس العسكرية الإسرائيلية وقاموا بإطلاق الرصاص على الخارجين من إحدى دور السينما واحتجزوا عشرة في فندق سافاي وطالبوا بطائرة تابعة للأمم المتحدة لتنقلهم والمحتجزين إلى دمشق ولكن القوات الإسرائيلية هاجمت الفندق وأدى ذلك الهجوم إلى مقتل سبعة منهم وثلاثة من المحتجزين وثلاثة من الجنود ، كما جُرح كثيرون ، وأسر أحد الفدائيين[9] ، وكان الهدف من هذه العملية والتي قامت بها فتح خصوصًا رسالة إلى « إسرائيل » يُفهم منها : « إذا رفضتم الحوار معنا كلامًا تابعناه رصاصًا » ، وبعد هذا الفشل المؤقت في جهود الوساطة يمارس غيلان دوره عبر مجلته ، فيسفر ذلك عن تجدد اللقاءات ، ففي أوائل سنة 1975 م أي بعد مرور عقد كامل على تأسيس حركة فتح ، يتأسس ما يسمى بالمجلس الإسرائيلي للسلام في « إسرائيل » وفلسطين ، ويتضح كذلك أن ياسر عرفات حاول الاتصال بـ « إسرائيل » قبل السادات ، ولو أعطاه الإسرائيليون وجهًا لكان أول من وقع معهم اتفاقية سلام .

السرطاوي يقود المفاوضات

وهكذا روعي في تسمية المجلس الإسرائيلي للسلام في « إسرائيل » وفلسطين

احترامًا مشتركًا للأماني الصهيونية والفلسطينية على حد سواء ، فهذا المجلس ، رغم تبنيه ــ بطبيعة الحال ــ للأطروحة الصهيونية ، يعترف بكيان فلسطيني ما إلى جوار دولة الكيان المغتصب ، ولكن كما سنعرف أنه مجرد شعار أو لافتة لتطبيع فكرة وجود « إسرائيل » وقبولها في أوساط المقاومة الفلسطينية .

و « بتأسيس هذا المجلس انتهى دور حمامي في قضية الحوار واستنفد أغراضه ففاروق القدومي كان لا يثق بحمامي ويسعى لتعيين شخصية فلسطينية أخرى مكانه لمواصلة الحوار ، وكحل وسط تقرر أن يعين عصام سرطاوي كمسئول عن الصلات مع الإسرائيليين ، ويحتمل أن يكون هذا الاختيار قد راعى فيه عنف مواقف السرطاوي في الماضي ضد « إسرائيل » ، فضلاً عن ضلوعه في فهم عقلية الصهيونيين وسياستهم ، فهو أحد مختصي الشئون الإسرائيلية كما تشهد بذلك مساهماته في « أبحاث » معهد الدراسات الفلسطينية في بيروت ، وبعد تعيين السرطاوي ، بتخويل رسمي من منظمة التحرير ، يتم الاجتماع الموسع الأول بين الطرفين وفي جو من السرية التامة ، وضم الجانب الصهيوني في الاجتماع الأول عددًا من الشخصيات الصهيونية التي لها تاريخ حافل بالعدوانية ضد الفلسطينيين والعرب ومنهم : الجنرال ماتي بيليد ، جنرال احتياط ، شارك في ثلاث حروب ضد العرب ، ويشغل منصب أستاذ الأدب العربي في جامعة تل أبيب ويعتبر المحاور الرئيسي للسرطاوي ، والعضو الثاني كان أريه لوفا ايلياف المولود في موسكو عام 1921 م ، وأحد مقاتلي الهاجانا وشارك في حرب سنة 1948 م برتبة مقدم ، ثم اتجه للتأليف والسياسة وكان يشغل منصب الأمين العام لحزب العمل الإسرائيلي سابقًا وأحد مؤسسي حركة السلام الإسرائيلية ، والثالث هو يعقوب آرون فان امرونجن المولود في أمستردام عام 1913 م ، وكان زعيمًا للاتحاد الفيدرالي الصهيوني في هولندا ، وهاجر إلى فلسطين عام 1948 م ، وعمل مديرًا لوزارة المالية الإسرائيلية ، والرابع كان يوسي امتياي ، لم تتوافر معلومات عنه وربما كان اسمًا مستعارًا .

أما الوفد الفلسطيني ، فضم إلى جانب عصام السرطاوي كلاً من : صبري

جريس ، « فلسطيني » من الضفة الغربية وأحد المساهمين في أبحاث معهد الدراسات الفلسطينية ، والثالث هو « أبا نازريت » وهو اسم مستعار لم تشأ المصادر الفلسطينية الإفصاح عن اسمه ، ولكن هناك مصادر أخرى تعتقد بأنه إلياس فريج رئيس بلدية بيت لحم ، هذا فضلاً عن أحد مساعدي السرطاوي ممن لم يصرح باسمه أيضًا .

استغرق الاجتماع 25 ساعة وعقد على مدى يومين ، واتضح في نهايته تباين كبير في وجهات النظر مما جعل الفريقين يدعوان شخصيات عالمية بارزة لإنجاح عملية التفاهم .

وكان من هذه الشخصيات : « منديس فرانس رئيس وزراء فرنسا سابقًا (1954 - 1955 م) ، وكان زعيمًا للحزب الاشتراكي ، وهو من أبوين يهوديين ، وناحوم جولدمان وبرونو كرايسكي ، وهما من الشخصيات الأوروبية اليهودية »[10] .

وعقب انتهاء الاجتماع قدم الوفد الإسرائيلي تقريرًا لإسحاق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي الذي تكتم الموضوع وهذا يعني أن هذه الاتصالات كانت تتم بمباركته .

وعلى الرغم من محاولات التكتم على هذا الاجتماع فإن صحيفة يديعوت أحرونوت نشرت أن الجنرال بيليد وألياف وارون اجتمعوا في باريس يوم 11 سبتمبر سنة 1976 م مع عصام السرطاوي وفلسطينيين آخرين ، وأنهم أصدروا بيانًا مشتركًا بالموافقة على مفاوضات مؤتمر جنيف[11] .

وبعد نشر هذه الأنباء اضطر المجلس الإسرائيلي للسلام إلى إصدار بيان يقول : « اجتمع ممثلون لنا بشخصيات فلسطينية أكدت لنا أنه ما إن تتم موافقة « إسرائيل » على حضور ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر جنيف للسلام حتى يصبح الاعتراف بإسرائيل ممكنًا » .

وتسرب هذه المعلومات للصحف الإسرائيلية يؤكد أن بعض المشاركين في الوفد الإسرائيلي كانوا من رجال الموساد .

وبعد ذلك جرت مناقشات حادة في الكنيست الإسرائيلي وارتفعت الأصوات تدعو « لمعاقبة الخونة الإسرائيليين الذين اجتمعوا بالإرهابيين الفلسطينيين »(12) ، و لم يكن رابين — كما سنعرف — فيما بعد مخلصًا لأية عملية سلام مع الفلسطينيين ، إنما سعى من خلال مباركته للحوار من الطرفين إلى إشاعة الفرقة بين الفلسطينيين أنفسهم خصوصًا وقد رأى بأم عينيه انشقاق أبو نضال بعد توجهات عرفات المعتدلة ، وبالتالي تشتيت وإضعاف القرار الفلسطيني ، وقد نجح في ذلك بالفعل دون أن يقدم شيئًا يذكر للفلسطينيين .

وبالنسبة للطرف الإسرائيلي ، فإن الاجتماع الموسع أسفر عن لقاءات أخرى جانبية ، وانتهت هذه الاجتماعات إلى استعداد الفلسطينيين لإصدار إعلان وقف حالة الحرب مقابل إقامة دولة فلسطينية على الأراضي المحتلة عام 1967 م ، وبعد ذلك يتم التفاوض بشأن اتفاقية سلام دائم ورسم الحدود الآمنة للدولتين وحل مشكلة اللاجئين .

أما الممثلون الإسرائيليون في مجلس السلام فلم يقدموا اقتراحات بسبب اقتراب الانتخابات وتوتر الرأي العام مما دفع الفلسطينيين إلى البحث عن مسرح يهودي آخر لمواصلة الاتصالات والبحث عن حل ، وكان المسرح آنذاك دول الكتلة الشرقية والولايات المتحدة فاتجه فاروق قدومي ممثل خط اليسار في المنظمة للشرق وصبري جريس للولايات المتحدة ، وهكذا فأطروحة المؤتمر الدولي في جنيف وأطروحة كامب ديفيد الأمريكية كانتا ولا تزالان اجتهادين يسيطران على بعض أجنحة منظمة التحرير الفلسطينية في جناحيها اليساري واليميني ، وحتى رفض الحوار والتفاوض مع العدو ، إنما كان لرفض الوسيط .

تقنين الحوار مع القوى الإسرائيلية

ويبدو أن منظمة التحرير الفلسطينية أرادت أن تقنن الاتصالات مع « إسرائيل »

والذي كان قرار المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشرة بانتهاج أسلوب الكفاح السياسي إلى جانب النضال المسلح هو المدخل الحقيقي لذلك التقنين الذي تبلور في دورة المجلس الوطني الثالثة عشر التي انعقدت في القاهرة في مارس سنة 1977 م حيث تبنى محمود عباس (أبو مازن) عضو اللجنة المركزية لفتح ، وعضو اللجنة التنفيذية للمنظمة فيما بعد ـــ الترويج لفكرة ضرورة فتح الحوار مع القوى الديمقراطية اليهودية داخل وخارج « إسرائيل » .

هذا في الوقت الذي كانت قد تشكلت فيه لجنة فتح برئاسة أبو مازن ـــ قبل انعقاد الدورة ـــ بدأت في الاتصال مع بعض القوى الإسرائيلية ، وبعد مناقشات عديدة في المجلس الوطني أقرت تلك الدورة قرارًا يقضي بضرورة فتح قنوات الحوار مع القوى الديمقراطية داخل وخارج « إسرائيل » ممن يعادون الصهيونية فكرًا وممارسة ، وفي نفس الوقت ضغط المتشددون في المجلس الوطني من أعداء فتح لتقييد دائرة القوى التي يمكن فتح الحوار معها بوضع عبارة ـــ ممن يعادون الصهيونية فكرًا وممارسة ـــ لأن مثل هذا القيد يحصر تلك القوى في الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة ـــ وعمودها الفقري راكاح ـــ والتي تضم أغلبية من عرب « إسرائيل »[13] .

وقد عملت الدورات المتعاقبة للمجلس الوطني الفلسطيني على تأكيد هذه الفكرة .

التصميم الفلسطيني على مواصلة الحوار

كما أوضحنا آنفًا أن المعارضة الداخلية في « إسرائيل » على الاتصالات السرية مع منظمة التحرير الفلسطينية وتعرض حكومة رابين للسقوط ، يدلان على رفض الصهاينة لأي اتصال ، وقد أدى ذلك إلى موافقة الجانبين في المفاوضات السرية على التوجه للولايات المتحدة لكسب دعم الجالية اليهودية هناك لفكرة المفاوضات المباشرة

بين « إسرائيل » والمنظمة .

وفعلاً غادر كل من عصام السرطاوي وصبري جريس في أكتوبر سنة 1976 م إلى واشنطن وهما يحملان جوازين أحدهما سوداني والآخر تونسي ، وكان الهدف الحقيقي هو الانفتاح على الجالية اليهودية الأمريكية ، أما الهدف المعلن فهو فتح مكتب ارتباط لمنظمة التحرير في العاصمة الأمريكية[14] .

وتؤكد تقارير وزارة الخارجية الأمريكية هذه الزيارة حيث طلبت يوم 25 / 11 / 1976 م من جميع الهيئات الدبلوماسية ما يلي : « لقد حصل أخيرًا عضوان في منظمة التحرير الفلسطينية على « الفيزا » هما صبري جريس المولود بالجليل في 4 / 12 / 1938 م ، والحاصل على الفيزا في 8 أكتوبر من نيقوسيا ، إن جريس المضموم إلى منظمة التحرير قد قدم جواز سفر سودانيًا غير زائف يحمل هذا الاسم : « صبري إلياس جيرايس » المولود في 12 / 12 / 1938 م بالخرطوم ، ولقد ذكر لهم أنه محام ومستشار قانوني في مركز من مراكز البحوث ببيروت ، لقد حصل على فيزا من نوع B - 1 / 2 مدتها شهر واحد يقضيه لبحوث في مكتبة الكونجرس .

2 ــ عصام السرطاوي المولود بنابلس في سنة 1931 م قد سافر مع جريس والسرطاوي قد انضم إلى جماعة منظمة التحرير ، والوزارة لا تدري متى حصل على « الفيزا » ولا من أين ؟ ، المطلوب من جميع هيئاتنا العودة إلى قسم المحفوظات للنظر في اسم سرطاوي أو سيرطاوي أو آرطاوي أو سيطاوي لنعلم أَقَدَّم استمارة أم لا ، وسنشكر لكم جهودكم في هذا السبيل إن أنتم تحريتم الأمر من حيث تاريخ الأضابير ، البادي أن « الفيزا » التي حصل عليها جريس مؤرخة بـ 8 أكتوبر وأنه دخل البلاد بصحبة السرطاوي في 19 نوفمبر ، وربما كان السرطاوي يحمل جواز سفر سودانيًا أيضًا .

3 ــ سعى جريس والسرطاوي إلى تأسيس مكتب للاستعلامات تابع لمنظمة التحرير بواشنطن قد أثار اهتمام الصحافة وأثار هذا السؤال : كيف أُتيح لهما أن يدخلا الولايات المتحدة ، أما جريس فقد ألغيت فيزته ، وأما السرطاوي فالمظنون أنه قد سافر عن أمريكا ــ عليكم أن تعرفوا أنهما سيسعيان إلى « الفيزا » مرة ثانية

بإسميهما أو باسمين مختلفين ، إنه من الممكن أن تكتب كلمة جريس على هذا النحو : « جريسون أو جرجيس فإن راجعكم أحد يشبه اسمه جريس أو السرطاوي فاتصلوا بنا عاجلاً »[15] ، ويبدو أن الضجة التي أثيرت في الكيان الصهيوني ضد الاتصال بمنظمة التحرير ، قد أثرت على يهود الولايات المتحدة ، مما خلق للسرطاوي وجريس صعوبات جمة حيث رفضت أكثر المنظمات والجمعيات اليهودية مقابلتهما وهما يحملان غصن الزيتون ، ووقع الاختيار أخيرًا على أقل المنظمات اليهودية تطرفًا وهي « نيتوري كارتا » أي حراس المدينة المقدسة والتي تضم جماعة الحاخاميين المتزمتين ، ولكن السرطاوي وجد صعوبة في كسبهم لأنهم اشترطوا توسطه لدى حكومة اليمن الشمالية لإعطاء ممثلين منهم تأشيرات لدخول اليمن للاطمئنان على الجالية اليهودية هناك ، وفيما إذا كانوا يمارسون طقوسهم الدينية بحرية .

وفعلاً لبى السرطاوي طلبهم رغم ما فيه من تدخل في شئون دولة مستقلة ، وعندئذ قررت جمعية الحراس مؤازرة مهمة الوفد الفلسطيني ورتبوا له لقاء مع مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط ألفرد آثرتون ، وقد خاطبه أحد الحاخامات قائلاً : « إننا جئنا نطلب منكم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، لقد صُعق المسئول الأمريكي ـــ على حد قول بعض المصادر ـــ من هذه المفاجأة ، إذ متى كان اليهود يدعون لاعتراف الحكومة الأمريكية بمنظمة لا يذكرونها إلا واسمها مقرونًا بالشتائم ؟ وعقب ذلك صدر قرار من الحكومة الأمريكية يقضي باعتبار السرطاوي وجريس شخصين غير مرغوب فيهما وذلك بدعوى مخالفتهما لقوانين الهجرة[16] .

وقد شنت المنظمات الصهيونية بعد ذلك حملات مسعورة ضد الفلسطينيين ونجحت في القضاء على تلك المحاولات ، لذلك نفى فاروق قدومي أثناء مشاركته في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة معرفته بالسرطاوي أو جريس أو المهمة الموكولة إليهما .

ولكن على كل الأحوال فإن هذه النشاطات الفلسطينية للاتصال بالإسرائيليين بأي شكل ومهما كان الثمن ساعدت السادات على اتخاذ قراره الخطير بزيارة القدس المحتلة بعد أشهر قلائل من مهمة السرطاوي الفاشلة في واشنطن ، فالمناخ السياسي العام في الوطن العربي كان يسمح بمثل هذه المغامرات ، إلا أنه من عجائب الفلسطينيين أن زايدوا على السادات واعتبروه خائنًا حيث إن الخيانة لديهم لها مكيالان والمسموح لهم غير مسموح لغيرهم .

وعقب فشل السرطاوي اجتمع مع حركة السلام الآن مرة أخرى في باريس في نهاية عام 1976 م ، وتم الاتفاق على بيان إلا أن السرطاوي رفض التوقيع عليه وإن كان قد وافق عليه شفهيًا ينص على : « أن منظمة التحرير الفلسطينية توافق على مبادئ السلام المعلنة في ميثاق المجلس الإسرائيلي للسلام الفلسطيني الإسرائيلي باعتبارها تشكل قاعدة مقبولة للبحث عن حل لمشكلة الشرق الأوسط[17] ، وبإلقاء نظرة على هذا الميثاق يتضح لنا أنه يصر على « إقامة دويلة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة » ، ويؤكد على المحافظة على الطابع اليهودي ــ الصهيوني لدولة « إسرائيل » وعلى « أهمية القدس كعاصمة لها » .

ويتضح مما سبق أن الجانب الصهيوني هو الذي فرض رأيه على السرطاوي الذي تجاوز دوره كممثل للمنظمة ، مما دفع فاروق قدومي إلى إصدار بيان ينفي فيه الاجتماع أصلاً ، ولذلك حاول بيليد فيما بعد إصلاح الأمور بتصريح قال فيه إن المسئول الفلسطيني الذي قابلته في باريس لم يوقع البيان ، ولكنه وافق على مبادئ السلام من خلال تعايش دولتين فلسطينية وإسرائيلية ، مما حدا بالمعارضة السياسية الإسرائيلية بالثورة على تصريح بيليد لما تضمنه من إشارة إلى دولة فلسطينية ، وأصدر حزب العمل الحاكم في « إسرائيل » آنذاك قرارًا يرفض إقامة دولة فلسطينية رفضًا تامًا .

ويتبع ذلك مؤتمر صحفي لرابين يقول فيه : « لا مجال لدولة فلسطينية إلا في إطار فيدرالية أردنية في شرق الأردن دون غربة ، وبهذا فإن رابين ــ الموصوف

بالاعتدال ــ يذهب بعيدًا في تنازله لوجهة نظر غلاة الصهيونية عندما يستثني غرب الأردن (الضفة الغربية) من خطة الفدرالية الأردنية الفلسطينية .

الدور الأفريقي في الاتصالات الإسرائيلية الفلسطينية

ولا شك أن مقتل محمود صالح أحد دعاة الحوار وإلقاء القبض على أبو نضال في باريس بتهمة الاغتيال في أوائل سنة 1977 م ثم إطلاق سراحه أدى إلى قيام طرفي الحوار الإسرائيلي الفلسطيني بالتروي واستخدام أوراق جديدة بعيدًا عن الأوراق الغربية فكانت المراهنة على الورقة الأفريقية لحاجة « إسرائيل » إلى العلاقات مع دول أفريقيا خصوصًا بعد قطع معظمها العلاقات الدبلوماسية معها عقب حربي 1967 م و 1973 م .

لهذا فقد اختار السرطاوي الرئيس السنغالي سنغور أحد مؤيدي فكرة الحوار الإسرائيلي ــ الفلسطيني قبل أن يبدأها حمامي ، فقد سبق لسنغور أن أوضح في أكتوبر سنة 1976 م لمسئول إسرائيلي أهمية التفاوض المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية .

لذلك اقترح إلياف ممثل المجلس الإسرائيلي للسلام على السرطاوي ترتيب لقاء بينه وبين كل من سنغور وفليكس بواتيه رئيس ساحل العاج ، وهما صديقا السرطاوي لفتح ثغرة من خلالهما في المقاطعة الأفريقية لـ « إسرائيل » ، تلك المقاطعة التي تقررت بعد حرب سنة 1973 م ، وهكذا يبرق إلياف إلى رابين بعد اجتماعه بسنغور وبواتيه لإعلامه بهذه التطورات فيقوم رابين من جانبه بتشجيع إلياف على هذه اللقاءات الأفريقية ، ويطلب منه السعي لترتيب اجتماع بالرئيسين الأفريقيين ، وفعلاً يتم اجتماع رابين برئيس ساحل العاج في جنيف 4 / 2 / 1977 م ، فيظهر لرابين أن الرئيس بواتيه ليس معارضًا لإعادة العلاقات الدبلوماسية مع « إسرائيل » إذا استمرت المساعي لحل القضية الفلسطينية ، ويصدر عن الجانبين بيان يتضمن الموافقة

على قراري الأمم المتحدة المرقمين 242 و 383 ، إلا أن الرئيس سنغور لا يجتمع برابين ، إنما يعود إلى داكار ليستقبل ياسر عرفات الذي يشيد بجهود السنغال لإحلال السلام في منطقة الشرق الأوسط[18] .

وهكذا يتضح كيف نجح الإسرائيليون في استدراج الفلسطينيين في متاهات السلام المزعوم لتحقيق مصالح « إسرائيل » في أفريقيا ؟ وتم استخدامهم كهمزة وصل لتقوية العلاقات الأفريقية الإسرائيلية وإعادتها على الرغم من أن الغرض الحقيقي الذي من أجله قامت كان تطوير المفاوضات إلى مستوى اللقاءات المباشرة بين رابين وممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية .

فمساعي السرطاوي الساذجة لم تتمخض عن أي نتائج لصالح القضية الفلسطينية ، فلم يكن رابين من السذاجة ليوفر لمنظمة التحرير اعترافًا إسرائيليًا ، إنما كان هدفه توظيف العلاقات الفلسطينية الأفريقية لمصالحه حيث كانت الانتخابات قريبًا ويريد نصرًا سياسيًا يدعمه أمام الجماهير ، وقد ساعدته المنظمة بدون شك سواء بوعي منها أو بدون وعي ، وكانت سببًا لعودة إسرائيل إلى القارة الأفريقية من جديد ، ولكن هذه المرة على صهوة ياسر عرفات !!! .

لقاءات إسرائيلية فلسطينية تحت مظلة الاشتراكية الدولية

وقد تمت لقاءات سابقة أيضًا تحت غطاء الاشتراكية الدولية ، فقد التقى قدومي في ندوة جمعية خريجي الجامعات العربية الأمريكية في نيويورك وشاركت فيها كل من منظمة التحرير وحزب راكاخ الشيوعي الإسرائيلي بممثلين إسرائيليين ، وذلك في إطار مناقشة المبادرة السوفييتية لإحلال السلام في المنطقة .

وفي 5 مايو سنة 1975 م اجتمع عبد الله حوراني ـــ أحد صقور فتح ـــ مع توفيق طوبي الأمين العام المساعد لحزب راكاخ الإسرائيلي ، وذلك في إطار الندوة العالمية لإحلال السلام في الشرق الأوسط ، ويمكن القول إن الصلات بين منظمة

التحرير والحزب الشيوعي الإسرائيلي بدأت منذ عام 1973 م ، عند عقد المؤتمر الشيوعي في بولندا ، وفي عام 1976 م شارك قدومي وأبو ميزر واجتمعا بزعيم الحزب الشيوعي الإسرائيلي[19] .

وهكذا يتضح لنا أن مسار منظمة التحرير في الوصول إلى طريق الاتصالات مع « إسرائيل » عبر من خلال اليسار التقليدي في أوروبا الغربية والمتمثل بالاشتراكية الدولية للضغط على « إسرائيل » ، إلا أن هذا الاتجاه فشل أيضًا لأن القرار النهائيُّ كان بيد الإسرائيليين الذين اختاروا خط التشدد .

حمامي يعود للعب دوره من جديد

وفي هذا الوقت الصعب يعاود سعيد حمامي الظهور ليلعب دوره من جديد في مسلسل اللقاءات الإسرائيلية ــ الفلسطينية حيث عقدت ندوة في لندن 30 / 9 / 1977 م تحت عنوان « ندوة حول السلام والفلسطينيين » ، وشارك فيها حمامي السرطاوي وكريم خلف ورئيس بلدية بيت لحم من الجانب الفلسطيني ، أما الإسرائيليون فمثلهم بيليد وافتيري والصحفي الإسرائيلي أمور كابليوك وعدد من الأوروبيين مثل مايكل ادمز وكلود بوردية ، ودار نقاش حاد حول أهمية الاعتراف المتبادل بين المنظمة و « إسرائيل » والجهة التي تعترف أولاً[20] .

إلا أن زيارة السادات للقدس غيرت كل الموازين حيث يتحمس دعاة السلام الإسرائيلين للسادات ويتركون الفلسطينيين جانبًا .

اغتيال حمامي

وبعد تطورات الأحداث بسرعة لم يتمكن الجميع استيعابها يتم اغتيال سعيد حمامي في 4 / 1 / 1978 م أي بعد شهر من زيارة السادات للقدس ، وطلبت

المنظمة من السرطاوي التوقف عن القيام بمبادرات لإحياء الحوار ريثما ينجلي الموقف ، وهنا سؤال هام من قاتل سعيد حمامي ؟ الإجابة ليست سهلة فالمتهم طبقًا لتقارير المخابرات الأمريكية هو أبو نضال ، وهناك من يشير إلى دور الموساد في ذلك ، وآخرون يشيرون إلى المخابرات العراقية ، ولكن هناك احتمالاً آخر هو لماذا لا يكون عرفات هو الذي اغتاله حتى تدفن أسرار العلاقات مع « إسرائيل » التي يعرفها خصوصًا وأن ياسر عرفات كان قد قرر المزايدة على السادات واتهامه بالخيانة لعقده الصلح مع « إسرائيل » ، فكان عليه إذن إزالة كل آثار جريمته المرتبطة باتصالاته مع الإسرائيليين ، كما تم في نفس الوقت اغتيال هنري كورييل وسيط الحوار الذي ذكرناه سابقًا .

عودة الاتصالات

ويبدو أن عرفات قرر مواصلة اتصالاته مع « إسرائيل » ، ولكن من خلال أطراف أخرى حتى تكون تحركاته أقل صخبًا، ويقول تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية إن السفير يانج اجتمع بالطرزي بعد أن اجتمع عرفات بكرايكس وبرانت ، والواضح أن عرفات مستعد في الظاهر على عكس الماضي لأن يتجاهل الفئات الفدائية « المتطرفة » في المنظمة ويبدو أنه قد أوقف في الظاهر إرهاب فتح الدولي فإنه لم يفعل شيئًا عندما هاجمت « إسرائيل » وحداد جنوب لبنان ، ومن استراتيجية عرفات الجديدة لكسب الرأي العام الأمريكي أنه دعا السفير يانج وسائر الزعماء السود إلى زيارة المنطقة ، ولقد كرر عرفات القول إنه يعترف بـ « إسرائيل » متى اعترفت أمريكا أو « إسرائيل » بحق المنظمة والفلسطينيين في تقرير المصير »[21] ، وكان هذا التقرير في 5 / 9 / 1979 م .

والتقى عرفات لأول مرة بالوفد الإسرائيلي في اجتماع المجلس الدولي للسلام في صوفيا ، وقد ساهم في ترتيب هذا اللقاء رئيس بلدية رام الله ، والذي تمخض عن

بيان مشترك يؤكد الرغبة الصادقة لإحلال السلام العادل في الشرق الأوسط ، وكان الوفد الإسرائيلي يمثل حزب راكاح الإسرائيلي والجبهة الديمقراطية من أجل السلام والمساواة في « إسرائيل »[22] .

ويرى الكاتب الفرنسي بيار بيل أهمية خاصة في هذا اللقاء ، لا على أساس اجتماع عرفات بأعضاء شيوعيين من حزب راكاح ، وإنما التقاؤه بشارلي بيطون من الجبهة الديمقراطية الذي لا يخفي ميوله الصهيونية كما جاء في تصريحاته لجريدة « إسرائيل ــ فلسطين » الصادرة في ديسمبر سنة 1980 م وبعد لقائه بعرفات .

لقاءات ونياشين

ويقول أياد القرش في ملفه الخاص بأرشيف الاتصالات بين منظمة التحرير واليسار الإسرائيلي أن الندوات الفلسطينية الإسرائيلية تكررت في العواصم الأوروبية وساهمت بعض الأحزاب الأوروبية بعدد منها ، مثل الندوة التي عقدت في إيطاليا في شهر سبتمبر سنة 1979 م تحت عنوان : « حقوق الشعب الفلسطيني والسلام في الشرق الأوسط » ، وكان من الحضور إلياس فريج رئيس بلدية بيت لحم ، ومثل الجانب الإسرائيلي بعض أعضاء حزب راكاح الذي دعا أحد أعضائه منظمة التحرير بوقف العمليات الفدائية وذلك لتطوير فكرة الاعتراف المتبادل .

وفي أكتوبر سنة 1979 م يلتقي السرطاوي والنائب الإسرائيلي إلياف في فيينا ، وقد قرر كرايسكي منحهما « جائزة كرايسكي » التي أنشأتها فيدارلية النقابات النمساوية عام 1976 م ، وذلك مكافأة على مساعيها في التوصل إلى التسوية .

وتقبل السرطاوي الجائزة دون إخطار قيادة المنظمة لأن هذه الجائزة العلنية ستكشف للأطراف الفلسطينية الأخرى أن اللقاءات السرية ما تزال متواصلة[23] ، وقد تواصلت الاجتماعات خلال عام 1979 - 1980 م بين المد والجزر ، إلا أن نبرة الحوار خفتت تحت ضراوة التشدد سواء في « إسرائيل » أو داخل المجلس الوطني

الفلسطيني الذي رفض اقتراحًا بمشاركة قوى السلام الإسرائيلية في دورة المجلس الوطني الفلسطيني كان قد تقدم به السرطاوي ، ولكن هذا المجلس قرر الاتصال باليهود التقدميين دون سواهم ، وبذلك حدت قرارات المجلس من قدرة السرطاوي على الحركة في ساحة التسوية ، إلا أنه واصل اجتماعاته بأعضاء المجلس الإسرائيلي الذين لا تنطبق عليهم صفة اليهود التقدميين لصهيونية توجهاتهم ، وبالطبع لا يمكن أن يتم ذلك دون ضوء أخضر من عرفات ، إلا أن تطورات الأحداث في لبنان دفنت آمال الحوار الفلسطيني مع إسرائيل ، حيث أثبتت الأحداث أن البندقية هي التي تخط الدبلوماسية الصهيونية وأن غصن الزيتون لا يرفعه إلا الضعاف في هذا العالم المتوحش .

وبعد خروج ياسر عرفات وقواته من بيروت عملت قيادة المنظمة على إعطاء نفسها المزيد من الحرية في تفسير قرارها السابق بالحوار مع القوى اليهودية — غير الصهيونية ضاربة عرض الحائط ما حدث لها في لبنان على يد الإسرائيليين ، فأعطت دورة فبراير سنة 1983 م حيث انعقد المجلس الوطني السادس عشر بالجزائر صلاحيات لعرفات لرسم التسياسات التي تراها مناسبة للاتصال مع القوى الديمقراطية اليهودية مما اعتبر انتصارًا لياسر عرفات الذي كان قد اجتمع قبل انعقاد المجلس بعدد من الإسرائيليين لأول مرة مع أمثال يوري أفنيري .

عرفات وبيان منديس فرانس

وفي عام 1982 م اتصل كلوتزنيك الأمريكي ووزير الاقتصاد السابق والرئيس الفخري للمؤتمر اليهودي العالمي بجولدمان الذي قال له علينا توقيع بيان يطالب بوضع حد للحرب في لبنان ، ويوقع عليه 50 من أبرز اليهود في العالم ، وأجاب كلوتزنيك : ولكن علينا أن نرى أولاً إذا كان بوسعنا صياغة بيان كهذا .

ويقول كولتزنيك إن منديس فرانس صاغ البيان وكانت خاتمته قوية جاء فيها : « القضية الحقيقية ليست ما إذا كان للفلسطينيين الحق في ممارسة حقوقهم ، ولكنها

كيفية تحقيق ذلك مع ضمان أمن « إسرائيل » والاستقرار الإقليمي في الوقت ذاته ، والمفاهيم الغامضة مثل « الحكم الذاتي » لم تعد كافية إذ غالبًا ما تستعمل للتشويش لا للإيضاح ، والمطلوب الآن هو التصميم على الوصول إلى تفاهم سياسي بين « إسرائيل » والقومية الفلسطينية ، إن الحرب في لبنان يجب أن تتوقف وعلى « إسرائيل » أن تفك حصارها لبيروت لتسهل التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية والتوصل إلى تسوية سياسية ، وينبغي ملاحقة مسألة الاعتراف المتبادل بكل نشاط ، ويجب أن تكون هناك مفاوضات بهدف تحقيق التعايش بين الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني على أساس حق تقرير المصير »[24] .

وعند الانتهاء من صيغة البيان قال جولدمان : علينا أن نجد الآخرين للتوقيع عليه ، واقترح أن يصدره جولدمان ومنديس فرانس باسميهما ، إلا أن منديس رفض التوقيع بدون أن يحصل على موافقة ياسر عرفات .

وكان عصام السرطاوي المقرب من عرفات ، في باريس آنذاك واستطاع الحصول على الرد التالي من ياسر عرفات : « إن صدور هذا البيان في هذه اللحظة بالذات من ثلاث شخصيات يهودية ذات قيمة عظيمة وشهرة عالمية ونفوذ حاسم على كل المستويات على المسرح الدولي وداخل طائفتهم يجعل له أهمية خاصة »[25] .

وهكذا نلاحظ أن عرفات لم يتخل عن اتصالاته باليهود رغم ما حدث له منهم ورغم ما قدم من تضحيات في صفوف الثورة بسبب تلك السياسة وذلك يؤكد لنا احتمالات اتفاقاته السرية معها ، ولذلك لم يهتم بالعمليات العسكرية ضدها ، وحادث أبو داود واعتقال عرفات للفدائيين الذين يريدون العمل ضد « إسرائيل » مازالت ماثلة في الأذهان وتؤكد أن عرفات هو الذي يحرك كل الاتصالات من خلال رجاله .

الحوار مع كل القوى اليهودية

ثم جاءت بعد ذلك اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني في عمان ـــ الدورة

السابعة عشرة في نوفمبر سنة 1984 م ، حيث غابت عنها القوى الفلسطينية المتشددة إزاء الحوار لتفوت قرارًا خطيرًا في مسار فكرة الحوار ، وذلك بتوسيع دائرة القوى اليهودية التي يمكن فتح الحوار معها فأسقطت هذه الدورة كلمة ــ الديمقراطية ــ عن تلك القوى وجملة ممن يعادون الصهيونية فكرًا وممارسة ، والتي جاءت في الدورة الثالثة عشرة عام 1977 م واستعاضت عنها بعبارة اقترحها الشيخ عبد الحميد السايح رئيس المجلس ، وتقضي بفتح الحوار مع القوى اليهودية التي تؤمن بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة[26] .

وعلى الرغم من اعتراض المتشددين الفلسطينيين على هذا القرار وطعنهم في شرعية المجلس ، فإنه في اجتماعات المجلس الوطني في دورته الثامنة عشرة بالجزائر في أبريل سنة 1987 م ، تم تتويج هذا الطريق الذي تنتهجه فتح بإصدار البند الثامن من الباب الثالث لينص على تطوير العلاقات مع القوى الديمقراطية الإسرائيلية التي تساند كفاح الشعب الفلسطيني والمؤيدة لحقوق شعبنا الثابتة بما في ذلك حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة والتي تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعيًا ووحيدًا للشعب الفلسطيني .

وهذه الصياغة جاءت كحل وسط بين المتشددين والعرفاتيين أنصار فكرة الحوار حيث إنها تفتح المجال أمام الاجتهادات في تحديد هوية هذه القوى .

وهكذا نرى التنازلات الفلسطينية تزداد وكان الهدف المعلن عند انتهاج تلك السياسة واتباع البرنامج المرحلي عام 1974 م شق الكيان الصهيوني وتفتيته من الداخل وفقًا لدعوى أبو مازن ، ولكن الذي انشق وتفتت وانتهى هو العمل الفلسطيني ولكنهم لا يرجعون عن غيهم وكأنهم يعملون لصالح « إسرائيل » ضد بني جلدتهم .

الاتصال بالمعراخ

وبعد ذلك قرر ياسر عرفات الاتصال بالقوى الصهيونية الرسمية ، فكان اتصاله بالمعراخ (حزب العمل الإسرائيلي) ، وقد كشف ذلك في ديسمبر سنة 1986 م عبد الوهاب الدراوشة العضو الفلسطيني في الكنيست الإسرائيلي الذي أكد أنه نقل رسالة من عرفات لشيمون بيريز عام 1987 م تتضمن استعداد المنظمة للدخول في مفاوضات مباشرة مع « إسرائيل » ولكن بيريز أكد على ضرورة أن يوقف عرفات أولاً القتال ضد « إسرائيل » قبل أن يفكر في إمكان إجراء أي مفاوضات معه ، ثم عاد بيريز في فبراير سنة 1987 م ليعلن رفضه المطلق للتفاوض مع منظمة التحرير باعتبارها منظمة إرهابية عليها أن توقف الكفاح المسلح أولاً ثم تعترف بوجود « إسرائيل » ثانيًا ، وكانت المنظمة قد أوقفت الكفاح المسلح خارج الأرض المحتلة وفق إعلان القاهرة الصادر في 7 نوفمبر سنة 1985 م[27] .

عرفات يحيي الإسرائيليين

ويواصل عرفات أساليبه البهلوانية عسى أن تشمله « إسرائيل » بالعطف وتتعامل معه بعد أن قدم إليها كل تلك المكاسب ومزق من أجلها القوات الفلسطينية ، فيتوجه عرفات بالتحية إلى الإسرائيليين من وراء منبر البرلمان الأوروبي في ستراسبورج عام 1988 م مهنئًا إياهم بالعام العبري الجديد مخاطبًا إياهم باللغة العبرية « شاناتوف » ، مما أذهل دالمراقبين ومندوبي البرلمان ، فرئيس منظمة التحرير مازال يطل عليهم بنفس اللحية ونفس الكوفية اللتين طالما اعتبرها الكثيرون من الإسرائيليين والأمريكيين صورة للإرهاب ، إلا أن كلماته الأسبوع الماضي كانت لطيفة وودية ، وكرر قوله إنه يطالب بالسلام والعدالة للجميع[28] .

وفي يناير سنة 1989 م كان أريبه هيس عضو اللجنة السياسية التابع لحزب العمل قد أرسل رسالة لعرفات اقترح فيها إقامة دولة فلسطينية كبرى ضمن اتحاد فيدرالي ، وكانت صياغة الرسالة دقيقة بحيث يفهم منها أنها تهتم بالفلسطينيين ، وإن كان الغرض منها دق إسفين في العلاقات الأردنية ــ الفلسطينية من خلال إحياء مشروع الوطن البديل .

ثم أرسل هيس برسالة أخرى إلى بسام أبو شريف مستشار عرفات اقترح خلالها ما يلي : « المرحلة الأولى : تجرى مفاوضات بين « إسرائيل » والمنظمة يتم بموجبها نقل قطاع غزة إلى حكم المنظمة والسيادة الفلسطينية ، وتعلن المنظمة عن أن غزة هي الجزء الأول من تحقيق إقامة دولة فلسطينية وتنقل مؤسساتها من تونس إلى غزة وتقبل المنظمة عضوًا كاملاً في الأمم المتحدة وتقيم سفارات في جميع دول العالم ، المرحلة الثانية : تعيين شخصيات مرموقة من قيادة المنظمة في خارج البلاد لرئاسة بلديات المدن الكبرى في الضفة الغربية بما في ذلك القدس ، وهؤلاء مع شخصيات أخرى سيتمتعون بمكانة وزراء في حكومة فلسطين برئاسة ياسر عرفات .

المرحلة الثالثة : يقام اتحاد كونفيدرالي سياسي واقتصادي يجري تحديد شكله من خلال مفاوضات مباشرة بين حكومتي « إسرائيل » وفلسطين .

المرحلة الرابعة : تقيم حكومتا « إسرائيل » وفلسطين هيئة سياسية مشتركة للعمل من أجل ضم شرق الأردن إلى دولة فلسطين ووفقًا لهذه الخطة تعمل « إسرائيل » وفلسطين من أجل إقامة الاتحاد الفيدرالي الفلسطيني على مثال اتحاد ماليزيا ويضم شرق الأردن وغزة والمدن الفلسطينية الأخرى في الضفة الغربية ، ويتعين التأكيد على أنه بالنسبة إلى للضفة الغربية ، يتطلب الأمر ترتيبات كونفيدرالية خاصة بين « إسرائيل » وفلسطين في غياب قيادة قومية قوية في « إسرائيل » قادرة على نقل

كامل الحكم في الضفة لحكومة فلسطين على المدى المنظور ويحتمل أن يكون الأمر متيسرًا على المدى البعيد ، لكن ذلك سيتم فقط بعد فترة تجريبية وتعايش سلمي في خلال عدة سنوات »[29] .

وهذا العرض الإسرائيلي الذي تم إرساله من خلال هيس لبسام أبو شريف رجل عرفات بعدما رفض عرفات الرد لأنه كان يجب أن يكون رئيس وزراء إسرائيل هو المرسل ، تقرر أن يتم اللعب بين هيس وأبو شريف وحساب ردود الأفعال قبل أن يدفع عرفات رأسه ثمنًا لهذا العرض القاتل الذي سينسف فلسطين من الوجود ، ولكن لا ندري ماذا يجري خلف الكواليس ؟ .

عرفات على خطى السادات

في تقرير لوكالة فرانس برس بمناسبة مرور عشر سنوات على توقيع معاهدة كامب ديفيد في 26 مارس سنة 1979 م ونقلته جريدة الحياة يقول التقرير : « إن منظمة التحرير الفلسطينية قد تبنت عمليًا في الأشهر الخمسة الأخيرة المبادئ الثلاثة من أجل السلام في الشرق الأوسط ، التي حددها السادات في خطابه أمام الكنيست الإسرائيلي وهي : استبعاد فكرة الحرب كوسيلة لحل الصراع العربي ــ الإسرائيلي ، والاعتراف بوجود « إسرائيل » وقبولها في المنطقة في ظل سلام عادل ، وإبداء الاستعداد لتقديم الضمانات المطلوبة لتحقيق أمن « إسرائيل » على أن تكون هذه الضمانات متبادلة مع تأكيد ضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة كلها عام 1967 م بما في ذلك القدس الشرقية »[30] .

اتحاد فيدرالي إسرائيلي فلسطيني أردني

ومن جهة أخرى تحدث عرفات في مقابلة صحفية في شهر فبراير سنة

1978 م ، عن « إمكان قيام اتحاد فيدرالي اقتصادي بين الأردن وفلسطين ولبنان والأردن ، وأن منظمة التحرير الفلسطينية مستعدة لذلك »[31] .

وهذا العرض هو اقتراح هيس السابق مع تعديلات طفيفة في مشروعه مما يعني قبول عرفات به ، ولكن إعلانه سيكون خطوة خطوة حتى تتم تهيئة الرأي العام الفلسطيني لقبوله ، بالإضافة إلى جس النبض الجماهيري في كل خطوة حتى لا تكون نهاية عرفات ، ولا ندري لماذا يتكلم عن الأردن ولبنان ، هل أصبح هو المتحدث الرسمي لهما؟ ، وهل لديه توكيل منهما ؟ أم يتدخل في شئون وسيادة الآخرين كعادته ؟ نظن الأخيرة هي الصواب .

وتدخل تصريحات عرفات أيضًا في إطار سياسته الخاصة بهدم الحواجز النفسية بين المنظمة و « إسرائيل » ، واعتبر أحد المسئولين العرب المناهضين لسياسة عرفات أن « الحواجز النفسية » هذه تشكل خطًا دفاعيًا عربيًا مهمًا إن لم يكن الأهم أمام التفوق العسكري الإسرائيلي وأنه يجب المحافظة عليها وليس هدمها .

وأكد أبو علي مصطفى الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية وعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية أن اللقاءات مع الصهاينة تضر بالنضال الوطني مهما كانت العناوين التي تجري تحتها ، فالصراع العربي الإسرائيلي صراع مصيري ومثل هذه اللقاءات لاسيما التي تجري في الأرض المحتلة هي حلقة في المشروع الأمريكي الصهيوني الذي ينبغي حماية منظمة التحرير منه ، فالحوار عامل سلبي في استمرار الكفاح ولا يجدي مع صراع اجتماعي ممتد كالصراع العربي الإسرائيلي ، وأنه يهدف إلى تدمير المنظمة من الداخل .

وكتبت صحيفة العودة الأسبوعية تقول : إن الأحداث قد أثبتت أن الوقت لم يحن بعد لحوار بين الفلسطينيين والأوساط الإسرائيلية الرسمية ، فلقد أصبح كحقيقة ثابتة أن إجراء اتصالات أخرى مع شخصيات إسرائيلية كبيرة لن يفعل سوى خلق جدال لا داعي له وربما بث الفرقة بين الفلسطينيين ، وكانت المنظمة قد قررت عمل

الاتصالات من خلال عناصرها ومؤيديها في الأرض المحتلة مع الإسرائيليين .

ويمكننا القول إن فكرة الحوار مع القوى اليهودية التي ظهرت عام 1977 م وتدنت في المستوى والهدف والتنازلات أدت إلى تمزق الكيان الفلسطيني وخدمت الصهاينة دون أن تقدم أي فائدة تذكر للقضية الفلسطينية سوى فقه النفاق العالمي لعرفات الذي مازالت الولايات المتحدة ترفض حتى الآن منحه تأشيرة دخول لأرضها التي يعتبرها عرفات مقدسة ويسعى إليها بكل الطرق ويقدم التنازلات تلو التنازلات من أجل الرضا الأمريكي والإسرائيلي .

وفي عام 1989 م اختتمت القيادة الفلسطينية اجتماعاتها المكثفة في تونس في شهر سبتمبر وشارك فيها شخصيات من الضفة الغربية وأصدرت بيانًا يؤكد استعداد المنظمة للمشاركة في حوار مع « إسرائيل » في أية خطوات تحضيرية وتمهيدية لعقد المؤتمر الدولي ، وأن المنظمة تقبل هذا الحوار بحضور الدول الخمس الكبرى(32) .

والآن ، وبعد كل هذه الاتصالات والمواقف والتي بدأت قبل قيام السادات بزيارة « إسرائيل » ، واستمرت بعدها ، ماذا يمكننا أن نقول للسادات ؟ ، أقصد ماذا يمكن لعرفات أن يقول للرجل الذي وصفه بالخيانة ؟ هل يعتذر عن الشتائم والإهانات التي أطلقها ضده ؟ هل يعتذر للبنان التي دمرت من أجل ألا نفرط في القدس ولم تستسلم لـ « إسرائيل » ؟ على الأقل يجب على عرفات الاعتذار ورد الشرف للسادات قبل أن يواصل طريقه الذي كان قد بدأه عرفات قبل السادات وكان هو العامل المشجع له ، ولكن السادات كان أكثر شجاعة عندما تعامل علنًا ولم يكن جبانًا كعرفات الذي تعامل سرًا. منذ حرب أكتوبر ولم يتجاسر على العلنية إلا بعد تحطيم الحواجز التي قام بها السادات .

وهكذا نرى أن السادات وعرفات وجهان لعملة واحدة ، ولكننا نقدر في السادات شجاعته في الاعتراف وإعلان موقفه ونأخذ على عرفات خيانته ونفاقه وإن كنا نرفض الاثنين وخططهما لأنه ليس من حقهما التفريط في شبر من الأرض

الإسلامية ، وإن كان السادات قد نجح في إعادة سيناء إلى مصر فإن من المستحيل أن ينجح عرفات في استعادة بوصة من فلسطين بالكفاح السلمي ، ولذلك كانت الانتفاضة الفلسطينية هي الرد الشعبي على كل خطوات عرفات الاستسلامية .

مصادر الفصل الخامس

1 ــ جاد (عماد) : مرة أخرى الحوار الفلسطيني الإسرائيلي ، مجلة الموقف العربي ، شهرية ، العدد 94 / فبراير سنة 1988 م ، ص 29 .

2 ــ المصدر السابق .

3 ــ (قرشي إياد) ، أرشيف الاتصالات السرية بين منظمة التحرير واليسار الإسرائيلي ، مجلة العالم ، لندن 1 / 9 / 1984 م ، ص 61 .

4 ــ الدلالات السياسية لاغتيال محمود صالح ، عدد فبراير ، مارس 1977 ، شئون فلسطينية .

5 ــ أرشيف الاتصالات السرية ، مجلة العالم ، مصدر سابق ، 1 / 9 / 1984 م .

6 ــ كوانت (وليام) ، كامب ديفيد بعد 10 سنوات : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط أولى 1989 م ، ص 381 .

7 ــ العالم 1 / 9 / 1984 م ، مصدر سابق .

8 ــ المصدر السابق .

9 ــ الجزائري (سعيد) ، أوراق سرية ، مصدر سابق ، ص 174 - 175 .

10 ـــ الغالم 1 / 9 / 1984 م ، مصدر سابق ، قرشي (إياد) .

11 ـــ يديعوت أحرونوت ، 5 / 11 / 1976 م .

12 ـــ العالم 1 / 9 / 1984 م ، مصدر سابق ، قرش (إياد) .

13 ـــ جاد (عماد) ، مصدر سابق .

14 ـــ العالم ، 6 أكتوبر سنة 1984 م ، العدد 34 ، ص 60 .

15 ـــ الجزائري (سعيد) ، مصدر سابق ، ص 12 - 13 .

16 ـــ العالم ، العدد 34 الموافق 6 أكتوبر سنة 1984 م ، مصدر سابق ، ص 60 .

17 ـــ مجموعة من الصحف الإسرائيلية ، 2 / 1 / 1977 م .

18 ـــ العالم ، العدد 34 مصدر سابق ، ص 61 - 62 .

19 ـــ المصدر السابق .

20 ـــ المصدر السابق .

21 ـــ الجزائري ، مصدر سابق ، ص 59 - 60 .

22 ـــ العالم ، العدد 34 ص 64 .

23 ـــ المصدر السابق .

24 ـــ المسألة الإسرائيلية : الكريستيان ساينس مونيتور ، 14 يوليو سنة 1982 م .

25 ـــ فندلي (بول) من يجرؤ على الكلام ، بيروت ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، الطبعة الثانية سنة 1985 م ، ص 457 .

26 ـــ جاد (عماد) ، مصدر سابق ، ص 30 .

27 ـــ المصدر السابق ، ص 31 .

28 ـــ البيان الإماراتية ، 24 / 9 / 1989 م ، نقلاً عن النيوزويك .

29 ـــ المحرر ، 18 مارس سنة 1989 م ، باريس .

30 ، 31 ـــ تحليل الفرانس برس عن كامب ديفيد ، عرفات على خطى السادات ، الحياة اللندنية 28 / 3 / 1989 م .

32 ـــ جريدة القدس 15 / 9 / 1989 م ، لندن .

الفصل السادس

وكانت الانتفاضة
صفعة الشعب على وجه عرفات

الانتفاضة وثورة المساجد

من المؤكد أن الانتفاضة الفلسطينية المباركة التي اندلعت في فلسطين المحتلة في ديسمبر سنة 1987 م ، ومازالت مشتعلة حتى كتابة هذه السطور في ديسمبر سنة 1990 م قد أعادت القضية الفلسطينية إلى صدر الساحة الدولية بعدما قام ياسر عرفات بتجميدها في ثلاجات السياسة ، كما تعد هذه الانتفاضة أبرز الأحداث على الساحة العربية منذ أكتوبر سنة 1973 م ، فقد ظلت هذه الساحة تعاني من الركود فيما يتعلق بحركة العرب والفلسطينيين أنفسهم لما يقرب من 15 عامًا ، وكانت حركة الأحداث الخطيرة في العالم العربي إما ممثلة في عدوانيات « إسرائيل » مثل غزو لبنان والغارة على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس أو أمريكية أحيانًا مثل اختطاف الطائرة المصرية عام 1985 م .

وفي الحالات التي لا تأتي فيها الحركة من الخارج كان الأمر لا يعدو تناحرات داخلية دموية مثل الحرب الأهلية في لبنان أو الحرب الأهلية الفلسطينية في لبنان والتي انتهت بخروج ياسر عرفات وقواته منها .

ويمكن القول في النهاية إن الانتفاضة أول عمل عربي إيجابي خلال هذه الفترة وعناصر الإيجابية فيه متعددة أبرزها أنه عمل شعبي بعيد عن الحكومات والهيئات الشرعية الاستسلامية التي تحارب فقط بالبيانات والميكروفونات ، ورد عملي على

مخطط عرفات الاستسلامي ، كما نجح أطفال الحجارة في إسقاط كل النظريات الأمنية والاستراتيجية التي دبجتها القوى الإمبريالية العالمية لإدارة الصراع ، واستطاع أطفال وشباب فلسطين بأسلحة بدائية لا تزيد عن قطع الحجارة والأقمشة المشتعلة وكميات كبيرة من المسامير والمقاليع إذلال الآلة الحربية الصهيونية وإحراج القوات الفلسطينية العرفاتية التي ألقت أسلحتها وشهرت أسلحة المفاوضات والاتصالات السرية حتى ترضى « إسرائيل » عنهم وتعطف عليهم بقبول منح عرفات شرف الحديث أمام دهاقنة اليهود .

واحتار المراقبون والمحللون في تفسير تلك الظاهرة الجديدة التي أربكت حسابات القوى الإمبريالية والصهيونية وكيف استطاع الأطفال والصبية الصمود ومواصلة المواجهة طوال الأعوام الثلاثة الماضية ، بعدما استسلمت منظمة التحرير لإغراءات الحلول السهلة غير الممكنة ودخل ياسر عرفات في صحارى الحلول السرابية للهروب من الواقع .

والتفسير لا يحتاج إلى أدوات علمية وتحليلية ومنهجية صعبة لأننا لو استخدمناها فلن نصل إلى أي نتيجة مقنعة ، ولكن علينا بالتفسير الإسلامي للوصول إلى نتيجة محددة فالقاعدة الإيمانية هنا ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ وهذا ما فعله الفتية المؤمنون في فلسطين المحتلة ، التفوا حول القرآن وخرجوا من المساجد وقاد رجال الدين الإسلامي العاملون بعلمهم المظاهرات ، فمن مساجد فلسطين وبلال والشافعي واليرموك والكتبة وغيرها في جباليا وخان يونس ودير بلح ورفح والنصيرات ، ومن المسجد الأقصى الشريف ، انطلقت الانتفاضة ، واستمرت إدارتها عبر مكبرات الصوت وصلاة الجمعة التي كانت أشبه بمراكز التجمع والتوجيه ، ومنها يتلقى المجاهدون وأفراد كل الشعب الفلسطيني الأوامر والتعليمات ومنها تنطلق المظاهرات ، ومن على مآذنها يتردد هتاف الله أكبر ، لا إله إلا الله .. ومن على المنابر تتوالى التعليمات والنصائح .

والدليل على إسلامية الانتفاضة التي حاولت منظمة التحرير الفلسطينية السطو على مكاسبها والادعاء بأنها خلفها وتقوم بتوظيفها حاليًا للحصول على بعض الأهمية على الساحة الدولية وإثبات وجودها ، ما يقوم به العدو الصهيوني من اقتحام لكل المساجد التي تنطلق منها المظاهرات واعتقال أئمة وخطباء تلك المساجد ، « ففي خان يونس هدد الحاكم العسكري الشيخ محمود دحلان ومنع الخطيب مجدي عقيل من الخطبة في المسجد الشافعي واعتقل ، وفي المسجد الأقصى اتهمت السلطات الصهيونية الشيخ العلمي بأنه يحرض المصلين ضد قوات الاحتلال ، وكان صاحب الاتهام هو عمدة القدس إدوارد كوخ ، كما تم التحقيق مع خطيب مسجد القدس لأنه يوجه المتظاهرين عبر ميكروفونات المسجد وينادي بالجهاد وحدث نفس الشيء مع غالبية مساجد الضفة وغزة ، في منطقة النصر (مساجد الشيخ رضوان واليرموك وفلسطين) وفي مساجد جباليا مثل (الخلفاء والقطاطوة) التي خرجت منها المسيرات بالحجارة لرشق سيارات الجيب الإسرائيلية وظلت الطائرات الإسرائيلية تحوم فوق المنطقة ويتم تهديد خطباء المساجد كما حدث مع خطيب مسجد الفالوجا ، وفي منطقة الشجاعية كانت مساجد السلام والتوفيق والحكمة والسيد على محاور للمواجهة مع قوات الاحتلال التي تحولت لإطلاق الرصاص على المصلين بعد خروجهم من صلاة الجمعة خشية قذفهم بالحجارة على عادة المصلين فور خروجهم من المسجد حيث يصطفون في المسيرات والمظاهرات ويقذفون العدو بالحجارة ويرددون الأناشيد الإسلامية[1] .

حماس تقود الانتفاضة

وعندما اندلعت الانتفاضة في 8 ديسمبر سنة 1987 م من غزة وامتدت للضفة الغربية ، وظهرت على جدران المنازل شعارات حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ، عمد مسئولو بعض المنظمات الفلسطينية إلى تبني الثورة ، إلا أن حركة (حماس)

برهنت عمليًا على حجم قوتها في تحريك الانتفاضة بأن عمدت إلى تهدئتها والتوقف مؤقتًا في ذكرى انطلاقة فتح يوم 1 / 1 / 1988 م ، وبالفعل هدأت الانتفاضة لمدة يومين ليثبت الإسلاميون أنهم وقودها وقادتها وليست منظمة التحرير التي تدعي ذلك ، ثم عادوا لإشعالها من جديد ، والدليل على أن الإسلاميين وراء هذه الانتفاضة أنه عندما حانت ذكرى معركة الكرامة برهنت « حماس » على سيطرتها على الانتفاضة خصوصًا في غزة معقل الحركة حينما شلت الحياة في الأرض المحتلة استجابة للنداء الذي وجهته الحركة بالإضراب العام بعيدًا عن القيادة الموحدة للانتفاضة التي تشكلت بعد اندلاع الانتفاضة من أنصار منظمة التحرير الفلسطينية ، وتعمدت تجاهل دور حماس الذي قال عنه مراسل دير شبيجل الألمانية إن قاذفي الحجارة لا يعتبرون أنفسهم أداة في يد المنظمة أو يد دولة عربية ، بل يصنعون أقدارهم بأيديهم من منطلق الغضب واليأس من فشل المنظمة والعرب .

وإذا كانت (حماس) قد قبلت التنسيق مع القيادة الموحدة التابعة للمنظمة فيما بعد ، فإن هذا لا يعني أنها اندرجت في فرق المقاومة التابعة للمنظمة ، ولكنها فعلت ذلك للحفاظ على قوة الدفع للانتفاضة والتركيز على مواجهة « إسرائيل » ، وذلك انطلاقًا من المادة 36 من ميثاق حركة حماس التي تنص على احترام وتقدير الحركات الوطنية وغلق الباب في وجه الخلافات الجانبية .

حماس تهاجم مشاريع عرفات الاستسلامية

وليس معنى التنسيق وعدم فتح أبواب المواجهة مع فتح وعرفات وباقي القوى العلمانية الفلسطينية أن تصمت « حماس » على مؤامرات عرفات ورفاقه الذين يصدرون تصريحات تعتمد أسلوب المساومة السياسية بالإعلان عن استعداد المنظمة للاعتراف بـ « إسرائيل » والقبول بفكرة دولتين : فلسطينية علمانية يشارك فيها يهود يعارضون قيام دولة « إسرائيل » بجوار دولة فلسطينية ، وإعلان عرفات أنه سلم وثيقة

سلام للإسرائيلي « أيا نيتان » لإعلانها على الشعب الإسرائيلي وتتناول الاستعداد لقبول حق « إسرائيل » في الوجود داخل حدود آمنة والاستعداد للقاء أعضاء الحكومة الإسرائيلية دون شروط مسبقة لحل المشكلة الفلسطينية والإعلان عن وقف الأعمال الفدائية لمدة مائة يوم يرحب خلالها الشعب الفلسطيني بإجراء مباحثات والتحدث مع الإسرائيليين لإيجاد مناخ مناسب لإحلال السلام وإطلاق سراح المسجونين الإسرائيليين لدى المنظمة ، ثم دخول هاني الحسن مستشار عرفات ساحة الانتخابات الإسرائيلية لصالح بيريز (حزب العمل) ، وإعلانه ـــ ويا للكارثة ـــ أنه يبحث عن إصدار فتوى دينية تحث الفلسطينيين على إعطاء أصواتهم لمرشحين صهاينة .

وقد دفع كل ذلك الشيخ أحمد ياسين أبرز قياديي « حماس » إلى مهاجمة المنظمة ، وقال إن الحركة الإسلامية ستحل في نهاية الأمر محل القيادة العلمانية للمنظمة ، وأن الانتفاضة مازالت في بدايتها وليست في نهايتها (تصريح في أكتوبر سنة 1988 م) ، وأنه لا يرى إمكان تعايش دولتين إحداهما إسرائيلية والأخرى فلسطينية ، واتهم المنظمة بالخضوع لـ « إسرائيل » من منطق الضعف بتفكيرها في الاعتراف بالدولة اليهودية[2] .

ومن المعروف أنه تم فيما بعد اعتقال الشيخ أحمد ياسين حتى الآن وستتم محاكمته بتهمة قيادة الانتفاضة وتهديد الأمن القومي الصهيوني للخطر ، وهو رجل جاوز الستين من عمره ويعاني من مرض الشلل ومقعد على كرسي متحرك .

بيانات حماس قبل المنظمة

وإصدار البيانات الخاصة بالانتفاضة يؤكد بالدليل القاطع أن حماس كانت السابقة حيث ظهر أول بيان لها يوم 15 ديسمبر سنة 1987 م ، قبل بيانات القيادة الموحدة التابعة للمنظمة التي صدرت يوم 4 يناير سنة 1988 م ، وكانت بيانات

الأولى واضحة في رفض مشروعات السلام التي تسعى وراءها أمريكا لصالح « إسرائيل » ، ولذلك هاجمت البيانات الداعين لعقد المؤتمر الدولي واللاهثين وراء السلام الهزيل وأدانوا وثيقة بسام أبو شريف واعتبروها طعنة غادرة في ظهر الشعب الفلسطيني .

« إسرائيل » تعترف بخطورة حماس

وقال تحليل أكاديمي إسرائيلي كتبه أحد الباحثين بمركز ديان للبحوث بجامعة تل أبيب ونشرته صحيفة ، جيروزاليم بوست الإسرائيلية إن هناك اعترافًا إسرائيليًا بالدور الرئيسي الذي تلعبه حركة المقاومة الإسلامية « حماس » ومنظمة الجهاد الإسلامي في الانتفاضة الفلسطينية وكذلك قوة الأصولية الإسلامية داخل « إسرائيل » كما أظهرت الانتخابات البلدية الإسرائيلية ، وفي معرض سرده لنشاطات الحركة الإسلامية داخل فلسطين سنة 1948 م قال التقرير إن الإقبال زاد على حضور دروس العلم في المساجد وبدأ الشباب إطلاق لحاهم وقام الأتباع بقيادة حملات من أجل استئصال عادة تناول المشروبات الكحولية في المناطق الريفية ، وقد صوتوا لصالح ارتداء الطالبات للزي الإسلامي بالإقناع وفتح العيادات والمكتبات لمعاونة كبار السن وإنشاء أندية رياضية ودوري كروي إسلامي حيث يرتدي اللاعبون الشورتات الطويلة ويبدأون كل مباراة بالصلاة وهتاف الله أكبر ، وجاء في ختام التحليل أن محاولات دفع العرب الإسرائيليين على ترك الأصولية الإسلامية لن يلتفت إليها على ما يبدو من جانبهم[3] .

وهكذا نرى أن المخاطر الحالية التي تواجه « إسرائيل » تأتي من الحركة الإسلامية وليست من ياسر عرفات مما يعني أنه فقد سيطرته على أرض العمليات .

ويعترف الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس أن الانتفاضة كانت نتيجة

لانتظار طال حوالي 20 عامًا حتى تتحرك الدول العربية وتتذكر القضية الفلسطينية ، وعندما يئست منها كانت الانتفاضة التي تسير معتمدة على الله وعلى نفسها فقط وستستمر على هذا النهج حتى نصر الله وللمحافظة على قدسية مسجدنا .

وحول مدى تأثير حماس في الانتفاضة يقول الشيخ العلمي إن حركة حماس الإسلامية لعبت دورًا أساسيًا لإنجاح الانتفاضة حيث قدمت أكبر عدد من الشهداء ولكن الشعب الفلسطيني كله يشارك في الانتفاضة ونجاحها[4] .

وهكذا نجد أن حماس هي المحرك الأساسي للانتفاضة تدعمها الجماهير الفلسطينية وتحاول المنظمة الاستفادة من بعض المشاركين من اتباعها داخل الأرض المحتلة لإعطاء إيحاء لدول العالم أنها مسئولة عن الانتفاضة .

بطاقة تعريف بحماس .

« حماس » حركة إسلامية شعبية جهادية هدفها العام التحرير الشامل والكامل لفلسطين وإقامة حكم الله فيها ، فهي إسلامية لأنها تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها ومنهاج عملها من دين الإسلام الخالد ، وهي شعبية لأنها تقبل في صفوفها كل من أراد العمل لتحرير فلسطين ملتزمًا بالمنهج الإسلامي من الفلسطينيين خاصة ومن العرب والمسلمين عامة ، وهي جهادية لأنها تعتقد أن الجهاد هو الوسيلة الرئيسية لتحرير فلسطين وإعادة عز ومجد الأمة الإسلامية وبواسطته يتم تفصيل بقية الوسائل وإمدادها بنبض الحياة .

ومن حيث الاسم والشكل فإن « حماس » جديدة على سامة العمل الفلسطيني إذ كان مولدها قبل تفجير الانتفاضة المباركة بفترة وجيزة ، أما من حيث الحقيقة والمضمون فيمكن اعتبار « حماس » من أقدم الحركات الفاعلة على الساحة الفلسطينية إذ تعتبر « حماس » نفسها امتدادًا طبيعيًا لكل الحركات الإسلامية التي سبقتها ورفعت

المصحف في يد والبندقية في اليد الأخرى للذود عن أرض فلسطين المقدسة مثل حركة القسام ومجموعات الشهيد أحمد عبد العزيز الفدائية وكتائب الإخوان المسلمين عام 1948 م وقواعد الشيوخ عام 1968 - 1970 م ونشطاء الحركة الإسلامية داخل فلسطين الذين هيأوا الشعب ومهدوا لاندلاع الانتفاضة .

القضية الفلسطينية من منظور حماس

وترى « حماس » أن معادلة الصراع في القضية الفلسطينية بعمومها هي صورة من صور الصراع بين الحق والباطل ، وتضم جبهة الباطل قوى عديدة تقف في طليعتها عصابات الاحتلال الصهيوني التي تسعى لتكريس احتلالها لفلسطين كي تنطلق منها لتحقيق حلمها الكبير في إقامة « دولة إسرائيل العظمى » بين الفرات والنيل .

وتعتمد « إسرائيل » في تنفيذها لهذا البرنامج العدواني على قوى الاستعمار العالمية .

وسائل حماس لتحقيق أهدافها

تتضمن الوسائل والأساليب التي تعتمدها حماس للوصول إلى هدفها النهائي جميع ما تجيزه الشريعة الإسلامية وما تترجح به المصلحة أو تفرضه الضرورة من الفعاليات المؤدية إلى بناء الذات ، وإضعاف الخصم عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا باستخدام كل الأدوات المتاحة ، ويأتي الجهاد في سبيل الله على رأس هذه الوسائل وفي مقدمتها ، ويأتي العمل السياسي كرديف مساعد للعمل الجهادي.

إن الكيان الصهيوني في فلسطين ككيان مصطنع يعج بالمتناقضات ويمتلىء بالقنابل الموقوتة ، كما أن قوة هذا الكيان غير ذاتية ﴿ **ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس** ﴾ في حين يمثل العالم الإسلامي قوة مستقبلية واعدة

ذات مقومات مادية ضخمة ولكنها مشتتة .

اليهودية والصهيونية في فكر حماس

تنطلق حركة المقاومة الإسلامية حماس في نظرتها لليهود من مفاهيمها الإسلامية الواضحة غير عابئة بالإرهاب الفكري الذي تمارسه مؤسسات اليهودية العالمية ضد مناوئيها تحت شعار معاداة السامية ، إذ قدر للعالم أجمع أن يعي حقيقة اليهود وطبيعة فكرهم العنصري والعدواني ، ورغم المعاناة الشديدة التي عاناها العالم ، ومازال يعاني من هذا المكر وهذا التسلط ، فإنه قلما تجد أحدًا من الخاصة أو العامة من الدول الكبرى أو الصغرى يتطوع للكشف عن انحرافاتهم وعنصريتهم ومرد ذلك بالطبع إلى الإرهاب الفكري الذي سبقت الإشارة إليه .

وحركة المقاومة الإسلامية إذ تبين للناس هذه الخلفية الفكرية والاعتقاد لليهود فإنها في الوقت نفسه تفرق بين اليهودية كدين محرف تعج أدبيات أتباعه فيه بالعنصرية والعدوان على الآخرين عمومًا والتحريض على اغتصاب فلسطين خصوصًا تحت شعار أرض الميعاد والوعد المزعوم من الرب لهم بالاستيلاء عليها وبين الصهيونية التي تمثل الكيان العضوي المنفعل مع الفكر العدواني اليهودي والمسئول عن ترجمة هذا الفكر إلى واقع عدواني ملموس على أرضنا المغتصبة في فلسطين ، ويترتب على هذا الفرق بين اليهودية والصهيونية فرق رئيسي بين اليهودي الصهيوني واليهودي غير الصهيوني .

موقف حماس من الديانات

بما أن الشريعة الإسلامية في جوهرها تأمر بفضائل الأعمال كالعدل والإحسان وتنهى عن خبائث الأعمال كالقتل والظلم والعدوان فإنها بذلك تكون أقرب إلى أهل الأديان السماوية من أي قانون وضعي لا ديني .

ورغم أن قواعد الفقه الإسلامي لا تفرق في المعاملات بين اليهود والنصارى وتعتبرهم جميعًا أهل كتاب ، فإن تطبيق هذه القواعد على واقع الحال في فلسطين يقتضي بالضرورة إلى التفريق بينهما ، فاليهود بمجملهم في فلسطين غزاة محتلون وهم مادة الاحتلال وأداته ، وبذلك فهم — إلى أن يثبت العكس من بعضهم — أعداء محاربون ونعاملهم على هذا الأساس ليس لاختلاف دينهم وإنما لطبيعة موقفهم منا .

أما النصارى من أهل فلسطين فهم شركاؤنا في الوطن وجيراننا في السكن وقد تضرروا من الاحتلال مثلنا ، لذلك فإن الحركة وهي تخوض حربها مع عدوها فإنها تسعى لتخليص النصارى والمسلمين على السواء من أسر الاحتلال وذله .

حجم وإنجازات حماس

هناك العديد من المؤشرات التي تثبت اتساع انتشار الحركة الإسلامية داخل فلسطين وخارجها ، وانحسار الكثير من القوى الأخرى .

فلو أخذنا شريحة الطلبة الجامعيين في الجامعات الفلسطينية كمقياس لحجم وجود كل تنظيم ، فمن استعراضنا لنتائج انتخابات مجالس الطلاب في الجامعات الفلسطينية بالداخل وقبل بدء الانتفاضة نجد أن الكتلة الإسلامية كانت تحصل في بعض الجامعات على الأغلبية المطلقة من عدد الأصوات بينما تحصل على حوالي النصف في بقية الجامعات ، وهذا يدل على أن حجم الوجود الشعبي للحركة الإسلامية مكافئ على أقل تقدير للوجود الشعبي للتنظيمات الأخرى مجتمعة في حين نجد أن مثل هذا الوجود الضخم للحركة الإسلامية لا يجد من يمثله في موقع اتخاذ القرار في المنظمة .

وهناك مؤشر آخر على الوجود الضخم للحركة الإسلامية في الساحة الفلسطينية وهو نتائج الانتخابات البرلمانية الأردنية ، فكما هو معلوم فإن الفلسطينيين في الأردن لا يشكلون نسبة كبيرة من مجموع السكان حتى الشرق أردنيون أنفسهم فإنهم

يعتبرون أكثر شعوب المنطقة قربًا من الفلسطينيين ، وأي تحول عندهم يمكن إسقاطه بالضرورة على الفلسطينيين وقد أبرزت الانتخابات الأردنية رجحان كفة الحركة الإسلامية بشكل كبير ، ويجب ألا ننظر إلى نسبة نجاح الإسلاميين على أنها 35 ٪ وهي نسبة المقاعد التي حصلوا عليها إلى عدد المقاعد الكلي ، وإنما ينظر لها كنسبة 80 ٪ وهي نسبة فوز من ترشح من الإسلاميين وهي تعادل عشرة أضعاف فوز من ترشح من غيرهم .

إنجازات حماس

لقد كتب الكثيرون وتحدثوا عن إنجازات الانتفاضة ، ولعل مثل هذه الإنجازات من الكثرة بحيث يصعب حصرها ، ولكن نقتصر على ذكر أهمها وأبرزها وهي :

ـــ إحياء الروح الجهادية لدى الشعب الفلسطيني خاصة والشعوب العربية والإسلامية عامة بل إن الانتفاضة أصبحت على المستوى العالمي نموذجًا بارزًا لكل الشعوب الساعية لنيل حريتها واستقلالها وحقوقها ، فهي أطول ثورة شعبية في تاريخ البشرية .

وبهذه الروح الجهادية يمكن تعبئة الأمة وإعداها لصنع النصر المؤزر بإذن الله .

ـــ إيقاع الخسائر المادية والمعنوية الكبيرة في العدو الصهيوني ، بالإضافة إلى الانقسامات الخطيرة التي أحدثتها الانتفاضة في صفوف العدو .

ـــ كشف وحشية وإجرام وهمجية العدو الصهيوني للعالم أجمع ، وهذا سيكون ذا أثر مهم بإذن الله في قطع المساعدة العالمية كما سبق أن أشرنا والتي هي إما بحبل من الله أو بحبل من الناس كما في الآية الكريمة .

رأي حماس في استخدام القوة

لا يختلف أحد فيما نعلم في أن الحجر وحده لن يحرر البلاد رغم أن مفعوله

وأثره كان أكبر من كل توقع ولابد بإذن الله أن يأتي الوقت الذي يدخل معركة المواجهة مع العدو ، ليس الرشاش والقنبلة فحسب ، بل الطائرة والصاروخ ، وهذا هو منطق التفاهم الحقيقي مع العدو الصهيوني ، إلا أنه يجب التنبيه إلى أن الانتفاضة بفعاليتها الشعبية يجب ألا تلجأ لاستخدام السلاح لأن ذلك قد يعطي الفرصة للعدو لسحقها وإيقاع خسائر هائلة في أرواح أبناء شعبنا ، أما السلاح فلا بد أن يتم استخدامه بمعزل عن فعاليات الانتفاضة ونشاطاتها ، وذلك من خلال عمليات نوعية مميزة وبخط مواز لخط الانتفاضة دون أن يتقاطع معه[5] .

الجهاد الإسلامي

وبالإضافة إلى حركة حماس التي تعتبر المحرك الأساسي للانتفاضة الفلسطينية ، والتي سحبت البساط من تحت قدمي ياسر عرفات ومنظمته الرسمية ، هناك قوى إسلامية أخرى تتحرك على الساحة الفلسطينية لتشكل البديل الشعبي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومن أهم تلك القوى « الجهاد الإسلامي » ومن قادته عبد العزيز عودة ، وفتحي الشقاقي ، وقد ولدت هذ الحركة في قطاع غزة أيضًا وفي الجامعة الإسلامية بالذات ، ثم انتشر نشاطها وتنظيمها ، شأن « حماس » في مناطق أخرى ، والتي قامت بعمليات كان لبعضها من الضجيج الإعلامي ما ذكّر بتكتيك الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات ، وهي ذات ارتباطات تختلف تقديرات مداها وحقيقتها بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، ناهيك عن علاقات تنسيق مع سوريا وليبيا وإيران ، وتتميز عن « حماس » بكونها أقل تقليدية ، وهناك حركة الجهاد الإسلامي ــ بيت المقدس ، التي أعلن الشيخ أسعد بيوض التميمي ، أخيرًا ، أنه يقودها ، والتي يتركز نشاطها في بعض مناطق جنوب الضفة الغربية والأردن ، وهي ذات صلة وثيقة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية[6] .

ويقول الشيخ عبد العزيز عودة ــ أحد قادة العمل الإسلامي في فلسطين المحتلة وإمام وخطيب مسجد عز الدين القسام ، والأستاذ بالجامعة الإسلامية في غزة والذي اتهمته إسرائيل بأنه الأب الروحي لإحدى الفصائل المفجرة للانتفاضة (الجهاد الإسلامي) ، وسارعت لإبعاده عن فلسطين المحتلة فكان أول المبعدين ــ يقول في الإجابة عن سؤال حول مصداقية القول بأن الانتفاضة كانت إسلامية التفجير ولكنها كانت علمانية الاستثمار : ربما لعب الضرب المبكر لحركة الجهاد الإسلامي وإبعاد قياداتها دورًا في استثمار الآخرين لهذا التفجير ، وربما كان لعدم نجاح القوى الإسلامية في توحيد صفوفها وتقديم برنامج سياسي واضح ومحدد دور أيضًا ، في الجانب الآخر فإن الإمكانات المادية والإعلامية لقيادة منظمة التحرير ساعدت فعلاً في أن يركب الآخرون هذه الموجة ، بل وأن يستثمروها في المحافل الدولية ويستخدموها كورقة ضغط للحصول على مكاسب آنية ، هذا الوضع كان في البدايات الأولى للانتفاضة ، الآن بالعكس ، استأنفت القوى الإسلامية دورها بجدية واستأنفت إصدار بياناتها وخطابها للناس .

وحول العلاقة بين حركة الجهاد الإسلامي وحركة المقاومة الإسلامية « حماس » ، يقول : يجب أن نعرف أن المسلمين يتكاملون ، أي يكمل بعضهم بعضًا ، وإنني أتمنى على الله سبحانه وتعالى أن تسود هذه الروح بين جميع المسلمين ، وفي هذه المرحلة الصعبة التي تتطلب منا جميعًا التفكير في الهم الأكبر في حياتنا ، ونحن في هذا الزمن الذي وجدنا فيه كحركة نتجاوز الأطر الضيقة والصغيرة ، ونفكر تفكيرًا أكثر شمولية وأكثر اتساعًا ، خط الجهاد الإسلامي لا يزاحم أحدًا ، لكنه جاد في سياق التنافس على الخير وسد فراغًا كبيرًا كانت تعانيه الساحة الفلسطينية والإسلامية ، جاء في سياق الربط بين هذين البعدين ، وبالتالي « فالجهاد » تكمل « حماس » والمفترض أن يكون العكس كذلك .

وعن رأيه في المسيرة السلمية التي يتبناها ياسر عرفات يقول : المسيرة السلمية لا علاقة لها بالانتفاضة ، وكل جهة تخرج من خط مخالف للجهة الأخرى ،

فالانتفاضة ناشئة من سياق مواصلة الجهاد ، أما المشروع السائد الآن فيأتي في سياق المشروع السياسي والحوار السلمي ، فالطريقان مختلفان ، أما هل يؤثر المسار السلمي لمنظمة التحرير على مسار الانتفاضة ؟ ، فنحن نشك في ذلك لأن الناس لديهم إرادة كبيرة وإصرار عظيم على مواصلة القتال والمواجهة والمطالبة بالحقوق(7) .

قوى إسلامية أخرى

وبالإضافة إلى « حماس » والجهاد الإسلامي ، هناك قوى إسلامية أخرى شاركت في الانتفاضة هي : « الميثاق » وهي حركة تدعو إلى توحيد القوى الوطنية والقومية والدينية على قاعدة الانتماء العقدي الحضاري منطلقة من تحليل علمي للصراع باعتباره صراعًا حضاريًا شاملاً مضيريًا ، تتجدد عبر الطرف الصهيوني فيه روح وأهداف الغزوات الصليبية التي اجتاحت المنطقة بما يستدعي استجابة في مستوى الشمول وجدية التحدي كما تركز على وحدة فلسطين أرضًا وشعبًا وقضية بما أفسح المجال لمشاركة مسيحية فيها دون حساسية من قاعدتها الإسلامية .

« حزب الله » أعلن عن قيامه في نهاية سنة 1980 م ، ولكن لم يسمع عن نشاط مميز له .

« الحركة الإسلامية » ويقودها الشيخ عبد الله درويش ونشاطها في كفر قاسم .

« حركة الشباب المسلم » وهي امتداد للإخوان المسلمين شأن « حماس » ، ويتركز وجودها في المثلث(8) .

الشيخ أحمد ياسين يحاكم سجانيه

وقبل أن نختتم حديثنا عن الحركة الإسلامية في فلسطين ودورها في تفجير الانتفاضة الفلسطينية سنلقي الضوء على محاكمة العالم المجاهد الشيخ أحمد ياسين الذي

كانت السلطات الإسرائيلية قد اعتقلته ووجهت إليه 15 اتهامًا حول قيادته لانتفاضة الشعب الفلسطيني ، ففي يوم 4 يناير سنة 1990 م كانت الجلسة الأولى لمحاكمته ، ومن التهم التي وجهت إليه انتماؤه لمنظمة غير مشروعة ، والمقصود بذلك حركة حماس ، وأنه قام بتحويل مبلغ 600 ألف دولار لصالح الانتفاضة وحرض على قتل جنود إسرائيليين وبعض العملاء المتعاونين مع جنود الاحتلال ، ولم ينكر الشيخ ياسين التهمة الأولى واعتبر أن الواجب المقدس لكل مسلم هو مقاتلة الاحتلال الأجنبي .

وفي مقابلة تلفزيونية أجرتها القناة العربية في التليفزيون الإسرائيلي يوم 23 سبتمبر سنة 1989 م قال الشيخ ياسين : إن حركة حماس تأسست في بداية الانتفاضة في ديسمبر سنة 1989 م وإنها حركة سياسية ذات جناحين أحدهما عسكري ويسمى « المجاهدون الفلسطينيون » ومهمته مقاومة الاحتلال ، والجناح الآخر أمني واسمه « مجد » ومهمته مواجهة الفساد في البلد .

وكان قد تم اعتقال الشيخ ياسين في 20 مايو سنة 1989 م ومعه 200 مواطن فلسطيني ، واعتبرت السلطات الإسرائيلية آنذاك أن المنظمات الإسلامية مثل « حماس » و « الجهاد » هي منظمات إرهابية ، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يعتقل فيها الشيخ ياسين ، فقد سبق أن زجت به السلطات الإسرائيلية في السجن عام 1983 م بتهمة العمل على تدمير دولة إسرائيل ، وحكم عليه بالسجن لمدة 13 عامًا لم يقض منها سوى 11 شهرًا حيث تم الإفراج عنه في إطار عملية تبادل أسرى بين إسرائيل وبعض فصائل منظمة التحرير .

وقد مارس مهمته الدينية والتعبوية بشكل واسع وذلك من خلال مشاريعه في تطوير العمل الإسلامي ، وقد كثف تحركه منذ اندلاع الانتفاضة ، وكان له مواقف مشهودة في هذا المجال حيث أكد أن الانتفاضة ستستمر ، وأنهم سيتابعون النضال والله وحده يعلم كم سيستغرق هذا الجهاد ، كما أظهر حرصه على وحدة الموقف الفلسطيني وصور الصلة بين حماس والقيادة الموحدة للانتفاضة بقوله : « إنهما

منظمتان ، ولكن العدو واحد ، وهذا بحد ذاته يوحدنا »[9] .

الإســلام هو الحـل

وإذا كانت الانتفاضة قد قزمت ياسر عرفات ومنظمته ، فإن الانتخابات البلدية التي تمت في الأراضي المحتلة عام 1989 م تؤكد اتساع نفوذ الحركة الإسلامية على الساحة الفلسطينية حيث حققت الحركة في فلسطين المحتلة عام 1948 م ، انتصارًا باهرًا في الانتخابات البلدية التي تمت خلال شهر مارس سنة 1989 م فقد فازت في 5 مدن وقرى عربية هي مدن الناصرة 5 مقاعد ، وأم الفحم 12 مقعدًا ، بالإضافة إلى كفر قاسم وجلجولة وراحات .

ويعتبر هذا الفوز ضربة قوية للحزب الشيوعي الإسرائيلي وللأحزاب التقدمية للسلام ، والتي يتزعمها نواب عرب إسرائيليون تدعمهم منظمة التحرير الفلسطينية مما يعني سحب البساط من تحت قدميها داخل الأرض المحتلة .

ففي مدينة أم الفحم ثانية كبريات المدن العربية في فلسطين المحتلة تمكنت الحركة الإسلامية من الفوز بغالبية المقاعد البالغ عددها 16 مقعدًا ، وأطاحت برئيس البلدية هاشم محمد ، ونائبه يونس جابر (من الحزب الشيوعي) ليفوز مرشح الحركة الإسلامية رائد محاجنه برئاسة بلدية أم الفحم ، وفي مدينة الناصرة معقل الحزب الشيوعي تمكنت الحركة الإسلامية من انتزاع ستة مقاعد في مجلس المدينة لأول مرة ، وفي قرية كفر قاسم ، مسقط رأس الشيخ عبد الله درويش زعيم الحركة الإسلامية بين عرب 1948 م الذي سجن في السبعينيات بسبب اشتراكه في تشكيل جماعة إسلامية سرية ، حققت الحركة الإسلامية إنجازًا كبيرًا بالحصول على 9 مقاعد .

وكذلك فاز مرشح الحركة في قرية راهط ، وهي أكبر القرى العربية في منطقة النقب بجنوب فلسطين ، برئاسة مجلس القرية وسط بروز واضح للتيار الإسلامي

في معظم قرى المثلث الذي ضمن السيطرة على تلك المجالس بشكل واضح ، وإزاحة الحزب الشيوعي الإسرائيلي ، مما يعني أن الشعب الفلسطيني المحتل منذ عام 1948 م يرفض استيعابه داخل المجتمع الصهيوني ، وهو ما تدعو إليه الأحزاب الأممية بتذويب العرب والمسلمين في الكيان الصهيوني ، فالصهاينة كانوا يعتمدون على الحزب الشيوعي والقوائم العربية اليسارية التابعة للأحزاب الإسرائيلية في سيطرتهم على المجالس البلدية العربية ، فالشعب الفلسطيني أصبح يتطلع إلى التحرير الوطني على يد الحركة الإسلامية التي قال عنها مواطن فلسطيني من أم الفحم إنها تريد أن تعيد الناس إلى البيئة الإسلامية أولاً ، ثم تسيطر على التعليم وعلى الخدمات ثم تحول طاقاتهم نحو التحرير الوطني ، وقد صوت 70 ٪ من سكان أم الفحم للإسلام ، كما صرح بذلك هاشم عبد الرحمن المتحدث باسم الحركة الإسلامية .

وقد شاركت الحركة الإسلامية في الانتخابات البلدية للمرة الثانية بعد نجاح تجربتها في الانتخابات الماضية وفوزها في مدينة « كفربرا » كما شوهدت ولأول مرة هذا العام بين عرب سنة 1948 م الأعلام الإسلامية الخضراء ترفرف على السيارات وشعارات « الإسلام هو الحل » يزين جدران المنازل ، وهو نفس الشعار الذي رفعه التحالف الإسلامي في مصر في انتخابات مجلس الشعب .

وأكد الخطاب السياسي للحركة أنها « الصوت الأصيل المعبر عن تاريخنا وحضارتنا العملاقة وعن عقيدنا الإيمانية الصافية وقوميتنا الأصلية ووطنيتنا الشريفة ، وهي الأرض والمنهاج والإنسان ، فالأرض جسمها وشعارها هو الإسلام هو الحل وهي تهدف لنشر الوعي الإسلامي وإيقاظ الروح الإسلامية بين عرب سنة 1948 م الذين غلبهم نعاس الجنسية الإسرائيلية » .

وأشارت القاعدة الرابعة في بيان الحركة الانتخابي الذي يرمز له بالآية القرآنية « يس » إلى أن قضية شعبنا العربي الفلسطيني تمثل « لب الصراع في الشرق الأوسط » وأنه من أجل ذلك فلابد أن تأخذ قضية الشعب العربي الفلسطيني حظها

من اهتمام الشعوب العالمية والإسلامية والعربية ، بما يضمن للشعب العربي الفلسطيني إقامة دولته المستقلة على تراب وطنه الغالي .

وإذا كانت هناك بعض الصياغات غير الواضحة في برنامج الحركة ، فذلك لأنها تتصرف حسب ظروفها في ظل الاحتلال وأوضاعها كحركة إسلامية في مجتمع صهيوني ، والقاعدة التاسعة في بيان الحركة تؤكد أن حماية سفينة الدعوة الإيمانية والحركة الإسلامية من الأعاصير العاتية المحيطة بها حتى تصل إلى شواطئ الأمان ولو بأقل من المطلوب من الصيد الحلال أفضل ألف مرة من ملئها بالصيد العاجل الكثير وبقائها بين أخطار الغرق والإغراق أو بين أخطار التحطيم والدمار فنخسر السفينة والصيد معًا .

وقد وصف أحد أعضاء الكنيست الإسرائيلي ، هذا الفوز بأنه « خلق دائرة من التطرف » ودعا شامير لمواجهة التيار الإسلامي الذي خاض تلك الانتخابات لأنه جماعة خارجة عن القانون أشارت ضمنيًا في بياناتها الانتخابية لعدم الاعتراف بوجود « إسرائيل » .

جدير بالذكر أن نجاح الحركة الإسلامية في الانتخابات المحلية يفتح أمامها الطريق للاشتراك في الانتخابات العامة الإسرائيلية ، بل والفوز بثلاثة مقاعد في الكنيست بأصوات الناخبين المسلمين(10) .

مواجهة الانتفاضة والمد الإسلامي

لا شك أن الانتفاضة التي اجتاحت الأراضي المحتلة والتي لاتزال مستمرة في عطاءاتها ، وإبداعاتها ، بعد أن أنجزت ثلاثة أعوام من الجهاد والصبر والتحدي ، لا شك أن هذه الانتفاضة لم تكن أمرًا عاديًا ولا حدثًا طارئًا يمكن المرور عليه مرور الكرام ، بل كانت بمثابة الحدث الأبرز في العالم والشغل الشاغل لكل الأطراف

المحلية والإقليمية والدولية ، فالانتفاضة أعادت القضية الفلسطينية إلى بدايتها وبواسطتها أعيد الاعتبار للتاريخ العربي والإسلامي معًا ، بحيث عاد معها التاريخ ليتقدم على السياسة ، إذا لم نقل إنه عاد ليصنعها بدلاً من أن تصنعه .

وإن أبرز انتصار تمكنت الانتفاضة المباركة في الأرض المحتلة من تحقيقه ، هو في كونها تمكنت أولاً من تحييد آلة الحرب الصهيونية القوية ، ومن فرض ميدان جديد وأصول جديدة لحرب لم يكن الصهاينة يتوقعونها ، أو أنهم كانوا يخشون بروزها على السطح في قرارة أنفسهم ، وهي الحرب الأخلاقية ، أي بتعبير آخر حرب القيم العليا في وجه القيم السفلى ، قيم الحق والقانون والعدالة والإنسانية في وجه قيم الظلم والجور والاحتيال وتجاوز القوانين والأعراف الدولية التي كرست إثر حربين عالميتين مدمرتين قضتا على الملايين[11] .

كما تمكنت الانتفاضة من تقزيم منظمة التحرير الفلسطينية ورئيسها ياسر عرفات وأثبت أبطال الحجارة أنهم أقوى من الآلة العسكرية الفلسطينية التي يملكها عرفات وعصبته ، لذلك كان لابد من القضاء عليها وتساوت هذه الرغبة لدى « إسرائيل » والمنظمة على السواء لأن الانتفاضة قد كشفت القناع عنهما معًا .

وقررت « إسرائيل » مواجهة الانتفاضة عسكريًا بكل الوسائل واستخدمت كل الأساليب العنيفة ، إلا أن أطفال الحجارة مازالوا صامدين حتى الآن رغم آلاف الشهداء وعشرات الآلاف من المعتقلين يواجهون كل يوم الآلة العسكرية الضخمة دون تراجع أو خوف .

أما قيادة منظمة التحرير الفلسطينية فقد قررت الاستفادة من الانتفاضة وتوظيفها لصالحها وتفريغها من محتواها النضالي حيث استهدفت إدخال اليأس إلى الشعب الفلسطيني بتقديمها التنازلات تلو التنازلات .

وأول تحرك سياسي لعرفات لمواجهة الانتفاضة الإسلامية كان بعقد المؤتمر الخامس لفتح ، بعد مدة طويلة من تجميد هذه المؤتمرات ، في محاولة منه للضغط

على أمريكا بأن فتح مازالت موجودة ويمكنها الانضمام عمليًا إلى الانتفاضة ، وذلك بعد أن أعلن جون كيلي أمام أعضاء الكونجرس الأمريكي بأنه يستعمل المنظمة من أجل الوصول إلى عقد الانتخابات في الأرض المحتلة .

وقد رد عرفات على هذا التوجه الأمريكي الذي أنهى أحلامه بالتفاوض مع أسياده ، باتهامه للولايات المتحدة بإطالة الحوار وكسب الوقت دون تقدم ولإعطاء شامير الضوء الأخضر لقمع الانتفاضة وأضاف وهو يلوح صراحة إلى أن هذا الاتهام صريح للإدارة الأمريكية أنهم (أي الأمريكان) أعطوا شامير وشارون الضوء الأخضر أن ينهيا الانتفاضة حتى نهاية عام 1989 م ، وأعلن أبو إياد تصريحات أخرى وحذر مرة أخرى من بروز التيارات « المتطرفة » يقصد الإسلامية ، وكان من قبل قد اتهم « المتطرفين الأصوليين » أي الإسلاميين ، وأضاف قائلاً : إننا أصبحنا نفقد أية حجة لإقناع هذه التيارات المتطرفة بأننا أنجزنا شيئًا ! وألمح إلى أن مؤتمر فتح سوف يعيد الحسابات جيدًا ، وتنطلق انطلاقة جديدة في التعامل مع أمريكا ومع « إسرائيل » حيث اعترف بالدور الأمريكي وصدق على مقولة أن التيار الإسرائيلي الذي يؤيد السلام محدود والتيار الحاكم المتعصب نوع منه صريح ووقح مثل شامير وشارون ، ونوع آخر دبلوماسي مثل بيريز ، ولكن جوهرهما وموقفهما واحد[12] .

والحقيقة أنه منذ طرح شامير مبادرته للسلام القائمة على إجراء انتخابات في الضفة وغزة والحركة الإسلامية (حماس والجهاد وغيرهما) تعارض هذه الحملة وترى أنها متاهات وشراك من السياسة الأمريكية الرامية للتنازل الكامل عن حقوق الفلسطينيين ، ولذلك لم يعيروها التفاتًا واستمروا في جهادهم ، ويعبر عن ذلك الشيخ سعد الدين العلمي : إننا قمنا بالانتفاضة يأسًا من الأوضاع المتردية على الصعيدين العربي والإسلامي ولا ننتظر مساعدة من أحد وسنأكل القديد ونمشي عرايا حتى يخرج اليهود من أرضنا .

وثيقة من حماس لمؤتمر فتح

وكما كان متوقعًا ، عقد المؤتمر الخامس لحركة فتح وانفض دون تغيير يذكر في الاستراتيجية التي تبنتها المنظمة والقائمة على ما يسمى بالمنهج السياسي المعتدل والذي هو في حقيقته تقديم التنازلات لصالح استمرار الحوار الأمريكي الفلسطيني الذي بدأ بعد اندلاع الانتفاضة في محاولة لمحاصرتها ، وتبني فكرة التعايش السلمي بين « إسرائيل » والدويلة الفلسطينية المقترحة ، فالمؤتمر لم يكن أكثر من محاولة لضخ الدم في هياكل الحركة الآسنة والضغط على أمريكا لتقديم بعض المكاسب للحركة. حتى لا تفقد دورها بشكل نهائي على الساحة الفلسطينية لأنه من غير المنطقي أن تكون التنازلات بدون مكاسب مما يفقد « فتح » و « المنظمة » مصداقيتها أمام الرأي العام الفلسطيني ، وبالتالي اختيار حماس بديلاً لقيادة الشعب وهو ما حذر منه أبو إياد كما أوضحنا واستخدم المصطلحات الأمريكية التي تستخدمها في وصف الإسلاميين .

وأصدرت حركة « حماس » بيانًا تاريخيًا بمناسبة انعقاد مؤتمر « فتح » واعتبرته وثيقة تاريخية من الحركة للمؤتمر الخامس لفتح ، عارضت فيه التنازلات الفلسطينية للمنظمة صراحة وكشفت عن أسرار لم يعلن عنها قبلاً تداولتها جلسات الحوار الأمريكي الفلسطيني في تونس فأشارت إلى أن أمريكا قد رفضت ــ بعد جلسة الحوار الثالث ــ اقتراحًا تقدمت به المنظمة لعقد اجتماع رسمي مع « إسرائيل » في الأمم المتحدة وأن هذا الرفض كان حصيلة مجموعة من المواقف الأمريكية المؤيدة لـ « إسرائيل » على طول الخط ، وتصلب إسرائيلي متزايد ومتوازن مع التنازل الفلسطيني المتزايد .

فعلى الرغم من قيادة المنظمة ــ كما يقول البيان ــ قد استجابت لكل الشروط الأمريكية من الاعتراف بشرعية الكيان الصهيوني وإعلان التخلي عما يسمى بالإرهاب ونبذه ، وتوالت تصريحات القادة والمسئولين التي وصل بعضها درجة

الإسفاف والابتذال والاستسلام ، وعلى الرغم من كل ذلك فمازالت حكومة العدو تصر على عدم التنازل عن أي شبر من أرضنا الفلسطينية ، وقد عرضت حركة حماس برنامج عمل من أربع نقاط للالتقاء عليه بين حماس وفتح من « أجل شعبنا وأرضنا ومقدساتنا ، ويقوم على الجهاد المسلح حيث تؤكد أولى فقرات البرنامج على حقيقة أن فلسطين من النهر إلى البحر هي أرض فلسطينية عربية إسلامية ملك الشعب الفلسطيني ، وكان بيان حماس قد أشار في بدايته إلى أهمية الكفاح المسلح الذي قامت عليه حركة فتح مما أعطاها مصداقيتها مؤكدًا أن الشعب الفلسطيني المجاهد يلتف حول القيادة المخلصة التي ترفع راية الجهاد ، وهو في ذات الوقت (ينفض) من حول من يسقط هذه الراية محاولاً أن يرفع راية التعايش والسلام مع قتلة شعبنا وصانعي نكبته أو من يكرس وقته وجهده للبحث عن حقوقنا السليبة في أروقة الهيئات الدولية أو على عتبات الدول العظمى[13] .

الحوار الأمريكي مع المنظمة لدفن القضية الفلسطينية

وكان رد فعل الانتفاضة على الساحة العرفاتية والأمريكية والإسرائيلية متشابهًا حيث إنها في الحقيقة تهدد مصالح ياسر عرفات شخصيًا المتمثلة في تشبثه بقيادة المنظمة ، وكذلك إسرائيل وأمريكا ، ولذلك كان يجب الالتفاف عليها وتحطيمها نفسيًا ومعنويًا ، ولن يكون ذلك إلا بالتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، ففي الشهر الأخير من عام 1988 م وافقت الولايات المتحدة على الحوار مع المنظمة بعد استجابة ياسر عرفات للشروط الأمريكية الخاصة بالاعتراف بإسرائيل ونبذ الإرهاب .

ولقد أدرك أبناء الانتفاضة تلك المؤامرة فعارضوا منذ البداية إعلان الدولة الفلسطينية والاعتراف بـ « إسرائيل » باعتبار أنه قضاء مبرم على فكرة الكفاح المسلح المقدس ، وبحسهم الوطني تنبأوا بأن خيار المنظمة هذا سيقود إلى مزيد من

التنازلات والتراجعات لصالح « إسرائيل » في زمن لم تنضج فيه ثمار الانتفاضة بعد والتوازن العسكري بين العرب عامة و « إسرائيل » مفقود تمامًا ، وبالتالي لا توجد فرصة لسلام حقيقي .

وأبرز ملامح السيناريو الأمريكي الذي يهدف إلى دفن القضية الفلسطينية ما يلي :

ـــ إن قبول المنظمة فكرة نبذ الإرهاب (يعني العمليات الفدائية ضد « إسرائيل ») ينهي تمامًا القوة العسكرية لها ، ونظرًا لأن المنظمة تضم فصائل ترفض ذلك ، فإن عرفات لا يستطيع الالتزام بما تعهد به وقد لا يمر وقت طويل حتى تقوم هذه الفصائل بأعمال ضد « إسرائيل » وهذا ما ستتمناه أمريكا و « إسرائيل » لقطع الحوار والتفاوض وإقناع العالم أنه لا يصلح التفاوض مع مثل هؤلاء الإرهابيين .

ـــ كما أن طول مراحل الحوار سيؤدي إلى ازدياد الانقسام والتشرذم الفلسطيني بين من يسمون أنفسهم المعتدلين والمتطرفين وهذا يحقق أحد أهداف « إسرائيل » .

ـــ بالإضافة إلى قيام الولايات المتحدة بجذب انتباه أنظار العالم كله بعيدًا عن الأراضي المحتلة وما يجري فيها من قمع وبطش من جانب « إسرائيل » في الوقت الذي تصعد فيه « إسرائيل » أعمالها ضد أبناء الانتفاضة في محاولة يائسة لإنهائها أو إخفات صوتها لكي لا يجد عرفات فيما بعد ظهرًا يستند عليه في أي حركة مستقبلا ، وبهذا الوضع كما هو عليه لا يخسر الإسرائيليون شيئًا ، وكذلك الأمريكيون ويكون الخاسر الوحيد هو الشعب الفلسطيني المجاهد الذي سيكون اليأس قد بلغ مأمنه في النفسية الفلسطينية ، وبالتالي تعود الأمور من جديد إلى التجمد والحوار يقطع كما أوضحنا آنفًا تحت أي دعوى حتى ولو أُلقيت قنبلة واحدة داخل « إسرائيل » وهو ما حدث بالفعل حيث قامت الولايات المتحدة بوقف الحوار الأمريكي الفلسطيني ، وبالتالي حققت « إسرائيل » مكاسب هائلة دون أن تقدم كلمة واحدة .

إعلان الدولة الفلسطينية لاحتواء الانتفاضة

وبعد أن حققت الانتفاضة الفلسطينية ما عجزت منظمة التحرير الفلسطينية عنه منذ قيامها سنة 1965 م ، واستطاعت الانتفاضة الفلسطينية قلب كل المعايير والموازين في منطقة الشرق الأوسط وحركت القضية الفلسطينية للأمام على الساحة الدولية وهزت « إسرائيل » من الداخل وقزمت الأنظمة العربية ومنظمة التحرير ، فماذا ستفعل تلك الدول والمنظمة هل تظل ساكنة حتى تتأثر شعوبها بها وتكون نهايتها ؟ بالطبع لا .

فقام الملك حسين بفك الارتباط مع الضفة الغربية التي تشتعل على أرضها الانتفاضة حتى لا تتأثر الضفة الشرقية بما يحدث على الضفة الأخرى بالإضافة إلى قناعته بعدم قدرته بعد ذلك على احتواء هذا الشعب الثائر ، كما أنه يعطي « إسرائيل » الفرصة الذهبية لضم الضفة بشكل نهائيٍّ وعملي حتى ينتهي من قنابلها الموقوتة التي قد تدمر ملكه الزائف .

أما ياسر عرفات فلم يكن أمامه من بديل إلا إعلان دولة فلسطين في الهواء ليضمن بالتالي بقاءه رئيسًا لهذه الدولة مستقبلاً قبل أن تطيح به الانتفاضة في الأرض المحتلة .

وإعلان المجلس الوطني الفلسطيني خلال انعقاده بالجزائر قيام دولة فلسطينية مستقلة يعد نقطة تحول في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي ، فالأمر يفوق مجرد إعلان بيان والموافقة عليه ويتخطاه بمراحل ، ليضع أمام الجميع حقيقة أخرى لم تكن موجودة في ساحة الصراع وهي التخلي عن الخيار العسكري من جانب الفلسطينيين ، بل والعرب جميعًا في مواجهة « إسرائيل » في وقت مازال ميزان القوى في صالحها وفي ظروف إقليمية ودولية لا تسمح بتحقيق السلام الذي يبتغيه كل فلسطيني وعربي .

وباعتراف منظمة التحرير بقراري مجلس الأمن رقمي 242 و 338 تكون قد اعترفت حتمًا بـ « إسرائيل » ومن ثم فهي قد ألقت ورقة من يديها لصالح « إسرائيل » في حين لم تقدم « إسرائيل » أي مقابل ، بل إن خطورة الأمر تتمثل في أن اعتراف الدول العربية بالدولة الفلسطينية يعني حتمًا اعترافها بـ « إسرائيل » وهكذا نصل إلى ما رفضه الفلسطينيون والعرب منذ سنوات طويلة ، بل ومنتهى أحلامهم أن توافق « إسرائيل » عليه .

إن إعلان الدولة فيه قدر من الاستعجال ، ربما لأن الانتفاضة لم تصل إلى ذروتها بعد مع الاعتزاز بما قدمه أبناء فلسطين من بطولات في الداخل خلال شهور تفوق ما قدمه رجال المنظمات في سنوات .

وإذا كان من غير المنطقي الآن التراجع عن قرار إعلان الدولة ، فإن الصائب هو مساندة الانتفاضة الفلسطينية في الداخل من أجل أن يصبح الكلام واقعًا والأحلام حقيقة ، أما ما يقوم به ياسر عرفات من تقديم التنازلات تلو التنازلات لـ « إسرائيل » فسيؤدي في النهاية إلى تهميش القضية الفلسطينية واستمرار عذابات أبناء الأراضي المحتلة الذين يحملون القضية فوق ظهورهم الآن .

ولقد أدرك مفجرو الانتفاضة دلالات قرارات الجزائر ، وكان طبيعيًا أن يحمل التيار الإسلامي في الأراضي المحتلة راية المعارضة الواعية للافتات وردية تبعث زهوًا وهميًا في نفوس قيادات المنظمة .

وأكد الشيخ أحمد ياسين في غزة هذا المعنى بقوله : لقد قدمت المنظمة كل شيء في مقابل لا شيء ، ويعود ليؤكد رأيه الذي أعلنه قبل قيام الدولة وخلفه قطاع عريض من الفلسطينيين يرون أنه لا فكاك من الاحتلال بغير الجهاد أو الاستشهاد .

وقد أدانت حركة « حماس » على لسان خليل القوق قرارات المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في 15 نوفمبر سنة 1988 م بالجزائر ، ورفضت حماس

الاعتراف بالكيان الصهيوني أو التفاوض معه ، كما رفضت قرارات ومشاريع التسوية التي تدعو لإعلان الحكومة المؤقتة وحكومة المنفى وإعلان الاستقلال اعتمادًا على قرار التقسيم رقم 181 ، وأضافت الحركة أن القبول بتغيير ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية واستبداله ببرنامج سياسي معتدل يتضمن تنازلاً صريحًا عن الكفاح المسلح وتحولاً خطيرًا ومسارًا مدمرًا للقضية .

كما رفضت حركة الجهاد الإسلامي وباقي الحركات الإسلامية الاعتراف بقرارات الجزائر واعتبرت أن اقتسام الوطن مع العدو باطل ومخالف لأمر الله وفتاوى علماء المسلمين التي جعلت من يقبل ذلك في حكم الخارج عن الملة والعقيدة الإسلامية .

المنظمة تهاجم حماس

وحاولت منظمة التحرير الفلسطينية مهاجمة حماس ، ولكن من خلال مقال افتتاحي لمجلة « فلسطين الثورة » حيث اتهمت حركة المقاومة الإسلامية بأنها تحاول طرح نفسها بديلاً قياديًا للشعب الفلسطيني ، وتعمل على تفتيت وحدة الصف الوطني بعدم المشاركة في القيادة الموحدة وبإثارة النعرات الطائفية داخل المجتمع الفلسطيني .

وقالت المجلة : إن منظمة التحرير هي الدولة وليست حزبًا في الدولة مشيرة إلى ازدياد التباين في الآراء بين حركة حماس والخط السياسي الرسمي الفلسطيني ، وأضافت أن أي افتعال لخصام مع المنظمة هو افتعال لخصام مع الوطن الفلسطيني !![14] .

ومن هنا يتضح أن المنظمة ترفع هراوة الدولة ضد معارضيها وخيانة الوطن لناقديها .

فتح تُزوِّر بيانات الانتفاضة

ولم تكتف فتح والمنظمة بتهديد معارضيها باسم الدولة والوطن ، بل تقوم بتزوير بيانات الانتفاضة والتي تصدر من القيادة الموحدة إذا كان في البيانات ما قد يثير غضب « إسرائيل » فالبيان رقم 40 للقيادة الموحدة والذي وزع داخل الأرض المحتلة ووزعته الجبهة الشعبية أيضًا يخلو من البند الرابع الوارد في النص الأصلي وهو : « من منطلق الدفاع عن النفس وضرورة أن يدفع العدو ثمنًا باهظًا لجرائمه ، فإن القيادة الموحدة للانتفاضة تدعو الفرق الضاربة للتعرض لحياة المستوطنين والجنود الصهاينة وتصفية أحد الجنود أو المستوطنين مقابل كل شهيد يسقط من أبناء شعبنا »[15] .

وفيما أكد أحمد عبد الرحمن الناطق الرسمي للمنظمة بتونس ، أن هذا البند لم يرد أصلاً في البيان رقم 40 ، تقول مصادر الجبهة الشعبية إن هذا البند قد ورد في الأصل وتناقلته وكالات الأنباء الأجنبية فور صدوره ، ولكن قيادة المنظمة في تونس اعترضت عليه وطالبت القيادة الموحدة بحذفه ، ولكن بعد فوات الأوان فهل هناك هوان أكثر من ذلك .

الخلاصـــة

والخلاصة من الصفحات السابقة فإن ما تفعله منظمة التحرير الفلسطينية الآن ما هو إلا نموذج لطرف يضعف نفسه بنفسه سعيًا وراء شعارات براقة وأوهام أثبتت الأحداث بمرور الوقت زيفها وكذبها .

فياسر عرفات لم يكتف بسيل التنازلات التي قدمها من قبل لإسرائيل والغرب ، بل وألقى بآخر أوراق المنظمة عندما أعلن خلال زيارته لفرنسا أن ميثاق المنظمة الذي صدر في عام 1964 م ، وينص على السعي لإقامة دولة فلسطينية على كل تراب فلسطين السليبة بما في ذلك « إسرائيل » قد أصبح في ذمة التاريخ ، أو عفا عليه

الزمن ، وما يتغابى عنه عرفات ورفاقه أنه لا فرنسا ولا كل دول العالم ولو اجتمعت ستعيد إلى الفلسطينيين حقوقهم ، وأن أسوأ ما يفعله هذا الرجل هو السعي لطرق أبواب الغرب والشرق ، بحثًا عن دفعة لعملية السلام الضائع .

وخير دليل على صحة هذه الرؤية هو الانتفاضة واستمرارها بهذا الاشتعال نظرًا لأن أبناءها آمنوا منذ البداية أن الحل يبدأ من القدس وليس من واشنطن ولا موسكو ولا باريس .

وعندما أعلن أبو إياد الرجل الثاني في المنظمة أن المنظمة توافق على مقترحات شامير بإجراء الانتخابات في الأرض المحتلة دون الانسحاب الإسرائيلي ، جاء الرد في اليوم التالي قاطعًا كالسيف من أبناء الانتفاضة المباركة حيث وقعت 80 شخصية فلسطينية بارزة على وثيقة تؤكد رفضها لهذه الانتخابات التي ليست إلا شركًا أعده الإسرائيليون والأمريكيون لإخماد نيران الانتفاضة ، ولم يكن أمام المنظمة إلا التراجع بصورة مؤسفة عن موقفها السابق وتعلل أبو إياد بأن كلامه فهم خطأ وأنه لم يقصد ذلك .

وفي حالة إصرار عرفات ورفاقه ومنظمته على الاستمرار في هذا النهج فإن ضمير الشعب الفلسطيني لن يرحمهم ، وفي النهاية ستفرز الانتفاضة قيادتها المستقلة التي ستنتزع التحدث باسم الشعب الفلسطيني بقوة الواقع الجديد الذي يتمادى البعض في تجاهله دون اتعاظ من الأحداث .

وهكذا يتضح لنا أن ياسر عرفات ليس له ولا لعصبته موطئ قدم على الساحة الفلسطينية ، خصوصًا على أرض العمليات ، ففي الداخل تقود حماس الانتفاضة ، وفي الأردن يسيطر أبو الزعيم على الموقف ، وفي لبنان يقود أبو موسى القوات الفلسطينية ، بالإضافة إلى القوات الأخرى الرافضة التابعة لسوريا وغيرها ، وبالتالي لا يبقى إلا ياسر عرفات وحيدًا بين عصابته يتنقل من تونس إلى عواصم العالم يستجدي التعاطف معه .

ونعتقد أن الإمبريالية العالمية والأنظمة الحاكمة ستدعم ياسر عرفات ليكون هو المتحدث باسم الشعب الفلسطيني لأنه تعود على التنازل ، وأن القضية الفلسطينية قد فرغت من محتواها بفضل قيادته ، وأن أي قيادة بديلة خصوصًا لو كانت إسلامية فإنها ستعيد القضية إلى التهابها من جديد ، وبذلك فلن ترضى عنه بديلاً ، ولكن الانتفاضة ستطيح بأحلامهم .

ولكن هل يصمتون على ذلك ؟ هل يرضى ياسر عرفات على أن تطيح الانتفاضة به ؟ بالطبع لا ، فما كان منه إلا أن تحالف مع الشيطان صدام حسين في غزو الكويت وتأييده ، وذلك حتى ينسى العالم الانتفاضة التي قد تيأس لطول الوقت ونفاد الصبر ، نعم فإن جذب انتباه العالم للكويت واحتلال صدام لأراضيه هو الفرصة القاتلة للانتفاضة وانتهاء القضية الفلسطينية .

مصادر الفصل السادس

1 ـــ عرفة (محمد جمال) ، ثورة المساجد ، الحقيقة بتاريخ 10 ديسمبر سنة 1988 م ، ص 6 .

2 ـــ عرفة (محمد جمال) : حماس تهاجم المشاريع الاستسلامية ، جريدة الحقيقة 29 أكتوبر سنة 1988 م ، ص 6 .

3 ـــ جريدة الحقيقة ، 1 يوليو سنة 1989 م ، ص 6 .

4 ـــ حوار مع سعد الدين العلمي ، جريدة الحقيقة ، 14 أكتوبر سنة 1989 م ، ص 6 .

5 ـــ نص وزعته قيادة حركة حماس ، الشرق الأوسط ، 21 / 2 / 1990 م .

6 ـــ عبد الرحمن (خير الدين) دكتور : الحركة الإسلامية في فلسطين ، مجلة شئون فلسطينية ، يوليو سنة 1990 م ، ص 21 .

7 ـــ المقالح (محمد محمد) : حوار مع الشيخ عبد العزيز عودة ، مجلة العالم 27 / 1 / 1990 م ، العدد 311 ، ص 30 .

8 ـــ عبد الرحمن (خير الدين) ، دكتور : مصدر سابق ، ص 21 .

9 ـــ الشيخ أحمد ياسين يحاكم سجانيه ، مجلة العالم 13 / 1 / 1990 م ، العدد 309 ، ص 10 .

10 ــ العباسي (محمد) : الانتخابات البلدية في فلسطين المحتلة ، العالم 8 أبريل سنة 1989 م ، ص 14 ، 15 .

11 ــ مرتضى (إحسان) : الانتفاضة تساؤلات حول المستقبل ، العالم ، 17 مارس سنة 1990 ، ص 36 .

12 ــ عرفة (محمد جمال) : مؤتمر حركة فتح وسط موجة من الغضب ، الحقيقة ، 5 أغسطس سنة 1989 م ، ص 6 .

13 ــ عرفات (محمد جمال) : وثيقة تاريخية من حماس للمؤتمر الخامس لحركة فتح ، الحقيقة 12 أغسطس سنة 1989 ، ص 6 .

14 ــ الحياة اللندنية ، 6 / 7 / 1990 م ، الصفحة الأولى .

الفصـل السـابع

مشاركة عرفات في جريمة غزو الكويت

إذا كان ياسر عرفات قد ارتكب ومارس العديد من الأخطاء القاتلة خلال السنوات الماضية في حق الشعب الفلسطيني وقضيته ، فإن دعمه لصدام حسين وتأييده له في غزوه للكويت يوم 2 / 8 / 1990 م كان قمة الخطايا التي ارتكبها ليس في حق الشعب الكويتي فقط ، ولكن في حق القضية الفلسطينية والانتفاضة البطلة في الأراضي المحتلة ، والتي نسيها العالم بسبب الغزو العراقي للكويت مما يعني تراجع القضية للوراء عشرات السنين والتضحية بدماء الشهداء التي أريقت خلال السنوات الثلاث الماضية من عمر الانتفاضة ، وهذا سيؤدي بالطبع إلى إصابة الشعب الفلسطيني بالإحباط واليأس والفشل .

وإذا أردنا فهم تصرفات عرفات الأخيرة وتأييده لصدام فما علينا إلا أخذ عدة عينات من مواقفه مع الدول العربية حتى تكون خلفية مناسبة لفهم تصرفاته السياسية غير المسئولة والتي تصب دائمًا في مصلحة الإمبريالية العالمية سواء بوعي من عرفات أو بدون وعي منه .

نماذج من تراجعات عرفات

يقول أبو الزعيم أحد رفاق عرفات إنه لم يكن له في حياته موقف ثابت ، وهو ليس رجل قرار ، وأهم ما في القائد قراره ، وهذا الرجل يخضع لقرارات الآخرين ، وأنا أرى القيادة وعيًا وقرارًا ، يعني الوعي والإرادة هما مقومات أي إنسان في الدنيا ، أما القيادة فهي أن تعي حقائق الأمور ، وأن تقيمها بدقة وأن تكون نظرتك دقيقة

وموضوعية للأشياء ، وأن تعرف ما تريد وتصمم عليه ثم تأخذ القرار ، وعندما تأخذ القرار فالقيادة تلتزم « بقرارها » ، ومع الأسف الشديد هو ليس لديه القرار أو القدرة على الالتزام بأي قرار[1] .

فعرفات تراه متحمسًا لأي مشروع أو قرار ، بل ويشارك فيه ثم يعود ويتنكر له ، ومن أمثلة ذلك موقفه من مشروع روجرز ، فقد عقد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر اجتماعًا في منزله حضره ياسر عرفات وصلاح خلف وفاروق قدومي وقال لهم : « احنا لابد أن نحقق انسحاب « إسرائيل » تحت كل الظروف ، أنتم أحرار في قبول مشروع روجرز أو رفضه ، ومحدش حيغضبكم ، ولكن نطلب منكم شوية اعتدال لأن موقفكم مختلف عن موقف الآخرين » ، فوعدوه بالمشاركة ، فقال لهم إن الوقت مبكر لمشاركتهم ، ثم كانت المفاجأة أن وضعت صورة جمال عبد الناصر على حمار ، يطوف بالصورة في شوارع عمان في مظاهرة صاخبة في أغسطس سنة 1970 م ، وبعدها جرت أحداث أيلول[2] ، بل هاجمته إذاعة فلسطين من القاهرة نفسها مما أدى إلى إغلاقها .

اتفاق السادات وعرفات عام 1977 م

وبعد خطاب الرئيس السادات في مجلس الشعب المصري في خريف سنة 1977 م قال السادات لأبو عمار : « إحنا حاربنا من أجل السلام ، والحمد لله احنا في وضع يسمح لنا أن نحصل على شيء ، وأنتم المفروض تلموا أنفسكم ويكون موقفكم معانا ، عشان نقدر نحصل على شيء للفلسطينيين » .

وبعدها جاء أبو عمار إلى بيروت متحمسًا وقال لنا : « إن السادات متحمس ويريد الذهاب إلى « إسرائيل » ، ويريد أن يعمل معاهدة وأنا متفق معه » ، ولكن بعد قليل جاء عشرة أولاد ، وقفوا أمام المكتب وعملوا مظاهرة ، فقام خطيبًا فيهم ونسف كل العلاقة مع السادات ومع مصر ، طبعًا لست أقول إنه كان يجب عليه

أن يأخذ هذا الموقف أو ذاك ، إنما أقول : عليه أن يقرر كقائد وعندما يأخذ قرارًا ، يجب الالتزام به[3] .

ومن المعروف أن السادات كان قد دعا عرفات لإرسال وفد لحضور مؤتمر ميناهاوس الذي تمت فيه مفاوضات السلام ، وكان الفلسطينيون سيكونون على قدم المساواة مع « إسرائيل » التي ترفض حتى الإنصات إليه وترفض التعامل معهم ، وتم رفع الأعلام الثلاثة المصرية والفلسطينية والإسرائيلية ، ولكن عرفات لم يحضر واتهم السادات بالخيانة ، ولو كان حضر آنذاك لكانت قد تحققت له الفرصة التي يبحث عنها الآن للجلوس مع الصهاينة ، وإذا كان ضد الاتفاق المصري الإسرائيلي ، فلماذا يحاول الآن أن يقوم بعمل اتفاق فلسطيني إسرائيلي ؟ فلو كان يستهدف السلام كما يدعي الآن لكان قد حضر المؤتمر آنذاك ، وكان ذلك سيؤدي إلى أحد احتمالين ، الأول : انسحاب الوفد الإسرائيلي ، وبذلك تنتهي عملية كامب ديفيد ، ويتوقف مشروع السلام ، وإما يقبل التفاوض ، وبالتالي يفتح ملف القضية الفلسطينية منذ البداية ، أي منذ صدور القرار 181 الخاص بالتقسيم الذي صدر عام 1947 م ، وقسم فلسطين دولتين ، وكان هذا قرارًا مدعومًا من السوفييت والأمريكيين ، ولكنه أهدر هذه الفرصة وفاته قطار السلام آنذاك ، ويحاول الآن اللحاق بقطار الاستسلام وذبح القضية الفلسطينية ، وهذا لا علاقة له برفضنا أو موافقتنا للسادات في مشروع السلام ، ولكننا نوضح ذلك حتى نتفهم مواقف عرفات .

انحرافات فتح في لبنان

وعندما خرجت القوات الفلسطينية من الأردن بعد مذابح أيلول « سبتمبر » سنة 1970 م اتجهت إلى لبنان لفتح جبهة جديدة ضد « إسرائيل » خصوصًا أن هناك اتفاقًا كان قد تم بين الفلسطينيين واللبنانيين تحت رعاية عبد الناصر ينظم العلاقة

بين الجانبين ، وهكذا انضمت القوات الفلسطينية المنسحبة من الأردن إلى زميلتها في لبنان التي كانت تتمركز في منطقة تم تسميتها « فتح لاند » ، وكانت تبدأ من نقطة المصنع على الحدود السورية اللبنانية إلى أن تصل إلى مرجعيون في جنوب لبنان ، ولم تكن هناك قوات في تلك المنطقة سوى قوات فتح التي بدأت في التوسع لتشمل الساحل اللبناني كله .

ويقول أبو الزعيم الذي كان قد عين مديرًا للاستخبارات العسكرية الفلسطينية : ظلت أحوالنا مستقرة في لبنان حتى عام 1974 م ، وكانت سياستي ألا أصطدم مع أي جيش عربي ، ولكن الجيش اللبناني كان مصرًا على الاشتباك معنا ، وكنا نقول لهم إننا سنرد عليهم بعد عشرين طلقة ، وكانت أهم مكاسبنا وقوف الشعب اللبناني إلى جانبنا ضد الجيش اللبناني .

عندما تم اعتقال عرفات

وأذكر أنه كانت هناك انحرافات وخلافات داخل الثورة ، وكان يقود هذه الحملة عدد من أعضاء اللجنة المركزية ، هدفهم الاستيلاء على الإقليم ، وحاولنا بالحسنى إخضاعهم للقيادة فرفضوا ، مما اضطرني أن أنزل بقوات عسكرية ، ودون أن أطلق طلقة واحدة تمكنت من السيطرة على المخيمات ، وأذكر أنني اعتقلت في ذلك اليوم جميع القادة ومنهم ياسر عرفات ، الذي عومل معاملة خاصة ، أما الآخرون فقد اعتقلناهم في غرفة ، وكان هذا أول انحراف في فتح أتابعه ، وبالفعل أخضعت القوات العسكرية القيادة السياسية لهذا الوضع ، وسارت الأمور ورجع عرفات قائدًا عامًا ، بعدما كانوا قد قرروا عزله ، وثبتناه ، وبعد أن انتهى الموضوع قام آخر يقود كتيبة عسكرية باعتقال الناس في منطقة البقاع ، بإيعاز من القيادة السياسية فانطلقنا إليه واعتقلناه هو وكتيبته ، وتقرر نفيه إلى الجزائر بعد تدخل السفير الجزائري ، وهكذا منعنا الانحراف وحمينا الثورة والعسكريين[4] .

لقد كان تأييد اللبنانيين للفلسطينيين في عقد الستينيات وأوائل السبعينيات باعتبارهم ضحايا يداسون بالأقدام ، وطليعة للأمة العربية ، ثم في الفترة من 1973 - 1977 م باعتبار أنهم سينتفعون على الأرجح من تسوية سلمية تؤدي إلى خروجهم السريع من لبنان عائدين إلى وطنهم .

لقد كان ذلك شيئًا بالنسبة للبنان أما أن يدفع لبنان ثمنًا باهظًا من الدم والمال اعتبارًا من عام 1978 م بسبب استضافته لمنظمة التحرير الفلسطينية التي بدا أن فرصة نجاح استراتيجيتها كانت فرصة قليلة أو منعدمة فذلك شيء آخر ، وليس مما يبعث على الدهشة أن كثيرين من اللبنانيين أخذوا يراجعون رأيهم في منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت تتحول من حركة جذرية « راديكالية » تعمل تحت الأرض إلى ما يشبه الدولة الواضحة للعيان بدرجة عالية ، والتي تسيطر سيطرة واقعية على أجزاء كبيرة من لبنان[5] .

وقد تراءى هذا في الاسم الذي أطلقه اللبنانيون على منظمة التحرير الفلسطينية : فبدلاً من وصفها وصفًا حميدًا « بالثورة » ، صاروا يصفونها « بالمنظمة » بكل ما تنطوي عليه هذه العبارة من معايير سلبية ، أما جوهر التضحية بالنفس في الفدائيين ، وهم الذين كانوا يتعرضون بوضوح لخطر داهم في سبيل قضيتهم ، فقد بات يتراءى للبنانيين باعتبار أنه أخلى مكانه لبعض البيروقراطية المتضخمة الباهظة المرتبات التي يعيش بعض قادتها في شقق مترفة ، ويركبون سيارات غالية الثمن ، وبدا أنهم لا يضحون إلا قليلاً ، وطبيعي أن الرؤية الأصلية وإن انطبعت بالمثالية وحجبت المشاعر البشرية الطبيعية لأعضاء منظمات الفدائيين الأولى ، فإن الرؤية التالية تغاضت عن كون كثيرين من الفلسطينيين من زعماء وأتباع قد تعرضوا لمخاطر كثيرة ، وبذلوا في حالات كثيرة تضحيات أخرى جسيمة في سبيل قضيتهم . ومع ذلك ، فإن التغيير الذي طرأ على الرؤية اللبنانية لمنظمة التحرير الفلسطينية كان قاتلاً بالنسبة للمنظمة ، إذ إنه بدأ شيئًا فشيئًا يمتص التأييد الشعبي الذي كانت المنظمة تستند إليه لاستدامة وضعها في لبنان ، وأدى التغيير الذي طرأ على رؤية الطائفة المارونية ، بالإضافة إلى

خيبة الأمل في نتائج صفقة السادات المنفصلة مع « إسرائيل » التي ضخمت شبح الوجود الدائم للفلسطينيين في لبنان في نظر المارونيين إلى فتح ثغرة أمام « إسرائيل » ، إذ أصبح في وسع « إسرائيل » إجراء تعديل أساسي في الصورة الاستراتيجية بالتعاون مع حزب الكتائب ، فكان أن خسرت منظمة التحرير الفلسطينية كل شيء[6] .

ولئن كانت المنظمة قد أقامت لنفسها وضعًا يتسم بالقوة العسكرية النسبية في لبنان ، إلا أن نفور الرأي العام اللبناني إنما كان معناه أن هذه القوى هي رصيد متناقض .

كما أن عرفات قام بتغيير تحالفاته من الضد إلى الضد ، فبعد أن كان مع القوى الوطنية ضد القوى اليمينية الكتائبية المارونية ، تحالف مع الموارنة ضد المسلمين والوطنيين اللبنانيين ، ثم بعد أن دعمه حزب الله أثناء محاصرة « أمل » للمخيمات ، تحالف مع أمل ضد حزب الله حتى يمنعا عمليات حزب الله ضد « إسرائيل » ، وبعد أن تم الاتفاق على دعم الشرعية في لبنان بعد اتفاق الطائف وتم انتخاب رينيه معوض ـــ الذي اغتيل ـــ رئيسًا للبنان ثم إلياس الهراوي الرئيس الحالي وقف بجانب العماد ميشيل عون المنشق على الشرعية اللبنانية ، والذي استسلم أخيرًا وطلب اللجوء السياسي إلى فرنسا ، وكانت العراق تدعمه أيضًا مما يدل على أن هناك تنسيقًا في الموقف بين العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية .

الخلافات الفلسطينية السعودية

ويمكننا أن نرصد موقفًا فلسطينيًا آخر مع السعودية يدل على تخبط ياسر عرفات ، ونقصد به الموقف من مشروع فاس الأول والذي كان قد تقدم به الملك فهد عندما كان وليًا للعهد في مؤتمر فاس الأول عام 1981 م ، وقد قدمه بناء على طلب من ياسر عرفات شخصيًا ، وشارك في كتابته خالد الحسن وفاروق قدومي وصلاح خلف وراجعه معهم مروان الخالدي وباسل عقل ، وكان عبارة عن مشروع عربي

للسلام مع « إسرائيل » ، ولكن المنظمة خشيت أن تتقدم به هي لأنها كانت تخشى ردود الفعل العنيفة التي من الممكن أن تحدث فبحث ياسر عرفات عن قناع له ، وتم اختيار السعودية لهذا الدور حيث إنها هي التي واجهت بعد ذلك كل الشتائم التي وجهها الفلسطينيون أنفسهم لها وتنكروا للمشروع فيما بعد ، في الوقت الذي لم يرفضوا مثلاً مشروع برجينيف الزعيم السوفييتي السابق والذي لم يشر إلى المنظمة في طياته .

ويشرح أبو الزعيم في حواره مع حسن علام هذه النقطة بتوسع قائلاً : « أما بداية الاختلاف الحقيقي الذي نشأ مع عرفات فكان في عام 1981 م ، بعد مؤتمر فاس الأول ، الذي لعبت دورًا كبيرًا في ترتيب أموره وبتعليمات منه طبعًا ، وفوجئت أنه يتنكر لكل شيء وكان كاذبًا مع الأسف ، ولم يحم ما اتفق عليه وما عملنا أشهرًا من أجله .

وكان قد تم الاتفاق على إعداد مشروع يقدم للسعودية التي تقدمه للدول العربية لإقراره في مؤتمر القمة ، ثم نعمل جميعًا كعرب لتوظيف علاقاتنا الدولية كلها لخدمة هذا المشروع لأنه مشروع سلام عربي ، وبعدما أخذه هو وعدد من رجاله وكتبوه بأيديهم ، عادوا ليستنكروا ويتراجعوا ، وأذكر أنه بعثني بعد قمة فاس الأولى ، كرسول له وتشرفت بلقاء الملك الحسن والملك فهد ، وقت أن كان وليًا للعهد في محاولة لإيضاح ما جرى ، وتحسين العلاقة بينه وبينهما ، وكان واضحًا أن الملك الحسن كان خائفًا على القضية الفلسطينية ، ومقتنعًا بأن ياسر عرفات خذل السعوديين ، ولم يكتف بذلك ، بل تطاول واتهم بالخيانة ، حتى أن الأمير سعود الفيصل رد عليه قائلاً إن الخائن هو الذي كتب المشروع وقدمه إلينا ، وليس الذين عرضوه خدمة لكم ، وبناء على طلبكم ، وإذا كان خيانة فاحتفظوا به ، واذهبوا به أينما تريدون لتمارسوا الخيانة .

وكان الملك الحسن قد شارك في الجدل الذي دار بعد فشل قمة فاس الأولى وتصدى للرد على عرفات كي يمنع الصدام بين الملك فهد وياسر عرفات حرصًا

على المصلحة الفلسطينية ، لأنه يعرف حجم الدعم والتمويل من السعودية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ولقد أراد بموقفه هذا أن يجعل الصدام بينه وبين ياسر عرفات ليحمي القضية الفلسطينية »[7] .

وهكذا نلاحظ مواقف عرفات التي كانت من الممكن أن تؤثر على القضية الفلسطينية بشكل سلبي لو أن الدول العربية ردت عليه وتعاملت معه بالمثل خصوصًا وهو يعتبر نفسه ممثلاً وحيدًا للشعب الفلسطيني .

ياسر عرفات يشهر بمصر وطارق عزيز يؤيده

وبعد أن أشرنا إلى بعض مواقف عرفات مع الدول العربية نرصد موقفًا خطيرًا يتضح من خلاله التنسيق العراقي الفلسطيني ، وكان ذلك في الجلسة الافتتاحية لاجتماع وزراء الخارجية العرب التي عقدت في تونس يوم 18 / 7 / 1990 م قبل الغزو العراقي للكويت ، ونعتقد أن موقفي عرفات وطارق عزيز وزير الخارجية العراقي يدخلان في إطار تهيئة الساحة الدولية لعملية الغزو العراقي .

فقد هاجم ياسر عرفات مصر وشهر بموقفها من القضية الفلسطينية عندما أشار إلى أن النحاس باشا رئيس وزراء مصر عام 1939 م قال عندما استقبل الوفد الفلسطيني في لندن ووجه لأعضاء الوفد سؤالاً : لماذا تغضبون اليهود من أجل حائط المبكى ، أعطوهم الحائط وخلصونا » ، واستطرد عرفات قائلاً : لقد امتد حائط المبكى حتى وصل إلى خريطة إسرائيل الكبرى .

وأضاف عرفات أن المساعدات الأمريكية لـ « إسرائيل » هي مساعدات سخية ، بينما المساعدات الأمريكية المقدمة لمصر تصل إلى درجة أن تحصل مصر على القمح أسبوعًا بأسبوع من أمريكا .

وبعد أن ألقى عرفات خطابه طلب طارق عزيز وزير خارجية العراق الكلمة ،

حيث علق بحدة على غياب عدد من وزراء الخارجية العرب ، وقال إنني أستنتج استنتاجات مؤلمة لهذا الغياب ، وأضاف أن هناك دولاً عربية (يقصد مصر والسعودية) طلبت من منظمة التحرير الفلسطينية أن تقول ما قالته في بدء الحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية ودفعتها إلى هذا الحوار ثم تساءل ألا يشكل هذا مسئولية عليهم ، أم يتركون المنظمة وحدها ولا يحضرون .

وتحدث طارق عزيز عن الشخصيات التي قالت في الماضي أعطوا اليهود حائط المبكى مشيرًا إلى ما ذكره ياسر عرفات حول النحاس باشا ، وأضاف أن هذه الشخصيات قد أطيح بها في الخمسينيات ، وأن هذا هو مصير المسئولين الذين لا يقومون بمسئولياتهم .

وزعم الوزير العراقي أن هناك تواطئًا في الوقت الحاضر يستهدف إضعاف المواجهة العربية ضد التهديدات الإسرائيلية ، وأن هذا التواطؤ يشارك فيه عرب ، وقال إنه في فترة قصيرة ستكشف التفاصيل[8] .

مصر ترفض حملات التشهير

وردت مصر على حملة التشهير الفلسطينية العراقية ببيان رسمي جاء فيه رفضها لحملات التشهير التي شنتها بعض الأطراف العربية في مؤتمر وزراء الخارجية العرب بتونس ، وصرح مصدر مصري مسئول بأن مصر وجهت كل إمكاناتها الاقتصادية ودماء وأرواح شبابها من أجل تحرير الأرض التي سلبت ، وأكد المصدر أن ضياع الأراضي العربية سببه الرئيسي هو من أطراف كثيرة باستثناء مصر ، وأن الجميع يعرفون أنه لا النحاس باشا ، ولا غيره من الزعماء المصريين كانوا مسئولين عن ضياع فلسطين[9] .

وعلق فؤاد سراج الدين على اتهامات عرفات قائلاً : إن النحاس باشا زعيم الوفد لم يكن رئيسًا لوزراء مصر في عام 1939 م وأنه ترك الحكم في ديسمبر سنة

1937 م ، وأن على عرفات أن يعرف ـــ إن لم يكن يعرف ـــ بعض الحقائق عن موقف النحاس باشا والوفد من القضية الفلسطينية ، وذكر أن النحاس عندما كان رئيسًا للوزراء عام 1936 م رفض مشروع تقسيم فلسطين حفاظًا على الهوية العربية لفلسطين ، كما أن النحاس استدعى السفير البريطاني وقال له : « إنني لا أقبل قيام وطن قومي لليهود في فلسطين ، فما يدريني أنهم لن يطالبوا غدًا بسيناء » وعندما أشار السفر إلى وعد بلفور الذي يعد بقيام دولة يهودية ، قال له النحاس على الفور : فليلق به في سلة المهملات[10] .

وكان هذا الهجوم العراقي الفلسطيني على مصر قبل الغزو العراقي بستة عشر يومًا فقط ، ونعتقد أن المقصود به كان محاولة لإرهاب مصر ووضعها في موضع الدفاع عن نفسها وإشغالها بقضية جانبية حتى لا تنتبه للمؤامرة التي كان صدام وياسر عرفات والملك حسين وعلي عبد الله صالح يعدونها في ليل ، وبالفعل ظلت مصر عدة أيام مشغولة بهذه القضية وردت بعنف على عرفات الذي أنكر كعادته ما قاله ، وألقى بالتبعة على وكالات الأنباء التي حرفت كلامه ، كما جاء بعدها للقاهرة وكأنه لم يفعل شيئًا ، وكذلك فعل طارق عزيز ، ويبدو أنها كانت رسالة موجهة لمصر بأن تظل بعيدة عن أي عمل قد يحدث مستقبلاً وإلا فستتعرض للتشهير والهجوم عليها .

المؤامرة العراقية الفلسطينية الأردنية اليمنية الإسرائيلية

وترجع قصة المؤامرة العراقية الفلسطينية الأردنية اليمنية الإسرائيلية لغزو الكويت إلى اتفاق استراتيجي بين تلك الأطراف لإحداث تغييرات جغرافية في بنية الدول القائمة في الخليج وشبه الجزيرة العربية بشكل يرضي جميع الأطراف .

ويمكننا إلقاء النظر على هذه المؤامرة في ملف جذور الصراع المقبل في الشرق

الأوسط الذي يقع في 480 صفحة ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

يتعلق الأول منها بآفاق التسوية المنتظرة للقضية الفلسطينية .

فيما يتعلق الثاني بالعلاقات السياسية بين قضية الشرق الأوسط ومنطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية (وفي هذا القسم وردت قصة العدوان العراقي على الكويت) .

أما القسم الثالث فيتعلق بارتباط القضية الفلسطينية بلبنان .

ويشير الملف إلى أن قصة العدوان العراقي على الكويت ، بدأت فصولها منذ أواسط أكتوبر سنة 1989 م ، عندما انعقدت قمة سرية على ظهر لنش فاخر في مياه ميناء العقبة الأردني ضمت كلاً من الملك حسين والرئيس صدام حسين وولي عهد الأردن الأمير حسن ورئيس وزراء « إسرائيل » إسحق شامير ورئيس حزب العمل الإسرائيلي شيمون بيريز والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات والرئيس اليمني علي عبد الله صالح .

وكانت القمة قد عقدت بناء على مهمة عُهدت إلى الملك حسين تتعلق برسم خارطة جديدة للمنطقة تنتهي إلى تسوية شاملة للصراع العربي الإسرائيلي ، وقد أوكلت المهمة للملك حسين منذ شهر فبراير سنة 1989 م بعد مشاورات تنسيقية طويلة جمعت بين العاهل الأردني ورؤساء العراق واليمن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وتقول معلومات الملف الأوروبي إن الغرض من قمة العقبة كان شرح تفاصيل الخارطة الجديدة للمسئولين الإسرائيليين ، والاطلاع على تعليقاتهم بشأنها .

والخارطة كانت تقوم على « فرضية » مفادها أن تغييرًا كاسحًا في بنية الدول القائمة في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية سيساعد على الوصول إلى قسمة جغرافية ترضي جميع أطراف الصراع في الشرق الأوسط ، وعليه فإن الوصول إلى هذه الغاية يتطلب تحركًا جماعيًا من أجل تحقيق الأهداف التالية :

- أولاً : يستولي العراق على الكويت والبحرين والمنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية .

● ثانيًا : تستولي اليمن بمساندة إسرائيلية عراقية على منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية .

● ثالثًا : إقامة نظام حكم مصطنع وضعيف في منطقة نجد السعودية تتفق الأطراف المجتمعة على هويته .

● رابعًا : تقام دولة تشمل الحجاز وجنوب الأردن يحكمها الملك حسين بدلاً من حدود الأردن الحالية .

● خامسًا : تقوم دولة فلسطينية منزوعة السلاح تشمل قطاعًا يمتد من حدود الأردن الحالية ، إضافة إلى الساحة غير الاستراتيجية من حدود نابلس بالضفة الغربية المحتلة ، ويتفق على تحديد هوية الحكم في هذه الدولة بين المسئولين الإسرائيليين وشخصيات فلسطينية على رأسها ياسر عرفات ، على أن يكون القبول النهائي لشكل هذه الدولة بالشكل الذي يرضي « إسرائيل » .

وكان الرئيس صدام حسين هو الذي قام بتحديد وشرح الأهداف الخمسة ، وعقب انتهائه من الحديث عن الأهداف الخمسة عقب بيريز متسائلاً عن المكاسب التي ستحققها « إسرائيل » من هذه الخريطة .

وتولى الملك حسين الإجابة قائلاً : إن « إسرائيل » ستحقق أمرين في غاية الأهمية ، أولهما : توفير الأمن والسلام لدولتها ، وثانيهما : اعتراف العالم العربي بوجودها ضمن حدودها الجديدة .

وعقب شامير بقوله : إن هذين العنصرين لا يمثلان مكسبًا « جيوسياسيًا » يمكن النظر إليه كحافز لمشاركتنا لكم في مخططكم لأن أمن « إسرائيل » وسلامها متوافران الآن بشكل كبير ، وأضاف : وعلى الرغم من أننا نسعى إلى تقنين هذا الأمن في إطار إنهاء حالة الحرب العربية الإسرائيلية ، إلا أنه متوافر على أية حال ، أما بالنسبة للاعتراف بوجود « إسرائيل » فنحن نعتقد أنه موجود أيضًا بموجب قبول العرب

بالقرار 242 ، إضافة إلى أننا غير مستعجلين كثيرًا لأن يحدث مثل هذا الاعتراف دفعة واحدة .

وطلب شامير من ياسر عرفات أن يدلي برأيه فقال : « لي تعليق يختص أولاً بالأهداف الخمسة التي عرضها صدام حسين » ، ومضى قائلاً : إنه يعترض على أن تبدأ الخطة باحتلال الكويت ، فمن رأيه أن تبدأ بهجوم عراقي — أردني — يمني لاحتلال المملكة العربية السعودية بأكملها من أجل إحداث صدمة نفسية كبيرة تؤدي تلقائيًا إلى انهيار بقية « دويلات الخليج » على حد تعبيره ، وعزا عرفات اقتراحه إلى أن البدء باحتلال الكويت سيعطي السعوية الفرصة للدفاع عن نفسها خصوصًا أن هناك دولاً عربية وغير عربية لن ترفض الدفاع عن السعودية فيما إذا طلب منها ذلك .

غير أن صدام قاطع عرفات قبل أن يكمل بقية شروحاته قائلاً ، إن العكس هو الذي سيحدث ، وفسر ذلك بالقول « معظم دول العالم ستسارع للدفاع عن بقية دويلات الخليج فيما إذا قمنا باحتلال السعودية ، بينما لن يحدث مثل هذا الأمر لو احتللنا الكويت ، نظرًا لأن العالم على معرفة كاملة بحقوقنا التاريخية ونزاعاتنا مع الكويت » إضافة إلى الاطمئنان العالمي لحجم القوة السعودية ، مما لا يعطي مسوغًا لتوافر أية قوة للدفاع عن أراضي المملكة .

ويشير الملف إلى أن عتابًا دبلوماسيًا وقع في تلك الفترة من واشنطن لتل أبيب حين اكتشفت أمريكا أن « إسرائيل » كانت هي الطرف الوحيد بين المشاركين الذي لم يبلغها بمداولات قمة العقبة ، وفي هذا الوقت طلبت الإدارة الأمريكية من سفيرتها في بغداد عقد اجتماع عاجل مع صدام حسين وإبلاغه رسالة مفادها أن واشنطن لا تقبل تنفيذ هذا المخطط وأنها تحذر من عواقبه الوخيمة[11] .

الموقف الفلسطيني من الغزو

وقد تبلور الموقف الفلسطيني من الغزو العراقي منذ البداية بالانحياز إلى صدا

على الرغم من أن المساهمات المالية لدول الخليج لمنظمة التحرير الفلسطينية بلغت حوالي المليار دولار خلال السنوات العشر الماضية ، في الوقت الذي كان فيه صدام حسين يطارد عرفات وعصبته .

وكان أول رد فعل رسمي فلسطيني على الغزو العراقي للكويت هو تحفظ دولة فلسطين في مجلس جامعة الدول العربية بالقاهرة على القرار المتضمن إدانة الغزو العراقي والمطالب بالانسحاب الفوري غير المشروط ، وأكد ياسر عبد ربه عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة في الثامن من أغسطس رفضه للتدخل الخارجي في الأزمة لأنه سيشق الصف العربي ويحولها إلى وسيلة لإعادة وتكثيف الوجود الأجنبي في المنطقة .

وفي قمة الجامعة العربية الطارئة بالقاهرة يوم 10 / 8 / 1990 م صوتت فلسطين ضد قرار القمة بإدانة الغزو .

وفي الوقت الذي أعلن فيه بسام أبو شريف المستشار السياسي لعرفات أن المنظمة تبذل أقصى جهودها لنزع فتيل الحرب في منطقة الشرق الأوسط ، أعلن أحد المسئولين الفلسطينيين في عمان تصريحات تشير إلى أن قوات ليبية وفلسطينية وصلت إلى اليمن لتكون مستعدة للانتقام ضد أي عمل عسكري أمريكي ضد العراق .

ومع كثافة الجهود التي أرادت منظمة التحرير تبنيها لذر الرماد في العيون من أجل حل المشكلة فإن المراقبين السياسيين يرون أنها تحاول إرضاء كل الأطراف ، لكن زاد من تورطها اتسام بياناتها بالغموض حينًا وبالتناقض حينًا آخر ، وأنه من غير المحتمل أن تكون دول الخليج سخية مع المنظمة مستقبلاً ، كما أن الكثير من هذه الدول لن يرحب بالفلسطينيين في أراضيه ، وأن ذلك يعني أيضًا فقدان التأييد السياسي ، فالعراق أصبح منبرًا سياسيًا للمنظمة بعد خروجها من الساحة اللبنانية وعدم التوافق مع دمشق ، والكويت تمثل في نظر القيادة الفلسطينية الأرضية الإعلامية الصلبة ، بالإضافة للدعم المادي المتواصل سواء من الدولة أو الجالية الفلسطينية التي

شهدت مولد حركة فتح ومختلف تنظيمات المقاومة ، بل وظلت مصدر الدعم البشري بالنسبة للثورة الفلسطينية في مراحلها المختلفة .

ومعنى ذلك أن الخلاف العراقي الكويتي أوقع عرفات في مأزق بين مؤيديه ومعارضيه على السواء ، ومعناه أيضًا أن استمراره سيؤثر بشكل سلبي على القضية الفلسطينية خصوصًا مع تراجع العديد من الخيارات كمداخل لمعالجة أزمة الوجود الفلسطيني[12] .

وعارضت الجبهات الفلسطينية الأخرى المشاركة في المنظمة مثل الشعبية والديمقراطية والقيادة العامة والنضال الشعبي والتحرير العربية والتحرير الفلسطينية وجود القوات الأجنبية ، ودعت إلى مقاومتها بينما انفردت حركة المعارضة في فتح التي يتزعمها أبو موسى بانتقاد الولايات المتحدة ومواقف عرفات معًا .

وقد وجه الأمين العام لجبهة التحرير الفلسطينية أبو العباس ويوم 11 / 8 / 1990 م أمرًا قتاليًا للكوادر وأعضاء ومقاتلي وأصدقاء وأنصار الجبهة بضرب المصالح الأمريكية وخونة الأمة العربية في الجزيرة العربية ، كما أعلن مسئول عسكري في جبهة التحرير العربية أن قرابة 350 فلسطينيًا تطوعوا للانضمام للجيش الشعبي الذي أعلن العراق تشكيله في الكويت ، وذلك إضافة إلى 4 آلاف مقاتل من كل الفصائل عبروا عن رغبتهم في القتال إلى جانب القوات العراقية .

وأشارت بعض التقارير الصحفية إلى أن ياسر عرفات قد قام بحشد 50 ألف فلسطيني في العراق لدعمه ضد أي هجوم أمريكي .

وذكرت وكالات الأنباء أن مظاهرات التأييد للعراق قد غطت الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، وأضافت صحيفة كوريري ديلاسيرا الإيطالية أن الفلسطينيين في الأراضي المحتلة يطلقون على صدام حسين ناصرًا جديدًا[13] .

وقد بعثت القيادة الموحدة للانتفاضة المرتبطة بالمنظمة برقية تأييد للقيادة العراقية ضد من أسمتهم القادة الرجعيين المناصرين للسياسات الأمريكية في الخليج .

وكانت صحيفة الفجر الصادرة في الأراضي المحتلة قد نشرت استطلاعًا يقول إن 81 ٪ من سكان الأراضي المحتلة يؤيدون موقف عرفات المساند للعراق .

أما فيصل الحسيني ومجموعته وهو الممثل غير الرسمي للمنظمة في الأرض المحتلة فيرى أن مبادرات صدام حسين لإنهاء كل صور الاحتجاج بالشرق الأوسط تفتح المجال لتطبيق قواعد القانون الدولي ، كما أصدر مساعد مفتي جيش التحرير الفلسطيني في الأردن فتوى يعتبر فيها كل من يقف إلى جانب الولايات المتحدة والغربيين في مواجهتهم ضد العراق مرتدًا ويباح دمه ، ووصف الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين مبادرات صدام حسين بأنها جاءت لتضع المنطقة في إطار الحل الصحيح والمشرف ، وطالب المهندسون الفلسطينيون بضرب المصالح الأمريكية والغربية في المنطقة حيثما وجدت ، ودعا بيانهم إلى انتفاضة شعبية عارمة تسقط الأنظمة الرجعية والخائنة .

ردود أفعال على مواقف عرفات

ندد أكثر من مائتي فلسطيني يقيمون بالإمارات بالغزو العراقي والموقف السلبي لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية حيال أزمة الخليج ، كما انتقد رجال الأعمال الذين يقيمون في الكويت ودول الخليج الأخرى بشدة ياسر عرفات ، لأنه لم يشجب الاجتياح العراقي للكويت .

الانتفاضة والقضية الفلسطينية أولى ضحايا أزمة الخليج

وقد أثرت هذه المواقف الفلسطينية المتباينة على قوة دفع الانتفاضة محليًا ودوليًا ، فقد انتقل الاهتمام الإعلامي والسياسي بأزمة الخليج ، بأحداث الانتفاضة للمرتبة الثانية من الاهتمام الغربي ، حيث تراجعت في قائمة الأولويات ، حتى يمكن أن يطلق

على المنظمة في هذه الحالة ، إنها ومعها القضية الفلسطينية كانتا أولى ضحايا أزمة الخليج .

ويتفق المراقبون السياسيون على أن النظرة الأكثر تعقلاً من الفلسطينيين تدفع للاعتقاد بأن الغزو العراقي سيؤجل مناقشة قضيتهم المناقشة الجدية ، كما سيؤدي الانحياز الفلسطيني للعراق إلى القضاء على أية فرصة في المستقبل القريب لاستئناف الحوار الأمريكي الفلسطيني ، ومن ثم فمن غير الممكن تقدير مدى الخسارة التي يمكن أن تلحق بالمنظمة على المستويين السياسي والمادي ، بالإضافة إلى ما يمكن أن يصيب أبناء الشعب الفلسطيني المقيمين في دول الخليج العربي من مضايقات اقتصادية تتعلق بأحوالهم المعيشية ومستقبلهم المهني في تلك الدول .

وقد أرجع البعض اندفاع المنظمة للوقوف بجانب العراق إلى خوفها من انفتاح دول الخليج على حركة « حماس » بداخل الأراضي العربية المحتلة على حسابها ، وهو ما يعني فقدان المنظمة لعناصر أساسية في دعمها فضلاً عن أنه في حالة تفوق العراق في قضيته ، فإن الوجود الفلسطيني العراقي الجديد ، قد يشكل قوة إقليمية عربية تعيد رسم الخريطة في المنطقة العربية .

إلا أن ما لم يدركه القادة الفلسطينيون هو أن لمواقفهم تلك تأثيراتها السلبية على القضية الفلسطينية ، والتي ستكون بمثابة عودة إلى نقطة الصفر في المسيرة الفلسطينية التي شهدت العديد من المكاسب الإيجابية الإقليمية والدولية ، والتي سيكون من الصعب إعادتها لاستمرار حالة التضارب الفلسطيني رغم محاولات التصحيح المستمرة ، فالموقف أدى إلى تمرير آلاف المهاجرين اليهود إلى الضفة ، والموقف أيضًا أدى إلى التصدي لأطفال الحجارة بالحديد والنار ، وباتت الغزوة العراقية مصدر تهديد أكبر بكثير من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي أو الانتفاضة في الأراضي العربية المحتلة .

وذلك بالإضافة إلى أن استمرار التناقض في مواقف القيادات الفلسطينية المختلفة

مع حرج وضع منظمة التحرير الفلسطينية ، سوف يزيد من حجم المأساة ليس فقط بالنسبة لمواطني الأراضي العربية المحتلة بل ولحوالي أربعمائة ألف فلسطيني يعيشون على أرض الكويت ، مع عشرات الألوف الذين يعملون في دول الخليج ، وكانوا يقدمون جزءًا من رواتبهم لذويهم بالضفة والقطاع والأردن والمخيمات الفلسطينية الأخرى في لبنان وسوريا .

ولا يقلل بالطبع من حجم هذه المأساة استمرار ياسر عرفات والقيادات الفلسطينية الأخرى في طرح المزيد من المبادرات ، ويكفي في هذا الإطار الإشارة إلى أن المراقبين السياسيين أكدوا بعد إعلان عرفات لمبادرته ذات المبادىء الخمسة يوم 29 أغسطس سنة 1990 م ، أنها غير قابلة للتنفيذ وتقف على قدم المساواة مع سابقتها التي اقترحها عرفات من ست نقاط مع ليبيا عند بدء أزمة الخليج ، وأن الرئيس الفلسطيني أخطأ خطأ فادحا عندما لم يندد بالغزو العراقي للكويت ، وأن هذا الخطأ قد يكلفه سنوات طويلة ، حتى تحقق جهود السلام نتائج إيجابية ، فضلاً عن أنه يخوض الآن مقامرة سياسية كبيرة ، ضد دول الخليج التي تعتبر كما ذكرنا من قبل الممول الرئيسي لمنظمة التحرير التي يتزعمها ، بربطه الانسحاب العراقي بانسحابات متزامنة من فلسطين ولبنان والجولان ، وبرحيل القوات الأجنبية من المنطقة .

لذلك لم يكن غريبًا وسط هذا السيل من المبادرات الفلسطينية المنفردة أو بالتنسيق مع دول عربية أخرى ، أن يتناقض القول مع الفعل ولا ترأس دولة فلسطين الاجتماع الطارىء لمجلس جامعة الدول العربية بالقاهرة في 30 أغسطس سنة 1990 م والذي خصص لمتابعة تنفيذ توصيات مؤتمر القمة العربي الطارىء .

ومن هنا ينبغي القول بأن موقف المساندة التامة للعراق ، والذي اتخذته منظمة التحرير يقتضي إعادة ترتيب الأوراق والحسابات ، وأن تعدل المنظمة من موقفها الذي بدا موقفًا غير حكيم على المستويين العربي والدولي بالنسبة للفلسطينيين وللقضية

الفلسطينية الأم ، فإذا كان الطبيعي وقوف المنظمة إلى جانب رفض الاستيلاء على الأرض بالقوة لأنها تعرف قبل غيرها معاني القهر والاحتلال ، .فإن الطبيعي أيضًا وعلى نفس القدر العمل على عدم وأد الانتفاضة في الأراضي العربية المحتلة نتيجة حسابات خاطئة ، لأن تراجع الاهتمام الدولي الرسمي والشعبي بها ، وانصباب الاهتمام على أحداث الخليج ، بالإضافة للآثار السيئة لموقف الرئيس الفلسطيني عرفات من الأحداث كلها ستؤدي إلى الانقسام بين صفوف جماهير الانتفاضة نتيجة الخلافات والمحاور التي تعكسها السياسات الفلسطينية المتباينة .

وإن أحداث الخليج قد أدت إلى تراجع قوة الدفع السياسية لمسيرة الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي العربية المحتلة ، في وقت هي في أمس الحاجة إليها ، ومما لا شك فيه أن الانتفاضة بما أصبحت فيه من رسو وامتداد جذورها في المجتمع والأرض الفلسطينية ، أصبحت أيضًا واقعًا ماديًا متجسدًا يتطلب إعادة صياغة المواقف الفلسطينية بما يخدم مسار القضية الفلسطينية ويكفل لها مواجهة التحديات المقبلة[15] .

ونعتقد جازمين أن مواقف ياسر عرفات السابقة قد أصابت القضية في مقتل ، وأدت إلى انشقاق بعض الصفوف الفلسطينية المشاركة في الانتفاضة ، والتي لديها بعض الأمل في قيادة ياسر عرفات ، فبعد أن نجح في شق المنظمات الفلسطينية وعطل الكفاح المسلح ها هو ينجح في التسبب في شرخ في جسد الانتفاضة التي يعرضها لجريمة النسيان ويكشف ظهرها للعدو الصهيوني لطعنها .

وهكذا يكون ياسر عرفات المجرم الأول المسئول عن كل محاولات اغتيال القضية الفلسطينية وتصويب الرصاصة القاتلة في قلبها بعدما ساند صدام حسين في غزوه للكويت وأعطى « إسرائيل » المبرر لاحتلالها فلسطين بالقوة تحت مزاعم الدعاوى التاريخية ، وكذلك باستخدام القوة لاحتلال أراضي الغير ولا يستطيع الآن أن ينكر عليها ما وافق عليه بالنسبة للعراق وهذا الموقف الفلسطيني ستقوم « إسرائيل » بتوظيفه

إعلاميًا وسياسيًا ضد ياسر عرفات على الساحة الدولية لمحاصرة النجاحات السياسية التي كان عرفات قد حققها بالنسبة للقضية الفلسطينية على تلك الساحة .

والآن ، وبعد الانتهاء من صياغة اتهام ياسر عرفات والإتيان بكل الأدلة الدامغة ، نترك الحكم للجماهير الفلسطينية والعربية والإسلامية لتقول كلمتها النهائية بالنسبة لهذا الخائن للشعب والوطن والقضية ، وإنها لثورة حتى النصر .

محمد العباسي

مدينـــة 6 أكتوبـــر ـــــ الحي السابـــع

ـــ 2 ديسمبر سنة 1990 م

مصادر الفصل السابع

1 ـــ علام (حسن) : حوار مع أبو الزعيم ، مصدر سابق ، ص 85 .

2 ـــ المصدر السابق ، ص 90 .

3 ـــ المصدر السابق ، ص 90 - 91 .

4 ـــ المصدر السابق ، ص 71 .

5 ـــ خالدي (رشيد) : تحت الحصار : منظمة التحرير الفلسطينية واتخاذ القرارات في حرب 1982 م ، مطبعة كولمبيا ، سنة 1986 م ، ص 17 - 41 .

6 ـــ المصدر السابق .

7 ـــ علام (حسن) : مصدر سابق ، ص 95 - 96 .

8 ـــ الأهرام 19 / 7 / 1990 م ، الصفحة الأولى .

9 ـــ الأهرام 20 / 7 / 1990 م ، الصفحة الأولى .

10 ـــ الوفد 20 / 7 / 1990 م ، الصفحة الأولى .

11 ـــ معلومات جديدة عن مؤامرة الاحتلال العراقي للكويت ، السياسة الكويتية ، يومية ، 25 أكتوبر سنة 1990 م ، ص 1 ، 14 .

12 ـــ المداح (محمد علي) ، مأزق الموقف الفلسطيني ، السياسة الدولية ، فصلية ، أكتوبر سنة 1990 م .

13 ـــ كويري ديلاسيرا الإيطالية ، 5 / 8 / 1990 م .

14 ـــ التلجراف البريطانية ، 19 / 8 / 1990 م .

15 ـــ المداح (محمد علي) ، المصدر السابق .

مصادر الكتاب

1 ــ عزام (عبد الله عزام) : حماس ــ الجذور التاريخية والميثاق ، مايو سنة 1989 م ، مكتب خدمات المجاهدين .

2 ــ هيرست (دافيد) : البندقية وغصن الزيتون ، الهيئة العامة للاستعلامات ، كتب مترجمة 737 ، القاهرة .

3 ــ عبد الرحمن (أسعد) دكتور : رحلة التوسع الصهيوني ، كتاب العربي : الفلسطينيون من الاقتلاع إلى المقاومة 15 أبريل سنة 1988 م ، الكويت .

4 ــ الفرا (محمد) دكتور : سنوات بلا قرار ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الأولى سنة 1988 م .

5 ــ اليوميات الكاملة لتيودور هيرتزل ، نيويورك سنة 1960 م .

6 ــ هنداوي (سامي) : الحصاد المر ، نيويورك سنة 1967 م .

7 ــ الكيالي (عبد الوهاب) : تاريخ فلسطين الحديثة ، بيروت سنة 1971 م .

8 ــ إيلون (موسى) : الإسرائيليون المؤسسون والأبناء ، لندن سنة 1972 م .

9 ــ مانديل (نيفيل) : محاولة للوفاق بين العرب والصهيونيين 1913 / 1914 م دراسات الشرق الأوسط ، لندن سنة 1965 م .

10 ـــ بوبصير (صالح مسعود) : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، دار بويصير للأبحاث ، بدون تاريخ .

11 ـــ غانم (محمد حافظ) دكتور : المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولي ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة سنة 1965 م .

12 ـــ العوزي (إميل) : المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ومحق العرب ، القاهرة سنة 1955 م .

13 ـــ حماد (خيري) : التطورات الأخيرة في قضية فلسطين ، الدار القومية للطباعة والنشر سنة 1964 م .

14 ـــ شيشتمان (جوزيف) : مقاتل ونبي ، قصة فلاديمير جابوتنسكي ، نيويورك سنة 1961 م .

15 ـــ بوراث (بيهوشوا) : بزوغ الحركة الوطنية الفلسطينية العربية 1918 / 1929 م ، لندن سنة 1974 م .

16 ـــ هاكوهين (دافيد) : هاآرتس 15 نوفمبر سنة 1969 م .

17 ـــ مكي (محمد علي) دكتور : الشيخ عز الدين القسام-شعلة متقدمة في مسيرة الثورة الفلسطينية ، مجلة المنطلق ، العدد الأول لبنان .

18 ـــ السفري (عيسى) : فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، القدس سنة 1937 م .

19 ـــ طرابين (أحمد) : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين منذ نشأة الصهيونية حتى نشوب الثورة الكبرى سنة 1936 م ، القاهرة سنة 1958 م .

20 ـــ زعيتر (أكرم) : القضية الفلسطينية ، دار المعارف المصرية ، القاهرة سنة 1955 م .

21 ــ تقرير اللجنة الخاصة بفلسطين ، الجزء الثاني ، اجتماعات الأمم المتحدة 9 / 9 / 1947 م .

22 ــ الطيباوي : رؤى العودة : اللاجئون الفلسطينيون في الشعر والفن العربي ، ميدل إيست جورنال ، مجلد 17 ، عام 1963 م .

23 ــ علام (حسن) : حوار مع أبو الزعيم : أسرار الخلاف مع عرفات ، القاهرة سنة 1988 م .

24 ــ أبو عزة (عبد الله) دكتور : مع الحركة الإسلامية في الدول العربية ، دار القلم ، الكويت سنة 1986 م .

25 ــ سلمان (طلال) : مع فتح والفدائيين ، دار العودة سنة 1969 م ، بيروت .

26 ــ الجزائري (سعيد) : أوراق سرية ، دار الجيل ، الطبعة الأولى سنة 1990 م ، بيروت .

27 ــ دراسات وتجارب ثورية ، مطبوعات فتح .

28 ــ أجود « يعاري » اضربوا الإرهاب ، قصة فتح ، كتب الصابرا ، نيويورك سنة 1970 م .

29 ــ الشرقاوي (فواز) : فتح 1965 - 1971 م ، رسالة علمية جامعة القاهرة سنة 1965 م ، غير منشورة .

30 ــ الكتاب السنوي الفلسطيني ، معهد الدراسات الفلسطينية ، بيروت سنة 1968 م .

31 ــ مهران (رشيدة) دكتورة : ياسر عرفات الرقم الصعب ، دار الديار بالتعاون مع دار بروسفينا اليوغسلافية ، بدون تاريخ .

33 ـــ كرنان (توماس) ، ياسر عرفات ، بريطانيا سنة 1976 م .

34 ـــ كوبان « هيلينا » ، المنظمة تحت المجهر ، الطبعة الأولى ، لندن سنة 1984 م .

35 ـــ خلف (صلاح) : فلسطيني بلا هوية ، مؤسسة صيام .

36 ـــ هير (إيتان) : المطاردة خلف عرفات ، يديعوت أحرونوت .

37 ـــ نظام الدين (عرفان) ، حوارات على مستوى القمة ، منشورات المؤسسة العربية الأوروبية للصحافة والنشر .

38 ـــ جاد (عماد) : مرة أخرى الحوار الفلسطيني الإسرائيلي ، مجلة الموقف العربي ، العدد 94 .

39 ـــ قرشي (إياد) : أرشيف الاتصالات السرية بين منظمة التحرير واليسار الإسرائيلي ، مجلة العالم ، لندن .

40 ـــ كوانت (وليام) : كامب ديفيد بعد 10 سنوات ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط أولى سنة 1989 م .

41 ـــ فندلي (بول) : من يجرؤ على الكلام ، بيروت شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ط . ثانية سنة 1985 م .

42 ـــ خالدي (رشيد) : تحت الحصار : منظمة التحرير الفلسطينية واتخاذ القرارات في حرب سنة 1982 م ، مطبعة جامعة كولمبيا سنة 1986 م .

المصادر الصحفية

43 ـــ أعداد من مجلة العالم .

44 ـــ الأهرام .

45 ــ أعداد من مجلة فلسطيننا .

46 ــ شئون فلسطينية .

47 ــ السياسة الدولية .

48 ــ السياسة الكويتية .

49 ــ الأنوار اللبنانية .

50 ــ الحياة اللندنية .

51 ــ مجلة فلسطين .

52 ــ جريدة القدس .

53 ــ التليجراف البريطانية .

54 ــ الكريستيان ساينس مونيتور .

55 ــ كوييري ديلاسيرا الإيطالية .

رقم الإيداع : ١٥٣٦ / ١٩٩١
الترقيم الدولي : ٧ ــ ٠٢٤ ــ ٢٥٧ ــ ٤٧٧

مطابع الزهراء للإعلام العربي
١٤ شارع الطيران - رابعة العدوية
مدينة نصر - ت ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦
القاهرة